السّجود والرّكوع في القُرآنِ الكَرِيمِ

(دِرَاسَـــةٌ لُغَوِيَّـــةٌ)

رِسَالَةٌ تَقَدَّمَ بِهَا

أحمد هادي شمّام

إلى مجلس كُلِّيَّةِ التَّربيَةِ في الجامعةِ المستنصريَّةِ

وَهِيَ جزءٌ مِنْ متطلَّباتِ نَيْلِ شَهادَةِ ماجستير في اللُّغَةِ العربيَّةِ وآدَابِهَا

بإشرافِ

الأستاذ المساعد الدكتور

محمد صنكور جبارة

ربيع الأول 1428هـ

نيسان 2007م

Prostration and Kneeling in the Holly Quran

A linguistic Study

A thesis submitted to the College of Education
Al-Mustansiriya University
For the Degree of Master of Linguistics and its Literature

By

Ahmed . Hadi

Supervised by

Assist . Prof . Dr . Muhammed . Sangure

Rbea The Fireht 1428 A.H

April 2007 A.C

Prostration and Kneeling
in the Holly Quran
A linguistic Study

The importance of prostration and kneeling comes from worship, which makes the believers live in spiritual atmosphere.

This study tackled the topic through out four chapters preceded by introduction, a prelude and summarized by conclusion. The prelude contains two points. The first point has the lexical and conventional meaning of (prostration and kneeling). The second point has the various types of (prostration and kneeling).

The first chapter (Phonology level) tackles exists of voice through its organs, and the description of sounds, also it focuses on sound phenomena of the articles (prostrate and kneel) in the Holly Quran.

The second chapter (Morphology level) deals with verbal structure of verbs, derivatives, and plurals.

The third chapter (Syntactic level) studies the articles of (prostrate and kneel) in the light of syntax through: nominal, causal and the prepositional nouns.

The fourth chapter (Symantec level) discovers the manifest expression to the article of (prostrate and kneel)

according to the meaning shade, corresponding of Symantec, and (advancing or delaying words), also this chapter discovers the hiding expression to the articles of (prostrate and kneel).

The conclusion contains these points:

1. The articles (prostrate and kneel) have many descriptive sounds, some of them have a unique description like (R) which has repetition functioning in Quranic expression, so it reveals to the audience extra meaning.
2. The Quranic expression used some verbal structure of the articles (prostrate and kneel) to do special meaning.

The holly Quran used some syntactic styles like (orders, subject, object, preposition …) to do the meaning of (prostration and kneeling) in the Holly Quran.

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

(التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ
السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ
وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)

صدق اللهُ العليُ العظيمِ

التوبة: ١١٢

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ ((السّجود والرّكوع في القرآن الكريم ، دراسة لغوية)) قد جرى بإشرافي ، في قسم اللغة العربية / كلية التربية . الجامعة المستنصرية ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها .

التوقيع :

الاسم : الأستاذ المساعد الدكتور

محمد صنكور جبارة

توصية رئيس قسم اللغة العربية

بناء على التوصية المقدمة من الأستاذ المساعد الدكتور محمد صنكور جبارة أرشح هذه الرسالة للمناقشة .

رئيس لجنة الدراسات العليا

رئيس القسم

التوقيع :

الاسم : المدرس الدكتور

الإهداء . .

إلى المعلم الذّي أهدى إلى الإنسانية : النور ، والعلم ، والرّحمة ،

الرّسول الأمين محمّد (صلى الله عليه وآله وسلّم)

أُهدي ثمرة جهدي هذا .

أحمد

شكر وامتنان

أُقدّم وافرَ شُكري، وامتناني :

إلى كلّ من أسهم في إقامة هذه الرّسالة .

المقدمة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين . وصلى اللهُ على سيدِنَا محمدٍ وَآلِهِ الطّيبينَ الطاهرين ، وصحبِهِ المنتجبين .

وبعد :

دارَت في القرآن دراساتٌ غزيرةٌ ، وترعرعت على ثِمَارِ بلاغته مواهبُ كثيرةٌ . وقد كان للقرآنِ فضلٌ كبيرٌ في توحيدِ العربيةِ وحفظِهَا . فَنَالت بِذلك نصيباً مِنَ الدَّرسِ ، والاهتمامِ ما لَمْ تَحظَ بِهِ أخواتُهَا مِنْ لغاتِ شعوبِ الأرضِ .

وفي اختيارِ موضوع الدّراسة ، دارت مخيلتي في لغةِ القرآنِ فحَسْب. حَتَّى استقر الاختيار على (السّجود والرّكوع في القرآن الكريم) ، وقد نَشَأَ موضوعُ هذا البحث لدَيّ قَبْلَ سنين . وَكانَ أولُ غيثِهِ في أثناءِ قراءتي القرآنِ الكريمِ ، فطالما لَفَتَ فهمي (سجودُ التِلاوةِ) فيهِ ، وَلَمْ يَكُنْ يدورُ في خلدي أَنْ تَكونَ تلك الآياتُ الكريمةُ نواةً لِمثلِ هذا البحثِ . فَكَانَ أَنْ عَرضتُ الموضوع على أساتذة متخصصين فرحبوا بهِ . ثُمَّ عرضته على شيوخي الأجلاءِ في قِسمِ اللّغةِ العربيةِ فأفادوني بوافرِ ملاحظاتِهم القيمةِ ، وبعدها زرتُ الدكتور رشيد العبيديّ (رحمه الله) عارضاً عليه العنوانَ ، وكان الميدانُ ، آنذاك (السجود) فقط ، فَأشارَ عَليّ . متفضلاً ـ أَنْ أُشرِكَ مَعَهُ (الركوع) لوحدةِ الموضوعِ بينهمَا ، وَبعدَ الإحصاءِ الأولي للمادتين في القرآنِ الكريمِ تَبيَّنَ أنَّ مِنَ الأفضلِ أَنْ يُدرسَ الموضوع على مستوياتِ التّحليلِ اللغوي الأربعةِ . فجاء العنوانُ بصيغتهِ الأخيرة : (السّجود والرّكوع في القرآن الكريم ، دراسة لغوية) ، وقدمتُ السجود على الركوع في عنوان الرسالة؛ لكثرةِ وروده عليه في القرآن الكريم[1] .

تنبعُ أهميةُ موضوعِ الدّراسةِ مِنْ أهميةِ العبادةِ في هذا الوجودِ بعامة ، وفي حياةِ بني آدم بخاصة ؛ لكونِهِمَا ، أي : السّجودُ والرّكوعُ ، يُكونانِ أَركانَ الصّلاةِ وَبها

(*) وردت مادة (سجد) في اثنين وتسعين موضعاً ، ووردت مادة (ركع) في ثلاثة عشر موضعاً .

.....

يُثابّ المَرءُ . وترمي الدّراسةُ إلى فهمِ (السّجود والركوع) ، لاعتباراتِهِمَا المُشَارِ إليها ، عَنْ طريقِ فَهمِ النّصِّ القرآنيّ ، وتحليلِ النّسجِ اللغويِّ الذّي يردانِ فيهِ ، ومحاولةِ تفسيرِ نوعِ العلاقاتِ اللُّغويَّةِ التّي أُقيمَتْ بينهمَا مِنْ جهةٍ ، والنّسجِ القرآنيّ مِنْ جهةٍ أُخرى .

وفضلاً عمَّا للسّجودِ وللرّكوعِ مِنْ أَهميةٍ كبيرةٍ فإنَّهُمَا لَمْ يحظيا بِدراسةٍ لغويةٍ مستقلةٍ بهِمَا ، سوى بعضُ الإشاراتِ هنا أو هناك في عَددٍ مِنَ الدّراساتِ اللغويَّةِ ، والإسلاميَّةِ مِنْهَا ، خاصّةً .

وَقَدْ عُنيَ القرآنُ الكريمُ بعرضِ المادتين : (سجد و ركع) عرضاً لغويّاً مميزاً خاصَّاً بِهِمَا لتوضيحِ أثرِهِمَا العباديّ ، وأهميتِهِمَا في حياةِ العبادِ . وَقَدْ دَرَسْتُ بِنْيَةَ المادتين وهُمَا مفردتان . ثُمَّ درستهما في ضمنِ التّراكيب المستعملتين فيهما . فاستلزمَ منّي توجيهاتٍ كثيرة : صوتية ، وصرفية ، ولهجية ، ونحوية ، ودلالية ، على وفق ما يقتضيهِ النّصُّ القرآنيّ . آخذاً بالحسبانِ أَثَرَ السّياقِ في توجيهِ التراكيب التي وردت فيها المادتان .

وَبَعَدَ أَنْ توافرَتْ لِي مادة كبيرة مِنَ الجّمعِ ، حاولتُ دراسة الموضوع ، مستعينًا بآراءِ اللغويينَ ، والنحويينَ ، والمفسرينَ . فَجاءَ بَعدَ ذلك تبويبُ الرّسالةِ ، فوُزّعتُ المسائلَ اللّغويَّة المتعلقةِ بمادتي (سجد و ركع) على وفقِ المستوياتِ اللغويّةِ الأربعةِ . فانتظمتْ الدراسةُ في أربعةِ فصولٍ سبقتها مقدمةٌ . وتمهيدٌ ، شَمِلَ : أولاً ، السّجود والرّكوع في اللّغةِ والاصطلاحِ ، وثانياً ، السّجود وأنواعه . ثُمَّ جاءَ الفصلُ الأولِ بعنوان : (المستوى الصوتي لمادتي سجد وركع في القرآن الكريم) ، وقد وزعّتُ هذا الفصلَ على مبحثين ، الأولُ منهما : دراسةُ مخارجِ الحروفِ وصفاتِهِا المكونةِ للمادتين ، ثُمَّ تحدّثتُ في المبحثِ الثاني : عَنْ الظّواهرِ الصوتيةِ في المادتين ، وهي : (الاتباع ، والادغام الكبير، وتسهيل همزة : أأسجد وإبدالها وتحقيقها) ، التي جَاءتْ في عددٍ مِنَ القراءاتِ القرآنيةِ . وَكَانَ المستوى الصّوتيّ ممهداً لِدراسةِ المستوى الصّرفيّ ، فَدرستُ فيه الصّيغَ الصّرفيّةِ لِمادتي (سجد وركع) مُعللاً ، جهد الإمكانِ ، سَبَبَ مَجيء كُلّ صيغةٍ في مواضعَ معينةٍ مِنْ دونِ غيرها ،

.....

وَمَا للسّياقِ مِنْ أَثرٍ في ورودِهَا في هذا الموضعِ مِنْ دونِ غيرِهِ؛ لتؤدي المعنى المناسبِ والمنسجمِ مَعَ ما يتطلبُهُ سياقُ الآيةِ القرآنيةِ ، فتناولتُ أولاً: أبنية الأفعال (الماضية ، والمضارعة ، والأمرية) ، وثانياً : المشتقاتِ (المصدر، واسم المكان ، واسم الفاعل) ، وثالثاً : الجموع (جمع السّالم الصّحيح، وجمع التكسير) .

ثُمَّ جاءَ المستوى النّحوي التّركيبيّ بَعدَ ذلك ليدرسَ الآياتِ التّي وردت فيها مادتا (سجد وركع) في القرآنِ الكريمِ . فتناولتُ التّراكيبَ النّحويّةِ التّي جاءَتْ فيها المادتان وَمَا تشيرُ إليه مِنْ دلالاتٍ ، فَكَانَ أَنْ درستُ أولاً : الأساليبَ الفعليةِ مِنَ الأفعالِ (الماضية ، والمضارعة ، والأمرية) ، وثانياً : الأسماء (المرفوعة، والمنصوبة ، والمجرورة) .

ويُعرِّجُ البَحثُ على قمتِهِ ببلوغِهِ المستوى الدّلاليّ لِمادتيّ (سجد وركع) في القرآن الكريم ، إِذْ كانت المستوياتُ الأخرى صائرةً في خدمتِهِ ، ودائرةً في فَلَكِ مواهبِهِ . فجاءَ مُشتملاً على مبحثين اثنين : الأول منهما : (التعبير القرآني الصريح عن السجود و الركوع) ، عَالجتُ فيهِ مجموعةً مِنَ القضايا الدّلاليةِ المتعلقةِ بالمادتين ، وهي : (السجود والركوع وظلال المعنى ، ودلالة السّجود على الرّكوع والعكس ، والسجود والركوع والتقابل الدلالي ، والتقديم والتأخير) . أَمَّا المبحثُ الثاني ، فَقَدْ جَاءَ بعنوان : (التعبير القرآني غير الصّريح عن السجود والركوع) ، وَقَدْ تناولتُ فيهِ دراسةَ عَددٍ مِنَ الآياتِ القرآنيَّةِ التّي لَمْ تشرْ إلى (السجود والركوع) إشارةً صريحةً ، وَإِنَّمَا تُفهمُ إشارتُها إليهِمَا بالتّحليلِ الدّلالي لَهَا . وَقَدْ اخترتُ بَعضَ الآياتِ القرآنيَّةِ مِنْ دونِ غيرِهَا ، وذلك لكثرةِ الأمثلةِ القرآنيَّةِ الدّالّةِ على (السجود والركوع) بِصورٍ غيرِ مباشرةٍ ، وانبثاثِهَا في معظمِ آياتِ القرآنِ الكريمِ على اختلافِ موضوعاتِهَا ؛ إِذْ هُمَا ، أَي : السّجودُ والرّكوعُ ، رُكنَا العبادةِ ، وَعِمادُ التّربيةِ الرّوحيةِ ، وعلّةُ الخلقِ ؛ قَالَ تعالى في مُحكمِ كتابِهِ العزيزِ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢] . وَقَدْ اخترتُ عدداً مِنَ الآياتِ التّي تشيرُ إلى (السجود والركوع) على نحوٍ بارزٍ أكثرَ مِنْ

(١) الذاريات : ٥٦ .

غيرِهَا وَجعلتُ لِكُلِّ آيةٍ مِنْ هذه الآياتِ ، أَو مجموعةٍ مِنْهَا ، وَمَا يماثِلُهَا في عنوانِهَا عنواناً مُعيناً بغيةَ دراستِهَا دراسةً دلاليةً . فَكانَ لسببِ النّزولِ والسّياقِ الأثرِ المهمِ في دلالتِهَا غيرِ الصّريحةِ على (السجود والركوع) ، وهي : (الصلاة ، والدعاء ، والتسبيح ، والخرُّ للأذقان ، والخاشعون) ، فَعدمُ ذكرِ (السجود والركوع) صراحةً في هذهِ المواضع جاءَ لأسبابٍ دلاليةٍ كانت موضع دراسةٍ في هذا البحث .

ثُمَّ جَاءتْ خَاتمةُ الرّسالةِ متوافرة على ذكرِ أَهمِ النّتائج التّي خَلصَ إليها البحثُ . ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذلك مسردٌ بمظانِّ الدِّراسةِ ، فكانتْ كتبُ اللّغةِ ، والمعجماتِ ، والنّحو، والتصريف ، والتفسير روافد نَهلَ منها البحثُ مادته في سَبْرِ الحقائِق وإضاءةِ سبيل المنهجِ العلمي .

وَلا بدَّ مِنَ الإشارةِ إلى أنَّ قضيّةَ لغةِ القرآنِ ليستْ مِنَ القضايا التّي تحتاجُ إلى إثباتٍ أَو نقضٍ ، بقدرِ مَا تحتاجُ إلى توضيحٍ ، وتقريبٍ مِنْ أذهان المتلقين مِنْ أبناءِ العربيةِ وغيرِهِم ؛ فكانت الدراسةُ محاولةً لإدراكِ سِرِّ الإبداعِ في الاستعمالِ القرآنيّ للّغةِ العربِ ، والتعرفَ على ما ينمازُ بِهِ هذا الاستعمالُ الذّي تقصرُ البلاغةُ بأقطار مسالِكِهَا عِنْ استيعابِهِ ، والإحاطةِ بمراميّ فهمِهِ .

وَأَرى مِنَ الواجبِ عَليّ في هذا المقامِ أَنْ أُقدم شكري إلى الأستاذ المساعد الدكتور محمد صنكور جبارة ؛ لإشرافهِ على البحث ، وَأُقدِّمُ شكري وامتناني للسّادةِ رئيس لجنةِ المناقشةِ ، وأعضائها الأفاضل .

وخِتَامُ كلامي أقولُ متواضعاً : إنَّ هذا البحث مهما يَكُنْ لَهُ مِنْ نتائجَ فَلَنْ يَبْلغَ الكمالَ . وأدعو مِنَ اللهِ أَنْ يتقبله خالِصاً لوجهِهِ الكريمِ ، وَآخرُ دعوانَا أَنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين ، وصلى اللهُ على سيدِنَا مُحمَّدٍ وآلِهِ الطّيبينَ الطّاهرينَ ، وَأَصحابِهِ المنتجبين .

التمهيد

ويشمل ،

أولاً : السّجود والرّكوع في اللّغة والاصطلاح

ثانياً : السّجود وأنواعه

أولاً . السّجود والرّكوع في اللغة والاصطلاح

لغةً :

(السّجودُ) في اللّغةِ ، مِنْ قولِهِمْ : ((نساءٌ سجّدٌ فاتراتُ الأعين ... وامرأة ساجدة ساجية ... والإسجادُ إدامة النظر مع سكون))[١] ، والسّاجية مِنْ الفتورِ ، وهي سمةٌ تُنْسَبُ إلى العينِ ، تعتري الحُسن في النّساءِ .

والسّجودُ طأطأةُ الرأسِ ، والإسْجادُ فتورُ الطّرفِ ، قال كُثَيِّر :

أَغرَّكِ مِنَّا أَنْ دَلَّكِ عِنْدَنَا وَإِسْجَاد عَيْنَيكِ الصَّيودَين رَابِعُ .

ونخلةُ ساجِدَةٌ إذا أَمالَهَا حِمْلُهَا . وكُلُّ مَنْ ذَلَّ وخَضَعَ لِمَا أُمِرَ بِهِ فَقَدْ سَجَدَ[٢] .

أَمَّا (الرّكوعُ) ، فـ ((كلّ شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الأرض أو لا تمسها بعد أن يطأطىء رأسه فهو راكع .

قَالَ لبيدُ :

أُخَبِّرُ أَخْبَارَ القُرُونِ التِّي مَضَتْ أَدِبُّ كَأَنِّي كُلْمَا قُمْتُ ، رَاكِعُ))[٣].

والراكِعُ المنحني في قَولِ لبيد هذا ، ومن المجاز ، يقال : ركع الرجل إذا افتقر بعد غنى وانحط حاله[٤] ، وكانت العرب تُسمّي من آمنَ باللهِ تعالى ولم يعبد الأوثانَ : راكعاً ، ويقولونَ : ركعَ إلى الله ، أي : أطمأنَ إليهِ خالصةً[٥] .

---

(١) العين ، الفراهيدي ، مادة (سجد) : ٦ / ٤٩ .

(٢) ينظر ، تهذيب اللغة ، الأزهري ، مادة (سجد) : ١٠ / ٥٦٩ ، و ١٠ / ٥٧٢ ، و لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (سجد) : ٢٢ / ١٩٤١ . ١٩٤٢ .

(٣) العين ، مادة (ركع) : ١ / ٢٠٠ .

(٤) تهذيب اللغة ، مادة (ركع) : ١٠ / ٣١١ – ٣١٢ .

(٥) ينظر ، أساس البلاغة ، مادة (ركع) : ١ / ٣٦٨ .

وَعَنِ ابنِ منظور (ت٧١١هـ) : ((الركوع الخضوع ... ، ويقال : ركع أي كبا وعثر))[١] .

وَقَالَ الزَّبيديّ (ت١٢٠٥هـ) : ((ركع الشيخ انحنى كُبْرَاً ، وهو أصل معنى الركوع))[٢] .

وَلعَلَّ أَجمعَ تلك الأوصاف لِمَا أَوردنَا آنفاً مَا جاءَ في قَوْلِ ابنِ منظور ، أنّهُ (الخضوع) ؛ لأنّ معنى الخضوع : ((التواضع التطامن . خَضَعَ يَخْضَعُ خَضْعاً وخُضُوعاً واختضع ذَلَّ ... والخَضَعُ : تَطَامُنٌ في العُنُقِ ودُنُوٌّ مِنَ الرّأسِ إلى الأَرضِ))[٣] .

فالمعنى اللّغويّ (للسجودِ والركوعِ) يشيرُ إلى مَعانٍ مُتقارِبَةٍ ، وهي على النّحوِ الآتي : فتارةٌ يُطْلَقُ على صِفةٍ تُنْسَبُ إلى عيونِ النّساءِ وَهي : (فتور الطرف) ، وأُخرى يعني : النّظرَ مَعَ سكونٍ ، وَثالثةٌ : طأطأة الرأس ، والرابعة : النخلة التي أَمَالهَا حِمْلُهَا ، وأخيراً كُلُّ مَنْ ذَلَّ ، وَخَضَعَ لِمَا أُمِرَ بِهِ فَقَدْ (سجد) . هذا على الرّغمِ مِنْ قولِ اللّيثِ : ((الساجد في لغة طَيّئ : المنتصب))[٤] . فَقَدْ وَصَفَ ابنُ منظور . قَوْلَ اللّيثِ هذا . بقولِهِ : ((قال الأزهري : ولا يحفظ لغير الليث))[٥] ، وفي هذا دلالةٌ على أنَّه رأيٌ مِنَ الآحادِ لَمْ يَصِلْ إلى حَدِّ الشّيوعِ والشهرةِ . فَضلاً عَمّا رجّحَهُ الزَّبيديّ ، ((وقد يقال لا ضدية بين الخضوع والانتصاب كما لا يخفى))[٦] . مِمَّا يَدلُ بوضوحٍ على عَدَمِ تعارضِ سِمَةِ الانتصابِ مَعَ سِمَةِ الخضوعِ والذّلِ الرّاسخةِ والبينةِ في (السجود) ، فَكَمْ مِنْ مُنتصبٍ هُوَ سَاجِدٌ خاضِعٌ ذالٌّ لخالِقِهِ (جلّ وعلا) ، وَخيرُ دليلٍ على مَا نقول : الشمسُ ، والقمرُ ، والنجومُ ، والجبالُ ، والشجرُ ، والدّوابُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ**

(1) اللسان ، مادة (ركع) : ١٩ / ١٧١٩ – ١٧٢٠ .
(2) شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس ، الزّبيدي ، مادة (ركع) : ٥ / ٣٦٥ .
(3) اللسان ، مادة (خضع) : ١٤ / ١١٨٧ – ١١٨٨ .
(4) تهذيب اللغة ، مادة (سجد) : ١٠ / ٥٧٢ .
(5) اللسان ، مادة (سجد) : ٢٢ / ٣٧١ .
(6) تاج العروس ، مادة (سجد) : ٢ / ٣٧١ .

وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾[1] .

وهكذا نَستطيعُ أَنْ نَخرجَ بدلالةٍ لغويةٍ عامةٍ (للسجودِ و للركوع) ، أَمَّا (السجودُ) ، فَهُوَ : (الذّلُ ، والخضوعُ) ، ويُنْسَبُ في غَالبِ الأحيانِ إلى رأسِ الشّيءِ وقمَتِهِ . لذلك نجدهم قَالُوا : (طأطأ رأسه) ، و(طأطأ رأس البعير لتركب) ، و (نخلة أسجدها حملها) ، أَي : طأطأ قمتها . أَمَّا (الرّكوع) فَهُوَ : (الخضوعُ) سواء أكانَ انكِبَاباً ،أَمْ طأطأةً ، أَمْ انحناءً ، أَمْ افتقاراً بعدَ غنى ، أَمْ تواضعاً وتذّللاً .

وَيَكَادُ (السجود و الركوع) يشتركان في معنى لغويٍّ واحدٍ هُوَ : (الذلّ و الخضوع) ، وإِنْ كَانَ إتيانُ (السّجود) فيهِ مِنَ الذّلِ والخضوعِ الشّيء الأكبر مِمَّا في إتيانِ (الرّكوع) .

اصطلاحاً :

(السّجود) في الاصطلاحِ ، هُوَ تَمكينُ الأَنفِ والجّبهةِ ، واليدين مِنَ الأَرضِ، مَعَ مُجافاتِهِمَا عَنْ الجنبينِ ، وَوَضْع الكفّين حَذوَ الأذنين ، أَو حذو المنكبين ، وَأَنْ تُبسَطَ الأَصَابِعُ مَضْمومةً ، وَأَنْ يُسْتَقبلَ بأطرافِهَا القبلة[2] ، ((وهو واجب في كلّ ركعة سجدتان ، هما ركن معاً لو أخل بهما معاً عمداً أو سهواً بطلت صلاته))[3].

وللسّجودِ واجباتٌ ، ومِنْ تلك الواجباتِ : السّجودُ على الأعضاءِ السّبعةِ (الجبهة ، والكفّين ، والرّكبتين ، وإبهامي الرّجلين)[4] . وأَمَّا الذِّكْرُ في السّجودِ ، فَعَنْ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، كَانَ يَقولُ في سجودِهِ : ((سبحانَ رَبِّيَ الأَعلى))[5] .

---

(1) الحجّ : ١٨ .

(2) ينظر ، فقه السّنة ، السّيد سابق : ١ / ١٥٥ .

(3) جامع المقاصد في شرح القواعد : الشّيخ علي الكَرَكيّ : ٢ / ٢٩٦ ، وينظر ، رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدلائل ، علي بن السيد محمد : ٣ / ٢٠٨ .

(4) ينظر ، رياض المسائل : ٣ / ٢١١ .

(1) سنن النّسَّائي ، باب الذّكر في الرّكوع ، الحديث رقم (١٠٤٣) : ١٨٠ .

أَمَّا (الرّكوع) فـ ((هو ركن في الصّلاة تبطل بتركه عمداً وسهواً ... ، ويجب فيه الانحناء بقدر وضع يديه على ركبتيه))[1] ، والسّنَّةُ في تَسْويَةِ الرّأسِ بالعجزِ ، والاعتماد باليدين على الرّكبتين مَعَ مُجافاتِهِمَا عَنْ الجنبين ، وتفريج الأصابع على الرّكبةِ ، والسّاقِ ، وبسط الظّهرِ[2] .

وَأَمَّا الذِّكْرُ في (الرّكوع) فَعَنْ رَسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، كَانَ يَقولُ في ركوعِهِ : ((سبحان ربِّيَ العظيم))[3] .

ثانياً . السّجود وأنواعه

(2) جامع المقاصد : ٢ / ٢٨٣ .

(3) ينظر ، فقه السنة : ١ / ١٥١ .

(4) سنن النّسّائي ، باب الذّكر في الرّكوع ، الحديث رقم (١٠٤٣) : ١٨٠ .

قَالَ تَعَالَى في مُحكمِ كتابِهِ العزيزِ : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[1] ، هكذا بَدأت قِصَّةِ السجودِ مَعَ آدمَ (عليه السلام) . مَعَ بَدءِ الخلقِ ، فَشَهِدَ سجودَ عِبَادٍ طَالمَا خَصَّهُمُ اللهُ (عزّ وجلّ) بِكرامَتِهِ ، فَأخلصوا لَهُ الطّاعةَ . ويخرجُ آدمُ (عليه السلام) مِنَ الجَنَّةِ ويعاودُ الاتصالَ بِربِّهِ ، فَيُهيّئُ اللهُ (جلّ جلاله) لَهُ ذلك مِنْ بوابةِ (السّجود) ، بصورةِ صلاةٍ ، أولُهَا عودٌ إليهِ (جلّ وعلا) وقِمّتُهَا تحقيقُ الاتصالِ الروحيّ باللهِ تَعَالَى . وتمضي قصةُ (السجود والركوع) في القرآنِ الكريمِ مَعَ أبناءِ آدمَ (عليه السلام) ، فتمرُّ بسجودِ داوّدَ (عليه السلام) ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾[2] . ثُمَّ تَصِلُ بِنَا إلى قصّةِ سجودِ أبناءِ يعقوبَ (عليه السلام) لأخيهِم يُوسفَ (عليه السلام) : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[3] ، ثُمَّ تعرِّجُ بِنَا على السّيدةِ مريم (عليها السلام) ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[4] . وتمضي حَتَّى يرتسمُ الخطابُ القرآنيّ بهيئةٍ جديدةٍ ، بينَ المحبوبِ وحبيبِهِ ، بَينَ اللهِ (جلّ جلاله) وحبيبِهِ محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلّم) بمجموعةٍ كبيرةٍ مِنَ الآياتِ الكريمةِ يَحثُّهُ فيها على (السجود و الركوع) ، فَيحدِّدُ لَنَا مواقيتَ معينةً للتواصلِ والعبادةِ وتقديمِ الطّاعة لَهُ (جلّ جلاله) . في صورةِ صلواتٍ خمسٍ في اليومِ واللّيلةِ . قَالَ تَعَالىَ :

---

(١) البقرة : ٣٤ .

(٢) ص : ٢٤ . (*) ((عبّر بالراكع عن الساجد [هنا] ؛ لأنّه ينحني ، ويخضع كالساجد))، الكشّاف : ٩٢٤

(٣) يوسف : ١٠٠ .

(٤) آل عمران : ٤٣ .

﴿ أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً ﴾[1]. ثُمَّ لِنَقِفَ على آخرِ آيات (السجود و الركوع) وروداً في القرآنِ الكريمِ ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾[2] ، فنجدها تحملُ في معانيها أَجملَ مزيتين ، وهُمَا : العبادةُ ، وهي مِنْ جملة ما يُرادُ بالسجودِ ، و: الاقترابُ . ومفادُ هذه الآية : اقترابٌ بَعْدَ اقترابٍ . فالآيةُ تخاطبُ أَقربَ الخلقِ مِنْ خالقِهِ ، حبيبِ رَبِّ العالمين ، محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلّم) ، فكيفَ يكونُ الخطابُ مِنْ هذا اللّونِ إلاّ أَنْ يكونَ على أَتمِّهِ وأصدقِهِ وأدوَمِهِ .

هكذا يَحظى آدمُ (عليه السلام) بلونٍ مِنَ التّربيةِ الرّوحيةِ ، وهُوَ يَشْهدُ سُجوداً بجهةِ المقصودِ إليهِ لِيستقر في ذاتِهِ أَثرُ ذلك العمل ، وليكون أولَ الأعمالِ التي يتعرّفَهَا في حياتِهِ .

وجَاءَ الرّسولُ محمدٌ (صلى الله عليه وآله وسلّم) بالرّسالةِ الخاتمةِ ، وجاءتْ مَعَهُ المعجزةُ الخالدةُ (القرآنُ الكريمُ) ، وحين وردَ إلينا (القرآن الكريم) جَلَبَ مَعَهُ كَمّاً هَائِلاً مِنَ المصطلحاتِ الإسلاميَّةِ أسواء ما كان معروفاً منها في لغةِ العربِ قَبْلَ النّزولِ وأَضفَى عليها . بعدَ نزولِهِ . حُلَّتَهُ الإسلاميّةِ ، أَمْ مَا كَانَ جَديداً على العربيةِ ؛ ليأخُذَ بَعدَ ذلك سبيلَهُ في معتقداتِ المسلمين وحياتِهِم العباديّةِ .

وَمِنْ تلك المصطلحاتِ القرآنيَّةِ : (السّجود والرّكوع) . وعلى الرَّغمِ مِنْ وجودِ اللّفظينِ في لُغَةِ عَرَبِ الجاهليةِ ، فَقَد زاد عليهما الإسلامُ ما جعلَهُمَا مصطلحين عباديَّين بُنِيَتْ عليهِمَا أَركانُ الصَّلاةِ في الإسلامِ .

وَلَمْ يَكنْ (السّجود و الرّكوع) حديثي الوجودِ مَعَ الإسلامِ أو قبلَهُ بقليلٍ بَلْ يَمتدُ وجودُهمَا مَعَ بدايةِ الوجودِ البشريّ ، ومُنْذُ خلقِ آدمَ (عليه السلام) حين شَهِدَ أول سجودٍ في حياتِهِ بـ (سجود الملائكة) .

(١) الإسراء : ٧٨ .

(2) العلق : ١٩ .

وَقَدْ قُصِرَ الخلقُ على العبادةِ فَحَسْب ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[١] ، مِنْ هُنَا نَبَعَتْ أَهَمِّيةُ (السّجود و الرّكوع) في حياةِ بَنِي الإنسانِ ، بَلْ في قِصَّةِ الوجودِ بأكمَلِهِ ، فانمازَ (السجود و الركوع) بنصيبٍ وَافرٍ مِنَ الأَهمِّيةِ لَدَى اللهِ (جلّ وعلا) حين اختصَهُمَا بخمسِ مِنَ المرات وَمئةٍ مِنَ الورود في كتابِهِ العزيز[٢] ، وأُورِدُ فيمَا يلي الآياتِ التي جَاءتْ فيها المادتان في القرآن الكريم لتتمَّ فائدة حصرِ هذهِ الآيات الكريمة في هذهِ الرّسالة بعدَ أنْ عُنيت بدراستها ، قَالَ تَعَالَى في مُحْكَمِ كِتَابِهِ العزيزِ ، بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ :

- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[٣] .
- ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[٤] .
- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٥] .
- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٦] .

---

(١)الذاريات : ٥٦ .

(٢) وردت مادة (سجد) في اثنين وتسعين موضعا من القران الكريم ، في أربع وخمسين موضعاً مكياً ، وثمانٍ وثلاثين موضعاً مدنياً . فيما وردت مادةُ (ركع) في ثلاثة عشر موضعاً من القران الكريم ، في موضعٍ مكيٍّ واحد ، واثني عشر موضعاً مدنياً .

(٣) البقرة : ٣٤ .

(٤) البقرة : ٤٣ .

(٥) البقرة : ٥٨ .

(6) البقرة : ١١٤ .

- ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[1] .

- ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[2] .

- ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[3] .

- ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[4] .

- ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[5] .

- ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ ﴾[6] .

---

(١) البقرة : ١٢٥ .

(٢) البقرة : ١٤٤ .

(٣) البقرة : ١٤٩ .

(٤) البقرة : ١٥٠ .

(٥) البقرة : ١٨٧ .

(٦) البقرة : ١٩١ .

- ﴿ وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1] .

- ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[2] .

- ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[3] .

- ﴿ لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[4] .

- ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾[5]

---

(1) البقرة : ١٩٦ .

(2) البقرة : ٢١٧ .

(3) آل عمران : ٤٣ .

(4) آل عمران : ١١٣ .

(5) النساء : ١٠٢ .

- ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُواْ فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً ﴾[1] .

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[2] .

- ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[3] .

- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾[4] .

- ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾[5] .

- ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[6] .

- ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[7]

- ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾[8] .

---

(١) النساء : ١٥٤ .

(٢) المائدة : ٢ .

(٣) المائدة : ٥٥ .

(٤) الأعراف : ١١ .

(٥) الأعراف : ١٢ .

(٦) الأعراف : ٢٩ .

(٧) الأعراف : ٣١ .

(٨) الأعراف : ١٢٠ .

- ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1] .

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾[2] .

- ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ إِلاَّ الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾[3] .

- ﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[4] .

- ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾[5] .

- ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾[6] .

- ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[7] .

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاء إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[8] .

---

(١) الأعراف : ١٦١ .

(٢) الأعراف : ٢٠٦ .

(٣) الأنفال : ٣٤ .

(٤) التوبة : ٧ .

(٥) التوبة : ١٧ .

(٦) التوبة : ١٨ .

(٧) التوبة : ١٩ .

(٨) التوبة : ٢٨ .

- ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[1] .

- ﴿ لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[2] .

- ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] .

- ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[4] .

- ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[5] .

- ﴿ وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾[6] .

- ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[7] .

- ﴿ فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[8] .

---

(١) التوبة : ١٠٧ .
(٢) التوبة : ١٠٨ .
(٣) التوبة : ١١٢ .
(٤) يوسف : ٤ .
(٥) يوسف : ١٠٠ .
(٦) الرعد : ١٥ .
(٧) الحجر : ٢٩ .
(٨) الحجر : ٣٠ .

- ﴿ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾[١] .
- ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾[٢] .
- ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[٣] .
- ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾[٤] .
- ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّداً لِلّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾[٥] .
- ﴿ وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[٦] .
- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾[٧] .
- ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً ﴾[٨] .
- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾[٩] .
- ﴿ قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّداً ﴾[١٠]

---

(١) الحجر : ٣١ .
(٢) الحجر : ٣٢ .
(٣) الحجر : ٣٣ .
(٤) الحجر : ٩٨ .
(٥) النحل : ٤٨ .
(٦) النحل : ٤٩ .
(٧) الإسراء : ١ .
(٨) الإسراء : ٧ .
(٩) الإسراء : ٦١ .
(١٠) الإسراء : ١٠٧ .

- ﴿ وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً ﴾[1] .

- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾[2] .

- ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾[3] .

- ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾[4] .

- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾[5] .

- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾[6] .

- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاء الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[7] .

- ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[8] .

---

(١) الكهف : ٢١ .
(٢) الكهف : ٥٠ .
(٣) مريم : ٥٨ .
(٤) طه : ٧٠ .
(٥) طه : ١١٦ .
(٦) الحج : ١٨ .
(٧) الحج : ٢٥ .
(٨) الحج : ٢٦ .

- ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .

- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2] .

- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً ﴾[3] .

- ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً ﴾[4] .

- ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾[5] .

- ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾[6] .

- ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[7] .

- ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[8].

- ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[9]

---

(1) الحج : ٤٠ .
(2) الحج : ٧٧ .
(3) الفرقان : ٦٠ .
(4) الفرقان : ٦٤ .
(5) الشعراء : ٤٦ .
(6) الشعراء : ٢١٩ .
(7) النمل : ٢٤ .
(8) النمل : ٢٥ .
(9) السجدة : ١٥ .

- ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾ (١)

- ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٢) .

- ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ (٣) .

- ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ (٤) .

- ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (٥) .

- ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٦) .

- ﴿ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ (٧) .

- ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ (٨) .

---

(١) ص : ٢٤ .
(٢) ص : ٧٢ .
(٣) ص : ٧٣ .
(٤) ص : ٧٥ .
(٥) الزمر : ٩ .
(٦) فصلت : ٣٧ .
(٧) الفتح : ٢٥ .
(٨) الفتح : ٢٧ .

- ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[1] .

- ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾[2] .

- ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾[3] .

- ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾[4] .

- ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾[5] .

- ﴿ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾[6] .

- ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾[7] .

- ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾[8] .

- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾[9] .

- ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾[10] .

---

(1) الفتح ٢٩ .
(2) ق : ٤٠ .
(3) النجم : ٦٢ .
(4) الرحمن : ٦ .
(5) القلم : ٤٢ .
(6) القلم : ٤٣ .
(7) الجن : ١٨ .
(8) الدهر : ٢٦ .
(9) المرسلات : ٤٨ .
(10) الإنشقاق : ٢١ .

ـ ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾[1] .

١ . السّجود لله

أ . سجود الاختيار والتسخير

وهُمَا نَوعا السّجودِ في مُطلقِ مخلوقاتِ اللهِ ، وقد ذكرَ هذين النّوعين الرّاغبُ الأصفهانيّ (ت٤٢٥هـ) ،إذ قَالَ : وَهُوَ عَامٌّ في الإنسانِ ، والحيواناتِ ، والجماداتِ ، وذلك ضربان : سجود باختيار ، وليسَ ذلك إلا لِلإنسانِ ، وبهِ يستحقُ الثّوابَ ، نحو قَولهِ تعالى : ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾[2] ، أَي : تَذللوا له . والثاني : سجود تسخير ، وهُوَ للإنسانِ ، والحيواناتِ ، والنباتاتِ ، وعلى ذلك قولُهُ تَعَالَى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾[3] ، وقوله : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْاْ إِلَى مَا خَلَقَ اللّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلاَلُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَآئِلِ سُجَّداً لِلّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾[4] ، فَهذا سُجودُ تَسخيرٍ وهُوَ الدّلالةُ الصّامتةُ الناطِقةُ المُنَبِّهةُ عَلَى كَونِهَا مخلوقةً وأنَّها خَلْقُ فَاعِلٍ حَكِيمٍ .

وقولُهُ : ﴿ وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[5] ، يَنْطوي على النَّوعين مِنَ السّجودِ : التسخير ، والاختيار[6] .

---

(1) العلق : ١٩ .

(٢) النجم : ٦٢ .

(٣) الرعد : ١٥ .

(٤) النحل : ٤٨ .

(٥) النحل : ٤٩ .

(٦) ينظر، المفردات في غريب القرآن : ٢٢٩ . ٢٣٠ .

ب . سجود الصّلاة وركوعها

ومصاديقه كثيرة في القرآن الكريم[١] ، ومثاله من مادة (سجد) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾[٢] ، ومثالُهُ مِنْ مادةِ (ركع) قولُهُ تَعَالَى : ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[٣] ، ومثالُهُ مِنَ المادتين مجتمعتين في آيةٍ واحدةٍ ، قولُهُ تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٤] .

ت . سجود التّلاوة

رُويَ عَنْ الشّافعي (ت٢٠٤هـ) ، قوله : ((سجود القران أربع عشرة سجدة))[٥] ، ومثالُهُ قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾[٦] ، ويستوجبُ على مَنْ يَقرأُ آياتِ سجودِ التّلاوةِ والسّامعُ لَهَا السّجودَ للهِ تعالى .

---

(١) لم أرغب في وضعِ إحصائيةٍ محددةٍ لهذا النّوع من (السّجود) ؛ لخضوع الآيات التي وردت فيها المادتان (سجد و ركع) لتوجهيات المفسرين وحججهم العقلية والنقلية في تفسيرها ، واختلاف التوجيه الدلالي لها تبعاً لذلك .

(٢) الأعراف : ٢٠٦ .

(٣) البقرة : ٤٣ .

(٤) الحج : ٧٧ .

(٥) أحكام القرآن ، الجصّاص : ٣ / ٢٩٤ .

(٦) الحج : ١٨ .

ث . سجود التّوبة

لا يُوجدُ في القرانِ الكريمِ سجود التوبة في سوى قَولِهِ تعالى : ﴿ **قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ** ﴾[1] ، ((ومعنى السّجود [هنا] : أنَّ داوّدَ (عليه السلام) سجدَ خاضعاً لربّهِ ، معترفاً بذنبه ، تائباً من خطيئته ؛ فإذا سجد أحدٌ فيها فليسجد بهذه النية ؛ فلعلّ الله أن يغفر له بحرمة داوّد الذي اتبعه))[2] ، وكلام ابن العربي فيه نظر ، إذ ((يُعْلَمُ قطعاً أنّ الأنبياء . عليهم السلام . معصومون من الخطايا لا يمكن وقوعهم في شيءٍ منها ضرورة أن لو جوزنا عليهم شيئاً من ذلك بطلت الشرائع ولم نثق بشيءٍ ممّا يذكرون أنّه أوحى الله به إليهم))[3] ، على حين أنَّ الموضعَ هو سجود توبة ؛ ولكن لَمْ يَكُنْ ذلك السّجود من ذنبٍ ولكنّهُ من باب التقوى ، وقد رُويَ أن رسولَ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلّم) كانَ يستغفرُ الله ويتوبُ إليه ، قالَ صلى اللهُ عليه وآله وسلّم : ((يَاأَيُّها النَّاسُ ، تُوبُوا إلى اللهِ . فَإنِّي أَتُوبُ . في اليوم . إلِيهِ مِئَةَ مَرَّةٍ))[4] ، هذا مع علمنا أنَّ اللهَ غَفرَ لرسولهِ ماتقدَّمَ من ذنبهِ وما تأخّر ، قالَ تعالى : ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً** ﴾[5] .

---

(١) ص : ٢٤ .

(٢) أحكام القرآن ، ابن العربي : ٤ / ٥٨ .

(٣) البحر المحيط ، أبو حيّان الأندلسي : ٧ / ٥٢٣ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب االذكر والدعاءوالتوبة والاستغفار (باب استحباب الاستغفار والاكثار منه) الحديث (٢٧٠٢) : ١٠٤٠ .

(٥) الفتح : ٢ .

٢ . السجود لغير الله .

وردَ في القرآنِ الكريمِ ، وفي مواضع كثيرة مايدل ، ظاهراً ، على السّجود لغيرِ اللهِ (جلّ وعلا) ، وذلك على النّحوِ الآتي :

أ . السّجود لنبي الله آدم (عليه السّلام) .

وذلك حين أَمرَ اللهُ تعالى الملائكةَ بالسّجودِ لآدمَ (عليه السلام) . وَقَدْ وَرَدَ ذلك في القرآنِ الكريمِ في سبعةِ مواضع نذكرُهَا بحسبِ ترتيبِهَا في القرآنِ الكريمِ :

- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[١] .
- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾[٢] .
- ﴿ فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[٣] .
- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾[٤]
- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾[٥] .
- ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴾[٦] .
- ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾[٧] .

وسأعرضُ بالتفصيلِ ، لما يُرَادُ مِنْ ذلك السّجودِ في قَابِلِ هذه الرّسالةِ .

---

(١) البقرة : ٣٤ .
(٢) الأعراف : ١١ .
(٣) الحجر : ٣٠ .
(٤) الإسراء : ٦١ .
(٥) الكهف : ٥٠ .
(٦) طه : ١١٦ .
(٧) ص : ٧٢ .

ب . السّجود لنبي الله يوسف (عليه السّلام) .

وَرَدَ السّجودُ لِنبيِّ اللهِ يوسف (عليه السّلام) ، في موضعين مِنَ القرآنِ الكريمِ، وذلك في قولِهِ تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[1] ، وقولِهِ تَعَالَى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[2] .

ت . السّجود للشّمس[3]

وَرَدَ السّجودُ للشّمسِ مَرةً واحدةً في القرانِ الكريمِ : قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾[4] .

---

(١) يوسف : ٤ .

(٢) يوسف : ١٠٠ .

(٣) وهمت الباحثة عبير ياسين الراوي ، بقولها : ((وقد ذُكِرَ هذا اللفظ [أي : سجد] في القرآن الكريم اثنتين وتسعين مرة ... وجاءت دلالته على الخضوع لله في كلِّ الآيات التي ورد فيها)) ، ألفاظ الخضوع والكِبَر في القرآن الكريم دراسة دلالية : ٥٠ . فلم يشرْ السجود إلى الخضوع للهِ (جلّ جلاله) في كلِّ الآيات التي وردت في القرآن الكريم ، إذ يستثنى من ذلك الآية : ٢٤ ، من سورة النمل .

(٤) النمل : ٢٤ .

الفصل الأول

المستوى الصوتي لمادتي (سجد و ركع)
في القرآن الكريم

يمثلُ المستوى الصوتي واحداً من أربعة أركانٍ يقومُ عليها التحليلُ اللّغوي . إلى جانب المستوى الصرفي والمستوى النحوي والمستوى الدلالي . وفي المستوى الصوتي تضمنُ دراسةُ أصغر وحدةٍ في الكلمةِ وهو الصوتُ مِن حيث مخرجه وصفاته[١] . فالصوتُ ظاهرةٌ طبيعيةٌ نَدركُ أثرها من دون أَنْ ندرك كنهها ، فقد أثبت علماءُ الصّوتِ بتجاربَ لا يتطرقُ إليها الشّكُ في أَنَّ كُلَّ صوتٍ مسموعٍ يَستلزمُ وجودَ جسمٍ يهتز[٢] .

أمّا المخرجُ فَهُوَ المسلكُ في الجهازِ النّطقيّ وموضع الخروجِ مِنْهُ . ويتحددُ بأعضاءِ النّطقِ المشاركةِ في إخراجهِ ، أَو أكثرِهَا اشتراكاً في عمليةِ إخراجِهِ . لذا نُسِبَ مُعظمُ الأصوات إلى أعضاءِ النطقِ[٣] ، أَمَّا صفةُ الصّوتِ أو نوعُهُ فهي ((تلك الصفة الخاصّة التي تميز كلّ صوت عن صوت وإن اتحدا في الدرجة والشدة. وهكذا نستطيع أن نميز صوت الكمنجة من العود رغم احتمال اتحادهما في الدرجة والشدة))[٤]، وعلى ذلك فإنّ صفةَ الصّوتِ هي : ((الحالة التي يتصف بها الصوت اللغوي عند إخراجه من حيث رخاوته أو شدته أو جهره ... أو ما أشبه هذه الصفات))[٥] .

إنَّ أَصواتَ أَي لغةٍ مِنْ لغاتِ البشرِ عرضةٌ للتغيرِ ، والذي يميزُ ((لغتنا هو احتفاظها بأنسابها اللغوية ، فلم يعترها من التغير في النطق بحروفها ما اعترى سائر اللهجات في العالم . والسبب في ذلك سعة مدرجها الصوتي ... فانّ معجزة الكلمة العربية تتجلى في ثبات أصواتها التي تومئ الى مدلولاتها))[٦] . ومَا أداء قُرَّاءِ القرآنِ اليوم إلاّ دليلٌ حيٌّ على الحفاظ على أَصواتِ العربيةِ بصورتِهَا القديمةِ.

(١) ينظر ، مظاهر التطور في اللغة العربية المعاصرة (الموسوعة الصغيرة) ، د . نعمة العزاوي : ٤٢ .

(٢) ينظر ، الأصوات اللغوية ، د . إبراهيم أنيس : ٩ .

(٣) ينظر ، أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية ، د . رشيد العبيدي : ١٩٤ .

(٤) الأصوات اللغوية : ٨ .

(٥) أبحاث ونصوص : ١٨٨ .

(٦) ينظر ، دراسات في فقه اللغة ، د . صبحي الصالح : ٢٨٥ .

المبحث الأول

مخارج أصوات مادتي (سجد و ركع) وصفاتهما الصوتية

أولاً : مخارج أصوات مادة (سجد) وصفاتها الصوتية

١ . صوت (السين) مخرجه وصفاته الصوتية

(السّين) هو أولُ أحرفِ مادةِ (سجد) ، ولطرفِ اللّسانِ المستدقِ أثرٌ كبيرٌ في تكوينِ هذا الصّوت . لذا عدّه الفراهيديّ من الأصوات الأسلية ، مركزاً في كلامه على أثر اللسان في إنتاج هذا الصوت : ((والصاد والسين والزاي أسلية ؛ لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان))[١] . ولم يخالف سيبويه (ت١٨٠هـ) شيخه الخليل في تحديد مخرج السين ، غير أَنَّه حاول أَنْ يَضعَ وَصفًا أكثر دقّة مِنْ وصفِ أستاذه فزادَ عليه بقولهِ : ((ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مُخرَجُ ... السين))[٢] . ويقترب ابن جنّيّ (ت٣٩٢هـ) كثيرًا من وصف سيبويه لمخرج السين ، بقولِهِ : ((ومما بين الثنايا وطرف اللسان مخرج ... السين))[٣] . ومن نظرة سريعة إلى النّصِّ الأخيرِ نَلحظُ التشابهَ الكبير الذي يَصلُ إلى حَدِّ الألفاظِ التي استعملها ابنُ جنّي مَعَ الألفاظِ التي رَسمت ملامحَ وصفِ سيبويه لمخرجِ (السين) . على حين حاول الكثير من علماء التجويد تحري الدّقة والتفصيل معتمدين قول سيبويه في تحديد مخرج السين[٤] ، فأسسوا كلامهم على مقولة سيبويه ، المذكورة آنفاً ، في هذا الخصوص .

---

(١) العين : ٥٨/١ .

(٢) كتاب سيبويه : ٤٣٣/٤ .

(٣) سرّ صناعة الإعراب ، ابن جنّي :٦٠/١ .

(١) ينظر ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، د . غانم قدوري : ٢١٠ .

أمّا المحدثون ، فمنهم من يرى : أنّ (السين) صوت (أسناني لثوي)[١] . في حين عدّه بعضهم صوتاً (لثوياً)[٢] . ويعلق الدكتور كمال بشر ، قائلاً : من الملاحظ أَنَّ مخرجي نطق الأصوات الأسنانية اللثوية (التاء ، والدال ، والضاد ، والطاء ، واللام ، والنون) والأصوات اللثوية (الراء ، والزاي ، والسين ، والصاد) متقاربان لدرجة يصعب معها أحيانًا التفريق بينهما ، ويُفسّرُ هذا التقارب ما سَجّله بعضُ علماءِ الأصواتِ مِنْ ذكرِ (الزاي ، والسين ، والصاد) على أَنَّها مِنْ مخرجِ (التاء ، والدال ، والضاد ، والطاء ، واللام ، والنون) ولكنّه شعر . كما يقول . بحسب خبرته ونطقه الشّخصي أَنَّ هذهِ الأصوات ، أي: اللثوية ، أدخل قليلا في النطق والموضع من الأصوات اللثوية الأسنانية[٣] . فيما عدّه الدكتور بسّام بركة صوتًا (لثويًا) ، فالسين ((صامت احتكاكي(أو صفيري) ... لثوي مهموس غير مطبق))[٤] .

وأمّا تكوين (السّين) في وقتنا الحاضر فإنَّ ((الكثرة الغالبة الآن ينطقون بالسين من أول اللسان (مشرك معه طرف اللسان في بعض الأحيان) حين يلتقي بأصول الثنايا العليا))[٥] ، وربّما استساغ الدكتور إبراهيم أنيس التقاء طرف اللسان فويق الثنايا السفلى . وجعل الفروق بين هذه الأنواع من (السّين) ليست ذات أهمية من الناحية اللغوية . وإنَّ هذا الاختلاف في نطقها يرجع إلى ؛ اختلاف اللهجات ، وللتلون الصوتي الذي ينتج بسبب اختلاف الأداء الصوتي بين بيئة لغوية وأخرى[٦] . وفي الوقت الذي استساغ فيه الدكتور إبراهيم أنيس التقاء طرف اللسان أو أوله بأصول الثنايا العليا أو فويق الثنايا السفلى ، فإنّ الدكتور كمال بشر جعل اعتماد اللسان خلف الأسنان العليا فقط[٧] . ويبدو من كلام الدكتور إبراهيم أنيس أَنَّه يأخذ

(٢) ينظر ، الأصوات اللغوية : ٦٣ . و اللغة العربية معناها ومبناها ، د . تمّام حسّان : ٧٩ .

(٣) ينظر ، علم الأصوات ، د . كمال بشر : ١٨٤ .

(٤) ينظر ، علم الأصوات : ١٨٣ . ١٨٤ .

(٥) علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية ، د . بسّام بركة : ١٢٣ .

(٦) الأصوات اللغوية : ٦٣ .

(٧) ينظر ، الأصوات اللغوية : ٦٣ .

(١) ينظر ، علم الأصوات : ٣٠١ .

بالحسبان إلى جانب الفروق اللهجية بين بيئة وأخرى الأداء الصوتي للسين قديمًا وحديثًا .

أمّا الصّفات الصوتية التي يمتاز بها صوت (السّين) ، فهي : الهمس ، والرخاوة ، والانفتاح ، [١] ، والترقيق ، والصفيرية ، والاستفال ، والطلاقة ، والإصمات[٢] .

أمّا الهمس فهو عكس الجهر ، وهو ((حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النّفَسُ معه))[٣] . وَقَدْ لخّصَ الاستراباذي (ت٦٨٦هـ) فِكرةَ الجهر والهمس ، إذ يقول : ((قيل : والمجهورة تخرج أصواتها من الصدر ، والمهموسة تخرج أصواتها من مخارجها في الفم))[٤]. أمّا المحدثون فيرون أَنَّ المهموس هو : الذي لا يصحبه اهتزاز الوترين الصوتيين أو ذبذبتهما[٥] . ويمكن القول إنّ آية الهمس عدم اهتزاز الوترين الصوتيّين أو ذبذبتهما عند مرور الهواء بهما : ((فللنطق بالسين يندفع الهواء مارّا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين))[٦] .

و (السّين) صوت رخو ، وتعني الرخاوة عند القدامى : جريان الصوت جريانًا تامّاً[٧] ، بخلاف الشّديد الذي ((يمنع الصوت أن يجري فيه))[٨] ، والأصوات الرخوة عند المحدثين هي : الاحتكاكية ؛ لاحتكاكها بالمخرج[٩] .

و(السّين) من الأصوات المنفتحة ، وهي الصفة التي تقابل صفة الإطباق في الأصوات العربية ، يقول سيبويه : ((فأمّا المطبقة فالصاد ، والضاد ، والطاء،

(٢) ينظر ، كتاب سيبويه : ٤/٤٣٤– ٤٣٦ . و سرّ صناعة الإعراب : ١ / ٧٥ . ٧٦ .

(٣) ينظر ، اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٩ . و دراسات في فقه اللغة : ٢٨٢ . و أبحاث ونصوص : ١٨٤ . ١٩٧ .

(٤) كتاب سيبويه : ٤/٤٣٤ . و ينظر ، سرّ صناعة الإعراب : ١ / ٧٥ .

(٥) شرح شافية ابن الحاجب ، الرضي الاستراباذي : ٣ / ٢٥٨ . ٢٥٩ .

(٦) ينظر ، أبحاث ونصوص : ٢٠٠ .

(٧) الأصوات اللغوية : ٦٤ . وينظر ، علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية : ١٢٣ .

(٨) ينظر ، كتاب سيبويه : ٤/٤٣٤ . و سرّ صناعة الإعراب : ١ / ٧٦ .

(٩) كتاب سيبويه : ٤/٤٣٤ .

(١٠) ينظر ، أبحاث ونصوص :١٨٦ .

والظاء . والمنفتحة : كلّ ما سوى ذلك من الحروف))[١] . والانفتاح أوالاستفتاح عند المحدثين ، هو : جريان النَفَس لانفراج أو انفتاح ظهر اللسان عند النطق بالحرف وعدم إطباقه على الحنك الأعلى[٢] . و (السين) صوت مرقّق[٣] ، والترقيق صفة تلحق بالحرف عند إخراجه ، كصوت اللام إذا لم يضخّم ، وذلك إذا ما سُبِقَ بالكسر ، نحو قولنا : بالله ، ومن عند الله[٤] . ولكن الترقيق صفة ملازمة لصوت (السين) ذلك لأَنَّه إذا ضُخّمَ قد يتحول الى زاي أو صاد . و(السّين) صفيري وسُمّيت الأصوات الصفيرية بذلك ؛ لأَنَّها تخرج من بين الثنايا وطرف اللسان فينحصر الصوت هنالك[٥] و (السين) من أحرف الاستفال ، والاستفال ضد الاستعلاء ، وهو خروج الصوت من أسفل الفم بسبب تسفّل اللّسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأسفل[٦] . و (السين) من أحرف الطلاقة التي يكثر دورانها في بنية الكلمة العربية ، ولاسيما في البناء الذي زاد على ثلاثة أحرف [٧] .

و(السين) من أحرف الإصمات ، و الحروف المصمتة هي ما عدا الحروف المزلقة السّتّة ، المجموعة في قولنا : (فر من لب) [٨] .

ويُقلب (السين) إلى غيره من الأصوات الصامتة في اللغة العربية . ومن ذلك يقلب (السّين) إلى (الزّاي) ، فقبيلة ((كلب تقلب السين مع القاف خاصّة زايًا ، فيقولون في سَقْر : زَقْر ، وفي مسّ سَقَر : مسّ زَقَر))[٩] ، وهذا نوع من التأثر الرجعي النّاقص[١٠] .

---

(١) كتاب سيبويه : ٤٣٦/٤ .

(٢) ينظر ، دراسات في فقه اللغة : ٢٨٢ . و أبحاث ونصوص : ١٩٩ .

(٣) ينظر ، اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٩ .

(٤) أبحاث ونصوص : ١٩٥ .

(٥) يُنظر ، دراسات في فقه اللغة : ٢٨٢– ٢٨٣ . وأبحاث ونصوص : ١٨٨ .

(٦) ينظر ، دراسات في فقه اللغة : ٢٨٢ .

(٧) ينظر ، العين : ١/ ٥٣ .

(٨) ينظر ، سرّ صناعة الإعراب : ١ / ٧٨ .

(١) سرّ صناعة الإعراب : ١/ ٢٠٨ .

(٢) ينظر ، فقه اللغات السّاميّة ، كارل بروكلمان : ٥٧ .

٢ . صوت (الجيم) مخرجه وصفاته الصوتية

عَدَّ الفراهيدي (الجيم) صوتاً شجريا ، ((والجيم ... شجرية لأنّ مبدأ ها من شجر الفم . أي مفرج الفم))[١] ، ويحدد سيبويه مخرج (الجيم) بقوله : ((ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم))[٢] ، ويوافق ابن جنّيّ ما قرره سيبويه تمامًا في ذلك[٣] .

أَمّا علماء اللغة المحدثون ، فمنهم من يوافق القدامى في تحديد مخرج صوت الجيم من شجر الفم ، أو عند إلتقاء وسط اللسان بمنطقة وسط الحنك الأعلى ، حين يتخذ الهواء مجراه في الحلق والفم حتى : ((يصل إلى المخرج ، وهو عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى))[٤] . ومنهم من نسب صوت الجيم إلى الغار[٥] . وغار الفم الأعلى سطحه[٦] . في حين عدّه الدكتور بسّام بركة صوتاً حنكياً[٧] .

وفضلاً عمَّا أسماه الدكتور كمال بشر بـ (الجيم القاهرية) ، تحدّث عن نوعين آخرين للجيم في العربية . أمّا عن الجيم القاهرية ، فقد رجّح هذا النوع في بداية كلامه عنه ، وجعله احتمالاً قريباً إلى الصّحة وله ما يؤيده من النظر العلمي والواقع النطقي قديماً وحديثاً ، الاّ انّه عاد ليستبعد هذا الاحتمال[٨] لاصطدامه بوصف القدامى مثل هذا الصوت بغير المستحسن[٩] . وتوصف (الجيم القاهرية) بكونها : ((الجيم البالغة الشدّة : وهي التي تماثل القاف الثقيلة الشديدة والتي تنطق كما

---

(٣) العين : ٥٨/١ . وينظر ، النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري : ١ / ٢٠٠ .

(٤) كتاب سيبويه : ٤٣٣/٤ .

(٥) ينظر ، سرّ صناعة الإعراب : ٦٠/١ .

(٦) الأصوات اللغوية : ٦٥ .

(٧) ينظر ، اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٩ . و أبحاث ونصوص : ١٩٠ .

(٨) ينظر ، أبحاث ونصوص : ١٩٠ .

(٩) ينظر ، علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية : ١٢٤ .

(١) ينظر ، علم الأصوات : ٣١٢– ٣١٣ .

(٢) ينظر ، كتاب سيبويه : ٤٣٢/٤ . و علم الأصوات : ٣١٢– ٣١٣ .

تنطق الـ (G) في كلمة (Good) ... فأكثر المصريين ينطقون بهذه الجيم الشديدة التي لا يشوبها شيء من الرخاوة . ومخرجها في نطقهم أقصى الحنك))[١] .

أَمّا النوعان الآخران : فأولهما : ((يزعم بعضهم أنّ القدامى قد خانهم التوفيق في الحكم على الجيم وفي حسبانهم واحداً من أصوات (اجدت طبقك))[٢]. ولم يرجّح هذا الرأي ولم يمل إليه . امّا الآخر : فالجيم هي التي في (اجدت طبقك) ، إذ عدّها (الحروف الشديدة = الوقفات) ، وهي : ((الجيم التي صنّفناها ... صوتا مركبا = وقفة احتكاكية (dj) كما ينطقها القرّاء الآن))[٣] . أي : المركبة ، ومعنى التّركيب أَنَّ نُطْقَ هذا الصّوت يَستلزم طريقةً من طرائق النّطق أولاهما : الشِّدّة أو الانفجار ، والأُخرى : الرّخاوة أو الاحتكاك[٤] . ويستغرب الدكتور كمال بشر من وضع علماء العربية القدامى إيّاها مع الحروف الشديدة : (اجدت طبقك) في مجموعّة واحدة ، ويمضي . بعد ذاك . في محاولة لوضع تسويغٍ أو تفسيرٍ مقنعٍ ، إذ يقول : ((انّ أصوات (اجدت طبقك) كلّها ، ومن ضمنها الجيم ، يبدأ نطقها بوقوف الهواء في مواضع النطق ، ولكن في حالة الجيم وحدها تنفصل أعضاء النطق بعضها عن بعض ببطء ، فيتسرب الهواء محدثاً صوتاً احتكاكيا في الموضع نفسه . وهو صوت يعد جزءا لايتجزأ من نطق الجيم ، فتكون النتيجة صوتا مركبا (وقفة احتكاكية) ، مكونا من وقفة واحتكاك متلازمين أمّا في الباقيات من (اجدت طبقك) فيحدث الانفصال سريعا فينفذ الهواء سريعاً مفاجئاً محدثًا انفجارًا ... ومعنى هذا أنّ هذه الأصوات الثمانية جميعًا تشترك فيما بينها بخاصّة وقوف الهواء عند بداية النطق ، ولكنّها تختلف جذريًا في كيفية مرور الهواء بعد ذلك))[٥] .

---

(٣) علم الأصوات : ٣١٢ .

(٤) فقه اللغة ، كاصد الزيدي : ٤٧٧ .

(٥) علم الأصوات : ٣١٣ .

(٦) ينظر ، مناهج البحث في اللغة ، د . تمّام حسّان : ١٠٣ .

(١) علم الأصوات : ٣١٣- ٣١٤ .

ويبدو لي أَنَّ وضعَ القدامى صوت (الجيم) في مجموعة (أجدت طبقك) الذي اتفق في بداية نُطْقِهِ ، أو بقسمهِ الأولِ مَعَ سائر أصواتِ المجموعةِ نابع مِن اهتمامِ علماءِ العربيةِ ولاسيما الجيل الأول منهم بمخارجِ الحروفِ وبالتحديد بداية مخارج الحروف وانحباس الهواء فيها ، وهو هاجس رافقهم طويلاً في بدايات تنظير اللّغة ، فوجدَ نصيبًا له من القبول مَعَ بداياتِ سبرِ غورِ اللّغة واكتشاف مكنونها . يؤيده قول الدكتور كمال بشر : ((إنّ للعرب مندوحة في حسبان الجيم صوتًا شديدًا (وقفة) ولكن على أساس النظر الى بداية النطق دون نهايته ... فكأنهم تأثروا بالجزء الأول من نطق الجيم))[١] . وقد رجّح الدكتور بشر هذا التفسير ، فقال فيه : ((هو المعتمد عندنا))[٢] . وربّما كان هذا التفسير أكثر إقناعًا من التفسيرين الآخرين .

أمّا الصّفاتُ الصّوتيةُ التي يمتاز بِهَا صوتُ (الجيم) ، فَهِيَ : الجّهر ، والشدّة، والانفتاح[٣] ، والاستفال ، والقلقلة ، والتّعطيش ، والإصمات[٤] . أمّا صفات الانفتاح والاستفال والإصمات فهذه الصّفات أعينها التي يتصف بها صوت (السين) ، والمذكورة آنفاً[*] .

فصوتُ (الجيم) صوتٌ مجهورٌ ، والمجهورُ : ((حرف اشبع الاعتماد في موضعه ومنع النَفَسَ أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت))[٥] . وعلامة الصّوت المجهور عند المحدثين هو : اهتزاز الوترين الصوتيين عند مرور الهواء الخارج من الرئتين[٦] . و (الجيم) صوت شديد ، والشّديدة : ((هي الأصوات التي تتصف بتمام انحصار الصوت عند اسكانه في حالة تصويته ويجمعها قولهم (أجدت طبقك)))[٧] . وهو من أصوات القلقلة ، والقلقلة : صفةُ

---

(٢) علم الأصوات : ٣١٤ .

(٣) المصدر نفسه : ٣١٣ .

(٤) ينظر ، كتاب سيبويه : ٤/٤٣٤ . ٤٣٦ . و سرّ صناعة الإعراب : ١/٧٥ . ٧٦ .

(٥) ينظر ، دراسات في فقه اللغة : ٢٨٢ . ٢٨٣ . و أبحاث ونصوص : ١٨٤ . ١٩٧ .

(*) ينظر من هذه الرسالة : ٢٩ . ٣٠ .

(١) كتاب سيبويه : ٤/٤٣٤ .

(٢) ينظر ، الأصوات اللّغوية : ٢١ . و أبحاث ونصوص : ١٩٣ .

(٣) ينظر ، أبحاث ونصوص : ١٨٧ .

مجموعةٍ مِنَ الحروفِ ، أَسمَاهَا ابنُ جنّي : (الحروف المشربة)، فهي حروف : ((مُشْرَبَة تُحْفَزُ في الوقف ، وتضغط عن مواضعها وهي حروف القَلْقَلَة ... ؛ لأنّك لا تستطيع الوقوف عليها إلاّ بصوت))[١] . والقلقلة بنظر المحدثين : ((هي اضطراب الحرف وتحركه عند النطق به وهو ساكن حتى يسمع له نبرة قوية))[٢] . ومن صفات (الجيم) الأخرى : الانفجار ، وهو انطلاق الصّوت بعد انحباسه بسببٍ مِنْ قوةِ الاعتمادِ عَلى مخرجهِ[٣] . و (الجيم) صوت مُعَطَّش ، والتّعطيشُ هُوَ : ((اختلاط صوت الجيم الانفجاري بنوع من الحفيف يقلل من شدتها ، وهو واضح في لهجة الشام))[٤] . ويبدو أَنّ هذهِ الصّفة لنوعٍ مِنْ أَنواعِ (الجيم) ، ولا يمكن إعمامها عليها .

ويرى ابن جنّيّ أنّ : (الجيم) لا يكون بدلا إلاّ من (الياء) لا غيرها ، قال: ((وإذا كانت بدلا فمن الياء لاغير))[٥]، وذكر قولَ الراجزِّ :

عَمِّي عُوَيف وَأَبُو عَلجِّ
المُطْعِمَانِ اللَّحْمَ بالعَشِجِّ
وبالغَداةِ كسِرَ البَرْنج
تُقْلَعُ بالوَدِّ وَبالصّيصِجِّ[٦]

٣ . صوت (الدال) مخرجه وصفاته الصّوتية

(الدّال) هُوَ آخرُ أحرفِ مادةِ (سجد) صَنّفهُ الخليلُ بضمنِ الأحرفِ النّطعيّةِ، أي : الغارية ، ((والدال نطعيّة ؛ لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى))[٧] ، ويَصِفُ

(٤) سرّ صناعة الإعراب : ١ / ٧٧ .
(٥) دراسات في فقه اللغة : ٢٨٣ . وينظر ، أبحاث ونصوص : ١٩١ .
(٦) ينظر ، أبحاث ونصوص : ١٨٤ .
(٧) أبحاث ونصوص : ١٨٤ .
(٨) سرّ صناعة الإعراب : ١٨٧/١ . وينظر ، المصدر نفسه : ٣٨٩/٢ . ٣٩١ .
(١) ينظر ، المصدر نفسه : ١٨٧/١ .
(٢) العين : ٥٨/١ .

سيبويه مخرجَ (الدّال) مُحددًا إيّاه بقولهِ : ((ممّا بين طرف اللسان وأصول الثنايا))[١] .

أمّا المحدثون مِنْ علماءِ العربيةِ فيوافقونَ علماءَ السّلفِ ، إذْ يرونَ أَنَّ صُوتَ (الدّال) يتكون : عندما يلتقي طرفُ اللسانِ بأُصولِ الثنايا العليا التقاءً محكماً ، إذ يأخذ الهواء ((مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرج الصوت فينحبس هناك فترة[*] قصيرة جدًا لالتقاء طرف اللسان باصول الثنايا التقاءً محكمًا . فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سُمِعَ صوت انفجاري نسميه بالدال))[٢] . وعدّهُ الدكتور تمّام حسّان : صوتًا أسنانيًا لثوياً[٣] . وقد وضَعَ الدكتور كمال بشر صوتَ (الدّال) بضمنِ مجموعةٍ أَطلقَ عليها تسمية : (الوقفات الانفجارية) ؛ وقَدْ أَطلقَ عليها هذهِ التّسمية ؛ لأنَّ مجرى الهواء الخارج مِنَ الرئتين يُحبسُ حَبْسَاً تَامًّا ثُمَّ يُطلقُ سراحَه فيحدثُ صوتًا انفجاريًا : ((فهذه الأصوات باعتبار الحبس أو الوقف يمكن تسميتها بالوقفات (stops) ، ولكنّها باعتبار الانفجار قد تسمى الأصوات الانفجارية (explosives) . والأولى ما درجنا عليه وهو أَخذُ الخاصتين في الحسبان ، ومن ثمّ أطلقنا عليها (الوقفات الانفجارية)))[٤] . وكمَا نرى لا يبتعد رأي المحدثين عَنْ رأي أسلافهم مِنَ القدامى بل يوافقه وينتمي إليه .

أمّا الصّفاتُ الصوتيةُ لصوتِ (الدّال) فهيَ : الجهر ، والشّدّة ، والانفتاح[٥] ، والترقيق ، والاستفال ، والقلقلة ، والطلاقة ، والإصمات[٦] .

---

(٣) كتاب سيبويه : ٤/٤٣٣ .

(*) الصواب : مُدَّة .

(٤) الأصوات اللغوية : ٤٩ . وينظر ، علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية : ١١٥ .

(٥) ينظر ، اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٩ .

(٦) علم الأصوات : ٢٤٧ .

(١) ينظر ، كتاب سيبويه : ٤/٤٣٤ . ٤٣٦ . وينظر ، سرّ صناعة الإعراب : ١ / ٧٥ . ٧٦ .

(٢) ينظر ، اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٩ . و دراسات في فقه اللغة : ٢٨٢ . ٢٨٣ . و أبحاث ونصوص : ١٨٩ . ١٩٧ .

(*) ينظر ، من هذا الفصل : ٢٩ . ٣٠ .

(*) ينظر ، من هذا الفصل : ٣٣ .

أمّا صفاتُ الانفتاح ، والترقيق ، والاستفال ، والطلاقة ، والإصمات ، فهي الصفات عينها التي يتصف بها صوت (السّين) ، المذكورة سلفاً(*) . وأمّا صفاتُ الجّهر ، والشّدّة ، والقلقلة ، فهي الصّفات عينها التي يتصف بها صوت (الجّيم) ، وقد مرّ ذكرها(*) .

وقد تدغم (الدّال) في (تاء الفاعل) ، نحو قولنا : (اردت ، اَرتّ) . وتقلب (الدّال) إلى التّاء ، ((فحين نصوغ (افتعل) من فعل فاؤه صوت مجهور ، نلحظ أنّ (تاء) افتعل المهموسة تقلب أحيانا إلى نظيرها المجهور وهو الدال))[١] . ويبدو أَنَّ إدغام (الدّال) في التّاء ، أو قلبها في مثل هذه المواضع راجع إلى تقارب مخرجيهما وعدد من صفاتهما الصّوتية وهذا نوع من الادغام يُدعى (ادغام المتقاربين) لتقارب المدغمين (الدال والتاء) في المخرج وبعض الصفات[٢] .

وقد تبدل (التّاء) دالاً ، قال ابن جنّي : ((وأمّا البدل فإنّ فاء افتعل إذا كانت زياً قلبت التاء دالا ، وذلك نحو : ازدجَر ، وازدهى ، وازدار ، وازدان ، وازدلف ، وازدهف ، ونحو ذلك ، وأصل هذا كله ازتجر ، وازتهى ، وازتار ، وازتان ، وازتلَف ، وازتهف ، لأنه افتعل من الزجر ، والزهو ، والزّور ، والزين، والزَّلْف ، والزهف ، ولكن الزاي لمّا كانت مجهورة ، وكانت التاء مهموسة ، وكانت الدال أخت التاء في المخرج وأُخت الزاي في الجهر ، قرّبوا بعض الصوت من بعض ، فأبدلوا التاء أشبهَ الحروف من موضعها بالزاي ، وهي الدال، فقالوا : ازدجَر ، وازدار))[٣] . وتتماثل (الدّال) مع (القاف) التالية لها فتتحول إلى (ذال) ، فقيل : (ما ذقت عذوقًا ولا عذوقة)[٤] . وتتماثل (الدّال) مع الرّاء المفخّمة السابقة لها فتتحول إلى (ضاد) وذلك في لهجةِ الأندلس العربيةِ في القرنِ الرابعِ الهجري ، نحو : (معربض)[٥] .

---

(٣) الأصوات اللغوية : ١٤٨ .

(٤) ينظر ، الدراسات الصوتية : ٣٩٦ .

(١) سرّ صناعة الإعراب : ١٩٧/١ .

(٢) ينظر ، المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة ، د . صلاح الدّين صالح حسنين : ١١٢ .

(٣) ينظر ، التطور اللغوي ، د . رمضان عبد التّواب : ٣٨ . و المدخل إلى علم الأصوات : ١١٢ .

ثانياً : مخارج أصوات مادة (ركع) وصفاتها الصوتية

١ . صوت (الراء) مخرجه وصفاته الصوتية

(الرّاء) أول أحرفِ مادةِ (ركع) ، وقَدْ وصفَ الخليلُ مخرجه بـ(الذلقية): ((والراء ... ذلقية ، لأنّ مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفي ذلق اللسان))[١].

(١) العين : ٥٨/١ .

ويقاربُ سيبويه مخرج (الرّاء) من مخرجي (النون و اللام) لولا فوارق ضئيلة أثبتَهَا بقوله : ((ومن مخرج النون غير أنّه أدخلُ في ظهر اللسان قليلا لانحرافه الى اللام مُخْرج الراء))[١] ، وقد وافقه ابن جنّي في ذلك[٢] .

أمّا الباحثونَ المحدثونَ فقد وصفوا (الرّاء) بكونه صوتًا لثوياً[٣] ، وقَدْ وصفَ الدكتور إبراهيم أنيس الطريقة التي يتكون بها صوت (الرّاء) ، فقال : ((لتكوّن الراء يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل الى مخرجه وهو طرف اللسان ملتقيًا بحافة الحنك الأعلى))[٤] ، ويكون اللسان مسترخيًا في طريق الهواء الخارج من الرئتين . وتتذبذب الأوتار الصوتية عند النطق به[٥] .

ويبدو لي أَنَّ تذبذبَ الوترينِ الصوتيينِ سيمتدُ أثرهُ بالهواءِ المنبعثِ مِنَ الحنجرةِ إلى الحلق ثم الفم ، وحين يقترب اللسان مِنْ حافةِ الحنك الأعلى تزدادُ شدّة تذبب الهواءِ بسببٍ مِنْ تضييقِ الفتحةِ التي يحاولُ الهواءُ النفاذَ عبرها مِنْ جهة ، فضلاً عن وضعِ اللسانِ المسترخي مِنْ جهةٍ أخرى . مِمَّا يُعطي تأثيرًا مُضاعفًا للهواءِ في هزِّ طرفهِ وبالتالي حصولَ صفةَ التكريرِ في (الرّاء) . وإنَّ هذا التكرير أو الضّربات يعدانِ : ((بمثابة انسدادات (انغلاقات وانفجارات) صغيرة متتالية يتخللها رنين صوتي))[٦] .

أمّا الصّفاتُ الصوتيةُ التي ينمازُ بها صوت (الرّاء) فهي : التكرير ، والجهر ، والانفتاح[٧] ، والتوسط ، والاستفال ، والانفجار ، والذلاقة[١] .

---

(٢) كتاب سيبويه : ٤٣٣/٤ .

(٣) ينظر ، سرّ صناعة الإعراب : ٦٠/١ .

(٤) ينظر اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٩ . و علم الأصوات : ١٨٤ . و علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية : ١٢٨ .

(٥) الأصوات اللغوية : ٥٥ .

(٦) علم الأصوات : ٣٤٦ .

(١) علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية : ١٢٨ .

(٢) ينظر ، كتاب سيبويه : ٤٣٤/٤ . و سرّ صناعة الإعراب : ١ / ٧٥ . ٧٧ .

أمّا الانفتاح ، والاستفال فهاتان الصّفتان أعينهما اللّتان يتّصفُ بهمَا صوت (السّين) وقَدْ مَرّت بنا سلفاً(*) . وكذلك الجّهر ، والانفجار فقد مرّ ذكرهما ، أيضًا، في صوت (الجّيم)(*) . أَمَّا التكرير فهي صفة ينفرد بها هذا الصّوت عن سائر أصوات المادتين (سجد و ركع) زيادةً على أصوات العربية ، فـ(الرّاء): ((حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه الى اللام ، فتجَافَى للصّوت كالرِّخوة ، ولو لم يكرر لم يجرِ الصوت فيه))[٢] . والتكرير بنظر المحدثين يعني تَردد الصّوت بسبب طرقات اللسان ، فهو ((صامت ترددي))[٣] ، أي : مكرر . و(الرّاء) صوت متوسط ، وهي صفة : ((الأصوات التي لا يتم انطلاقها ولا انحباسها ، أي ليست بالشديدة في اللفظ ولا الرخوة فهي متوسطة بين الرخاوة والشدة ويجمعها قولك : (لن عمر)))[٤] . وتُنسب إلى (الرّاء) صفة الذلاقة ، وحروف الذلاقة عند الخليل ثلاثة : ((إعلم أنَّ الحروف الذُلْقَ والشَّفويَّةَ ستَّة وهي: ر ، ل ، ن ، ف ، ب ، م ... منها ثلاثة ذولقيّة : ر ، ل ، ن ، تخرج من ذَلْقِ اللسان من طرف غار الفم وثلاثة شفوية : ف ، ب ، م))[٥] . وقد أضيفت إليها الأحرف الشّفويّة الثلاثة وأطلق عليها جميعًا تَسمية : (حروف الذلاقة) ، وسُمّيت بذلك ؛ لأنّه يُعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه المستدق[٦] . أو بسبب من التغليب على الرغمِ من وجود ثلاثة أحرف شفويّة من بين حروفها الستّة[٧] . والذلاقة على أساس المخرج تقتصر على (الراء ، والنون ، واللام) ، إذ يُعتمدُ على طرفِ اللسان في انتاجها .

---

(٣) ينظر ، اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٩ . و دراسات في فقه اللغة : ٢٨١ . ٢٨٣ . و أبحاث ونصوص : ١٨٤ . ١٩٦ .

(*) ينظر ، من هذا الفصل : ٢٩ .

(*) ينظر ، من هذا الفصل : ٣٣ .

(٤) كتاب سيبويه : ٤٣٥/٤ .

(٥) علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية : ١٢٨ .

(٦) ينظر ، أبحاث ونصوص : ١٩٣ .

(١) العين : ٥١/١ .

(٢) ينظر ، الألفاظ اللغوية خصائصها وأنواعها ، عبد الحميد حسن : ١٤ .

(٣) ينظر ، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي ، د . حسام النعيمي : ٣٢٣ .

أمَّا الذلاقةُ الصفة ، فتشمل الستة (الراء ، والنون، واللام ، والفاء ، والباء ، والميم) . وقد نفى الخليل وجود بناء خماسي في اللغة العربية يخلو من هذه الحروف : ((فلمَّا ذَلَقَتِ الحروف السِّتَّةُ ومَذَلَ بِهنّ اللسان وسَهلَتْ عليه في المنطق كَثُرَت في أبنيةِ الكلام ، فليس شيء من بناء الخماسي التَّامِّ يَعْرَى منها أو من بعضها))[١]. وقال عن الرباعيّ : ((وأمّا البناء الرباعيّ المُنبَسِط فإنَّ الجمهور الأعظم منه لا يَعْرَى من الحروف الذُلْق أو من بعضها))[٢]

وفيما يخصُّ إبدالَ (الرّاء) إلى الأحرف الأخرى في العربية ، يرى ابن جنّي: أنّ (الرّاء) تُبدلُ (ياءً)[٣] ، إذ يقال : استمريت ، والأصل : استمررت .

٢ . صوت (الكاف) مخرجه وصفاته الصوتية

عدّ الخليلُ (الكاف) من الأصوات اللّهويّة ؛ لأنَّ مبدأه من اللهاة[٤] . في حين خالفه تلميذه سيبويه عندما عَدَّهُ صوتاً طبقياً وليس لهوياً ، فمخرجه : ((من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا وممّا يليه من الحنك الأعلى))[٥] . وقد تابعه ابن جنّيّ في ذلك[٦] .

فيما يقترب علماء اللغة المحدثون كثيراً مِنْ وصفِ سيبويه لمخرجِ (الكاف). فإذا وصل الهواء إلى أقصى الفَمِ ((قرب اللهاة انحبس .... انحباساً كاملا ؛ لاتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى))[٧] . ويضع الدكتور كمال بشر سببين لما يراه اشتباهاً من القدامى و عَددٍ من المحدثين . على وجهة نظره . في

(٤) العين : ٥٢/١ .
(٥) المصدر نفسه : ٥٣/١ .
(٦) ينظر ، سر صناعة الإعراب : ٣٧٧/٢ .
(٧) ينظر ، العين : ٥٨/١ .
(١) كتاب سيبويه : ٤٣٣/٤ .
(٢) سر صناعة الإعراب : ١ / ٦٠ .
(٣) الأصوات اللغوية : ٦٧ . وينظر ، اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٩ . و علم الأصوات : ٢٧٣ . و علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية : ١١٦ .

عدِّهمِ (الكاف) صوتاً لهوياً ، إذ يقول في أول هذين السببين : لعل هؤلاء وأولئك حسبوا اللهاة منطقة واسعة تغطي أقصى الحنك بما في ذلك اللهاة بمفهومهم . وثانيهما : إنَّهُمْ يتكلمونَ عَنْ صورةٍ أُخرى مِنْ صورِ نطقِ القافِ في القديمِ والحديثِ . هذه الصورةُ تتمثلُ بنطقِ أهالي الصعيد وبعضِ جهاتِ الوجهِ البحري في مصرَ ، وفي كثيرٍ مِنَ العامياتِ العربيةِ المختلفةِ . إنَّها في نطقِ هؤلاء جميعاً: حنكية قصّية مجهورة وهي النظير المجهور للكاف ، مع اشرابها شيئاً مِنَ الاستعلاءِ[١] . وهنا لابُدَّ مِنَ القولِ إنَّهُ إذا تعلّقَ السببُ الأولِ باعتقادهِ اتساع منطقة اللهاة بحيث تغطي أقصى الحنك ، رُبَّمَا يكونُ فرضاً مستحسناً منه ولابئسَ بهِ مِنَ الوجهةِ العلميّةِ أَمَّا السبب الثاني فلا يبدو مقنعًا تمامًا ذلك أَنَّ علماءَ اللغةِ ولاسيما المحدثينَ منهم . وبحكم مشافهةِ عددٍ منهم لابأسَ به أهلَ صعيدِ مصر . يميزون الفرقَ في لهجةِ صعيدِ مصرَ في نطق (الكاف و القاف) بصورةٍ مقاربةٍ لصوتِ (الكاف) كنطقِ صوتِ (G) في نسجِ الكلماتِ في اللغةِ الانكليزيةِ فإنَّهُمْ ينطقونَ صوتَ (الكاف) في الكلماتِ التي يُوجَدُ فيها أَصلاً بصورتهِ المشهورةِ وهو صوت بعيد . نسبياً . عَنْ صوتِ (القاف) . لذا لا يمكن أَنْ يشتبهَ الباحثُ اللغويُّ إلى هذا الحدِّ بَينَ (الكاف والقاف) .

وأمّا صفاتُ (الكاف) الصوتية فهي : الهمس ، والشدة ، والانفتاح[٢] ، والاستفال ، والإصمات[٣] .

فأَمَّا صفاتُ الهمس ، والانفتاح ، والاستفال ،والاصمات فهي الصّفاتُ عينها التي يتصفُ بِهَا صوتُ السّينِ وقَدْ درسناها آنفاً[*] . وأَمَّا صفةُ الشّدّةِ فَهي عينها التي يتصفُ بها صوتُ الجّيم وقد مَرَّ ذكرها[*] .

---

(٤) ينظر ، علم الأصوات : ٢٧٤ .

(١) ينظر ، كتاب سيبويه : ٤/٤٣٤ . ٤٣٦ . و سرّ صناعة الإعراب : ١ / ٧٥.٧٦ .

(٢) ينظر ، دراسات في فقه اللغة : ٢٨٢ . و أبحاث ونصوص : ١٩٥ . ١٩٩ .

(*) ينظر ، من هذا الفصل : ٢٨ . ٣٠ .

(*) ينظر ، من هذا الفصل : ٣٣ .

وأَمَّا إبدال (الكاف) من الحروف الأخرى في العربية فتُبدلُ (الكاف) من (التاء)؛ لأنّها أختها في الهمس[١] ، نحو قول بعضهم : أَحْسَنْكَ واللهِ ، يُريدُ : أَحْسنتَ . فيما تبدل (الياء) من (الكاف) ، نحو : مكّوك و مكاكيّ ، فالياء الثانية بدل من كاف ، وأصلها : مكاكيك[٢] .

٣ . صوت (العين) مخرجه وصفاته الصوتية

وقفَ (العين) بصدارةِ الحروفِ العربيةِ بحسبِ التصنيفِ الذي وضَعَهُ الخليلُ لمعجمهِ الموسوم بـ (العين) ، يقول الخليل : ((أقصى الحروف كلها العين))[٣] . وهو صوت حلقي[٤] ، بحسبِ ما قررهُ . ولم يلتبس على الخليلِ . كما يَشيع عندَ كثيرٍ مِنْ باحثينا . وجودَ أصواتٍ تَسْبِقُ (العين) مخرجاً ، ((وأمّا مخرج العين .... فالحلق . وأمّا الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مَهْتُوتة مضغوطة فإذا رُقِّه عنها لانت))[٥] ، فهو يُقرّرُ أسبقيةَ الهمزةِ مخرجاً ؛ ولكنْ بسببِ كونها صَوتاً مهتوتاً مضغوطاً لَمْ يشأْ أَنْ يضعَهُ في أولِ معجمهِ ؛ هذا مِنْ جَانبٍ . فَضلاً عَمَّا يتمتعُ بِهِ صوتُ (العين) مِنْ نَصاعةٍ بينَ الحروفِ العربيةِ ، ((العين والقاف لا تدخلان في بناء إلاّ حَسّنتاه ؛ لأنهما أطلق الحروف واضخمها جَرْسا فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناء حَسُنَ البناء لنصاعتهما))[٦] . فَكَأَنِّي بِهِ وقَدْ تنبَّهَ إلى أَهمّيةِ عَملهِ وأَنَّهُ سَيَغْدُو مَعيناً ومرجِعَاً ساطِعَاً ينهلُ مِنْهُ طلبةُ العربية وباحثوها قديمُهُم ومحدثهم على اختلافِ مشاربِهم لِذَا رأى أَنْ يبتدئ هذا العمل بحرفٍ طلقٍ ضخمٍ ناصعٍ فكانَ : (العين) . ومِنَ المعلوم أَنَّ صوتَ (العين) لا يشاركهُ صوتُ آخر في العربيةِ ، في

---

(٣) ينظر ، سرّ صناعة الإعراب : ٢٩٠/١ .

(٤) ينظر ، المصدر نفسه : ٣٨٨/٢ .

(٥) العين : ٥٧/١ .

(٦) ينظر ، المصدر نفسه : ٥٨/١ .

(٧) العين : ٥٢/١ .

(١) العين : ٥٣/١ .

صفة النصاعةِ سوى صوت القاف إلاّ أنّ مخرج القاف مما يلي مخرج (العين) من اللهاة[١] . لذا تقدَّمَ (العين) عليه .

ويضع سيبويه صوت (العين) بضمن مجموعةِ (الأصوات الحلقية) على الرّغمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يجعل (العين) أولَ الحروفِ العربيةِ مخرجاً ، فقَدْ سبقتهَا أحرفُ (الهمزة ، والهاء ، والألف)[٢] . وقَدْ وافقهُ ابنُ جنّي في تحديد مخرجِ (العين) بالحلق[٣] .

أمّا علماءُ اللّغةِ المحدثونَ فَقَدْ قَرَّرُوا ، كذلك ، أَنَّ مخرجَ (العين) مِنْ الحَلْقِ[٤] . فـ ((مخرجه وسط الحلق . فعند النطق به يندفع الهواء مارًّا بالحنجرة فيحرك الوترين حتى إذا وصل الى وسط الحلق ضاق المجرى))[٥] . و(العين) هو النظيرُ المجهورُ للحاءِ . فالفرقُ بينهُمَا هُوَ : تذبذبُ الأوتارِ الصّوتيةِ مَعَ (العين) وعدم ذبذبتها مع الحاء[٦] .

أَمَّا الصّفاتُ الصوتيةُ لصوتِ (العين) ، فهي : الطلاقة ، والنصاعة ، والجهر ، والتوسط ، والانفتاح[٧] ، والترقيق ، والاستفال ، والانفجار ، والإصمات[٨] .

أَمَّا الانفتاحُ ، والترقيقُ ، والاستفالُ ، والإصماتُ ، فَهيَ الصّفاتُ عينها التي يتَّصفُ بها صوتُ السّينِ[*] ، وقد مَرَّ ذكرها . أَمَّا الجهرُ والانفجارُ فهُمَا الصّفتانِ أعينهما اللّتان يَتَّصِفُ بهمَا صَوتُ الجيمِ [*] ، وقَدْ مَرَّ بِنَا ذكرهُمَا ، أيضاً . ولا

---

(٢) ينظر ، المصدر نفسه : ٥٨/١ .

(٣) ينظر ، كتاب سيبويه : ٤٣٤/٤ .

(٤) ينظر ، سرّ صناعة الإعراب : ١ /٦٠ .

(٥) ينظر ، الأصوات اللغوية : ٧١ . و اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٩ . و دراسات في فقه اللغة : ٢٧٨ . و علم الأصوات أصوات اللغة العربية : ١٢٦ . و أبحاث ونصوص : ١٨٥ .

(٦) الأصوات اللغوية : ٧١ .

(٧) علم الأصوات : ٣٠٤ .

(١) ينظر ، العين : ٥٣/١ . ٥٤ . و كتاب سيبويه : ٤٣٤/٤ . و سرّ صناعة الإعراب : ٧٦.٧٥/١ .

(٢) ينظر ، اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٩ . و دراسات في فقه اللغة : ٢٨٢ . و أبحاث ونصوص : ١٨٤ . ١٩٧ .

(*) ينظر من هذا الفصل : ٢٩ . ٣٠ .

حاجة بنَا إلى إعادتِهَا . خلا صفتي الطلاقة التي مَرَّ ذكرها مَعَ السّينِ ، والتوسط التي مَرَّ ذكرها مَعَ الرّاءِ ؛ ولخصوصيتِهِمَا مَعَ صوتِ (العين) سَأَبسِطُ الحديثَ عنهما هنا .

فـ (العين) مِنْ أطلقِ الحروفِ العربيةِ ولا يُشَارِكُهَا في هذهِ الصّفةِ إلاّ القاف(*) ، فـ ((ليس في كلام العرب دُعشوقة ولا جُلاهق ... وهذه الأحرف قد عَرِينَ من الحروف الذُلْق ، ولذلك نَزَرْنَ فقللنَ . ولولا ما لزمَهُنَّ من العين والقاف ما حَسُنَّ على حال . ولكن العين والقاف لا تدخلان في بناء إلاّ حَسَّنَتَاه ؛ لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جَرْسا))[١] . والطّلاقةُ مِنَ الصّفاتِ المُستَحسَنَةِ . وبَعدُ فـ (العين) صوت ناصع وهذه الصّفةُ تُعدُّ مِنْ جِنْسِ صِفَةِ الطّلاقةِ ، فالنصاعةُ في اللّغةِ : الشيء ((الشديد البياض ، الحسن اللون))[٢] . أَمَّا وصفُ (العين) بصفةِ التوسطِ ، أي : بينَ الرّخوةِ والشّديدةِ ، فأمر يعودُ إلى قربِ الشّبهِ بينهُ وبينَ صوتِ الحاء ، إذْ يقولُ سيبويه : ((وأمَّا العين فبينَ الرِّخْوة والشديدة ، تصل إلى الترديد فيها ؛ لشَبَهها بالحاء))[٣] . ورُبَّمَا هذا مَا دَعَا الدكتور كمال بشر إلى القولِ : ((والحقّ أن تكوين العين فيه غموض لم يتضح لنا تفسيره بعد ، وهي أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكاً))[٤] ، ورُبَّمَا كانَ هذا السّببُ وراءَ موقفِ عُلماءِ العربيةِ القدامى في عدّهم (العين) صوتاً متوسطاً بينَ الرّخاوةِ والشّدّة[٥] .

(*) ينظر من هذا الفصل : ٣٣ .

(*) يرى الدكتور رشيد العبيدي : إنَّ أحرف الطلاقة أربعة ، فزاد على العين والقاف ، السين والدال . ينظر، أبحاث ونصوص : ١٨٩ .

(٣) العين : ٥٣/١ .

(٤) ينظر ، العين ، (باب العين والصاد والنون معهما) : ٣٠٦/١ .

(١) كتاب سيبويه : ٤٣٥/٤ .

(٢) علم الأصوات : ٣٠٤ .

(٣) ينظر ، المصدر نفسه : ٣٠٤ .

أَمَّا قلبُ الأحرفِ الأُخرى إلى (العين) في العربيةِ ، فَتُقْلَبُ الهمزةُ (عيناً) ، كما في : (أن وعن)[١] . وكذلك تُقلبُ الحاءُ إلى (العين)[٢] ، كما في : حتَّى وعتَّى .

وبَعدَ نهايةِ هذا المبحث تَوَضَّحتْ لَنَا مجموعة مِنَ الملاحظاتِ وهيَ على النحو الآتي :

أولاً : اتَّصفَتْ أَحرفُ المادتين جَميعاً بِصفتَي (الاستفال و الانفتاح) ، ولصفةِ الاستفالِ في أحرفِ المادتين ارتباط وثيق بالمعنى اللّغويّ للمادتين في القرآنِ الكريمِ ، وَهُوَ : (الذّلّ و الخضوع) .

ثانياً : انمازَ أَحدُ أَصواتِ المادتين بصفةِ (التّعطيش) ، وهيَ صفةُ صوتِ (الجيم) ينفردُ بها وحدهُ مِنْ بينِ أَصواتِ اللغةِ العربيةِ الأُخرى .

ثالثاً : انمازَ صَوتُ (العين) بصفةِ (النّصاعة) ، ولا يشاركهُ بهذهِ الصّفةِ . في اللّغةِ العربيةِ . غَيرُ صوتِ القافِ ، وهذهِ الصّفةُ أَكسَبَتْ (العين) رَونَقاً خَاصَّاً بِهِ مِنْ بَينِ أَصْوَاتِ المَادَتَين ، فَضلاً عَنْ أَصوَاتِ العربيةِ .

رابعاً : انفردَ أَحدُ أَصواتِ المادتين ، وَهُوَ صوتُ (الرّاء) بصفةِ التكريرِ ، وَهيَ صفة لا يشاركه بها واحدٌ مِنْ أَصْوَاتِ العَرَبيةِ اَلْبَتَّةَ .

المبحث الثاني

الظواهر الصوتية لمادتي (سجد و ركع) في القرآن الكريم

للحديثِ عَنْ الظّواهرِ الصوتيةِ لمادتيّ (سجد و ركع) في القرآن الكريم أَهمية تتبعُ مِنْ طَبيعةِ هاتينِ الصّيغتينِ ومشتقاتِهِمَا في النَّسيجِ الصّوتي للقرآنِ الكريمِ ،

(٤) ينظر ، الخصائص ، ابن جنّي : ١٣/٢ . و دراسات في فقه اللغة : ٦٩ .

(٥) ينظر ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، السيوطي : ٢٢٢/١ . ودرا سات في فقه اللغة : ٦٨ .

ويتعاورُ على تأكيدِ هذهِ الأَهميةِ تأثيرُ هاتينِ الصّيغتينِ صوتياً بِمَا يجاورهُمَا في النّسيجِ الصوتي مِنْ جهة ، وتأثرهما به من جهة أخرى .

وعلى الرّغمِ منْ تنوعِ الظّواهرِ الصّوتيةِ لصيغِ (سجد و ركع) في القرآنِ الكريمِ وجدنا أَنَّها لَمْ تَكُنْ بِتلكَ الكَثرة سَواء مَا صدرَ منهَا عَنْ قُرّاءِ القرآنِ ، أَو مَا اشتملتْ عليه المباحثُ الصوتيةُ في كتبِ اللّغةِ ، أَو كُتب تفسيرِ القرآنِ الكريمِ .

وبَعدَ البحثِ والتتبعِ أَلحقَ الباحثُ مَا صَلُحَتْ مَادتُهُ بِهذا المبحثِ ولَمْ يَعرض لسواه . فَلَمْ ينشغل . مثلاً . بالصّورِ الصّوتيةِ المتعددةِ للقراءاتِ القرآنيةِ في قولهِ تعالى : (أَلاَّ يَسْجُدُوا)[1] ؛ لأنَّ جلَّ مَا طرأَ مِنْ صورٍ صوتيةٍ ، عليها ، يتعلقُ بـ (ألاّ) ، لا بـ (يسجدوا) .

وقَدْ اشتملت مادتا (سجد و ركع) على الظّواهرِ الصّوتيةِ الآتيةِ : (الإتباع ، والإدغام الكبير ، وتسهيل همزة أَأَسجد وإبدالها وتحقيقها) ، وعامَّةُ هذه الظواهر تشاركُ مادتا (سجد و ركع) أصواتَ التراكيبِ الصوتيةِ التي تُوجَدُ فيها هاتان الصّيغتان سواء السابقة أو اللاحقة لهما . فتارة تظهرُ الصّيغتانِ بمظهرِ المُؤثرِ ، كَمَا حَصَلَ في ظاهرةِ : (الإتباع) ، وأخرى بمظهرِ المتأثرِ كَمَا حَصَلَ في : (تسهيل همزة أَأَسجد وإبدالها وتحقيقها) .

وَقَدْ جَاءَ تَرتيبُ هذهِ الظّواهر على مَا هيَ عليه مِنَ التّوالي مراعاةً لمعيارِ الكثرةِ والشيوعِ .

١ . الإتباع : في (للملائكة اسجدوا)
وفيه :

أ . ضم التاء في (للملائكة اسجدوا)

(١) النمل : ٢٥ .

وَرَدَ قولهُ تعالى : (للملائكة اسجدوا) في خمسةِ مواضعَ قرآنيةٍ كريمةٍ[١] . وقَدْ قُرِئَ : ((بضم التاء حالة الوصل في الخمسة إتباعًا لضم الجيم ، ولم يعتد بالساكن فاصلا))[٢] .

وَمِمَّا يَسَّرَ ضَمَّ (التّاء) في الوصلِ أَنَّ الصّوتَ يضعف جرسه في الإدراجِ والوصلِ[٣] . وبَعْدَ تَتَبُّعِ آراء علماءِ العربيةِ ، في تفسيرهم ضَمّ (التّاء) تنجلي لَنَا جملة آراءٍ ، وهي بالتفصيل على النحو الآتي :

١ . ضَمُّ (التّاء) ، هو إتباع لضمّ الجيم

ومفاده : إنَّ الضّمّةَ التي على (التّاء) إِنَّمَا هي إتباع لضمِّ الجيمِ عِنْدَ الوصلِ[٤]. ولكنْ إذا عُدْنَا إلى قولهِ تعالى : (للملائكة اسجدوا) وبعدَ إسقاطِ الهمزةِ في الوصل ، يتبن لنا الآتي : (للملائكة سجدوا) ، فالسّينُ كَمَا نرَى ستكون فاصلاً ، ((ولم يعتدّ بهذا الفاصل))[٥] . وربَّمَا كانَ ذلك بسببِ قوّةِ حركةِ الضمّةِ صوتياً ، فهي أقوى الحركاتِ وأثقلهَا ((وقيل ضُمّت ؛ لأنّ العرب تكره الضمة بعد الكسرة لثقلها))[٦] ، وهو رأي ضعيف لدى الزمخشريّ ، إذ يقول : ((ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الإتباع إلاّ في لغة ضعيفة ، كقولهم : الحمدِ لِلِه))[٧] . وهي لغةُ قبيلةِ أزد شنوءة[٨] .

---

(١) البقرة : ٣٤ ، و الأعراف : ١١ ، و الإسراء : ٦١ ، و الكهف : ٥٠ ، و طه : ١١٦ .

(٢) إتحاف فضلاء البشر في قراءات القراء الأربعة عشر ، البناء : ١٧٥ . وينظر ، المصدر نفسه : ٣٥٩، و ٣٦٨ ، و ٣٨٩ . و المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جنّي : ١٥٣/١ ، و ٣٥٠/١ ، و ٦٦/٢ . و الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري : ٧١ . و التبيان في إعراب القرآن ، العكبري : ٣٠/١ . و إعراب القراءات الشواذ ، العكبري : ١٧٤/١ . و تفسير البحر المحيط ، أبو حيان : ٢٢١/١ .

(٣) ينظر ، الخصائص : ٥٨/١ .

(٤) ينظر ، الإتحاف : ١٧٥ .

(٥) الإتحاف : ١٧٥ .

(٦) البحر المحيط : ١ / ٢٢١ .

(١) تفسير الكشاف : ٧١ .

(٢) ينظر ، البحر المحيط : ٢٢١/١ .

٢ . إنَّ ضَمّةَ (التّاء) هي حركةُ الهمزةِ المحذوفةِ في (اسجدوا)[١]

وهو رأي ضعيف لدى ابنِ جنّي ، إذ يقول : ((هذا ضعيف عندنا جداً ؛ وذلك أنّ (الملائكة) في موضع جرّ ، فالتاء إذاً مكسورة ، ويجب أن تسقطَ ضمّةُ الهمزةِ وصلاً . وهذا إنّما يجوز ونحوه إذا كان ما قبل الهمزة حرفاً ساكناً صحيحاً ، نحو قوله عزّ وجلّ (وقالت اخرج)[٢] ، وادخلُ ادخُل فَضُمَّ ؛ لالتقاءِ الساكنين لتخرج من ضمّة إلى ضمّة ، كما كانت تخرجُ منها إليها في قولك : اخرج . فأمّا ما قبل همزته هذه متحرك . ولاسيما حركة إعراب . فلا وجه لأن تُحذف حركته ويُحرك بالضم))[٣] . ومن الثّابتِ أَنَّ حركةَ الإعرابِ أَقوى مِنْ حركةِ البناءِ . وقَدْ دُفِعَتْ قراءة الكسائي (ت١٨٩هـ) : (بما أُنزلَّيك)[٤] ، مَعَ أنَّ حركةَ اللامِ حركةَ بناءٍ فَمَا بَالُنَا إِذَا كانت الحركةُ حركةَ إعرابٍ ، كَمَا هُوَ الحال مَعَ كسرةِ تاء الملائكة : ((فاذا قبح ذلك من ان حركة اللام بناء فما الظّنّ بما حركته إعراب ، وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء))[٥] .

٣ . شبهُ (التّاء) في الوصل بهمزة الوصل

قال أبو حيّان مُسوغاً لمن قَرَأَ بِضمِّ (التّاء) : ((وقد علّل ضمّ التاء ؛ لشبهها بألف الوصل ووجه الشبه انّ الهمزة تسقط في الدّرج لكونها ليست بأصل والتاء في الملائكة تسقط أيضًا ؛ لأنها ليست بأصل . ألا تراهم قالوا : الملائك))[٦]. وللباحِثِ أَنْ يسألَ ، بَعْدَ التّوضيحِ الآتي :

إذا كانت صّورةُ النّصِّ القرآني في قولهِ تعالى : (لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُوا) ، بفتح (الكاف) وكسرِ (التّاء) . فبعدَ حذفِ (التّاء) أَمَّا أَنْ تحتفظَ (الكاف) بحركتِهَا ، وهي

(٣) ينظر ، المحتسب : ١ / ١٥٣ .
(٤) يوسف : ٣١ .
(٥) المحتسب : ١٥٣/١ .
(٦) البقرة : ٤ .
(٧) المحتسب : ١٥٥/١ . وينظر ، التبيان في إعراب القرآن : ١٣/١ .
(١) البحر المحيط : ٢٢١/١ .

الفتحة ، أو أَنْ يجريَ عليهَا حُكْمُ حرفِ الجرِّ : (اللام) ، فَتُجَر . وفي كلتا الصّورَتين لا وجودَ لضمّةٍ ، وهنا يأتي السّؤالُ مِنْ أَينَ جِيءَ بهذهِ الضّمةِ ؟

ب . إشمام كسرة التاء في (للملائكة اسجدوا) ، الضّم

وقَدْ قُرِئَ بإشمامِ كسرةِ تاءِ الملائكةِ الضّمُّ[١] . ومعلوم أَنَّ إشمامها هُوَ دون تغييرها وإشمام كسرة (التّاء) يُبقي عليها نوعاً مَا ؛ ذلك أَنَّ الإشمامَ للعينِ فحَسب، فهو في الشفتين ، فالإشمام ((إنما هو للعين لا للأذن ، وليست هناك حركة البتة))[٢] . لذا لَمْ نلاحظ مِنَ اللغويين القدامى مِنْ أَعارَ هذا الرأيَ اهتماماً كالذي حصلَ مَعَ ضَمِّ التاء كما مَرَّ بِنَا سَلفاً .

٢ . الإدغام الكبير

الأصلُ في الإدغامِ ((تقريب صوت من صوت))[٣] ، وهو مِنَ الظّواهرِ الصوتيةِ التي استدعت اهتمامَ اللغويين قديمهم وحديثهم في جلِّ مؤلفاتِهِم .

(٢) الإتحاف : ١٧٥ . وينظر ، المصدر نفسه : ٣٥٩ ، و ٣٦٨ ، و ٣٨٩ .
(٣) الخصائص : ٧٤/١ .
(١) الخصائص : ١٤١/٢ .

والإدغامُ عِنْدَ قُدامى لُغويّي العربيةِ التقاءُ حرفين مِنْ جنسٍ واحدٍ أمَّا أَنْ يكونَ الأولُ منهما ساكناً وإمَّا متحركاً ، والثاني منهما متحركاً . فإذا كانَ الأولُ منهما ساكناً أُدْغِمَ في الثاني ، أي : يدخل فيه فيصيران مِنْ شدّةِ اتصالِهِمَا كحرفٍ واحدٍ يرتفعُ اللّسانُ عنهُمَا رفعة واحدة شديدة[١] . ويدخل في الحروفِ جميعاً إلاّ الألف اللينة . ويقعُ في الحروفِ المتماثلةِ في المخرجِ والمتقاربةِ سواء أكانت في كلمةٍ واحدةٍ أَمْ في كلمتينِ[٢] .

ويتبينُ أَنَّ خلاصةَ عمليةِ الإدغامِ ، هي : ((اللفظ بحرفين حرفًا كالثاني مشدّدًا))[٣] ، وقولهُ : كالثاني مشدّداً هُوَ الأصلُ في الإدغامِ[٤] . ويُسمّى عندَ كثيرٍ مِنَ المحدثين بـ (التماثل)[٥] .

ومِنْ أَنواعِ الإدغامِ : (الإدغام الصغير ، والأدغام الكبير) . ونعرض ها هنا لمفهوم (الإدغام الصغير) إلى جنبِ مفهومِ (الإدغام الكبير) ، الذي تضمنت مادته هذا المبحث ؛ لكونه ، أي : الإدغام الصغير ، مقارباً إليهِ في المفهومِ لولا اختلاف يسير ، أُوضِّحهُ بالآتي : (الإدغام الصغير) : هو إدغامُ ساكنٍ فيما يليهِ مِنْ غَيرِ فاصلٍ مِنْ أَصواتِ اللّينِ (الطويلة أو القصيرة) ، أو وقف . ولابدَّ أَنْ يكون الحرفُ الأولِ ساكناً ؛ لأنَّه إذا كان محركاً فصلت الحركةُ بينَ الحرفينِ وحالتْ دونَ السّماحِ بحصولِ التأثرِ بينهما[٦] . ويتبيّن لَنَا مِمَّا تَقَدَّمَ : أَنَّ حركةَ الحرفِ الأولِ في (الإدغام الصغير) السّكون . ولا يحتاج إلى نوعٍ من التغيير (إسقاط الحركة) ، كالذي يَحصلُ مَعَ (الإدغام الكبير) ، وهذا هُوَ الاختلافُ بعينهِ بَينَ الادغامينِ .

---

(٢) ينظر ، كتاب سيبويه : ٤٣٧/٤ ، و ٤٧٢/٤ . و شرح المفصّل ، ابن يعيش : ٤٨٧/٤ .

(٣) ينظر ، عمدة الصرف ، كمال إبراهيم : ٢٤٣ .

(٤) النشر : ٢٧٤/١ .

(٥) ينظر ، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء ، د . عبد الصبور شاهين : ١٢٧ .

(٦) ينظر : الأصوات اللغوية : ١٢٦ . و المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصّرف العربي ، د . عبد الصبور شاهين : ٢٠٥ .

(١) ينظر ، الدراسات الصوتية : ٣٩٨ .

على حين يَحصلُ (الإدغام الكبير) ، بخاصّة ، حين يلتقي حرفان وهُمَا مِنْ كلمتين وكانا متحركين ، إذ يُسكّن الحرفُ الأولِ ويدغمُ في الثاني سواء أكانا : مَثَّلين ، أَمْ متجانسين ، أَمْ متقاربين . وفي المِثْلَين : يُسكّن الأولُ ويتمّ الإدغام ، أمّا في المتقاربين : فَلا بُدَّ مِنْ قلبِ الأولِ إلى جنسِ الثاني[١] . وإسكانه ، بعد ذلك ، ليتسنّى إدغامه في الثاني .

وفي قوله تعالى : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً ﴾[٢] ، قُرِئَ بـ (الإدغام الكبير) بين (التاء والسين)[٣] ، وكذلك قُرِئَ في[٤] قوله تعالى : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾[٥] . والتّاءُ والسّينُ : مهموسان مستفلان ، فضلاً عن كونِهِمَا مِنْ حروفِ الاستفتاحِ[٦] . وهذا التقاربُ في السّماتِ الصّوتيةِ مِنْ شَأنِهِ تسهيلُ الإدغامِ . زيادة على السّمةِ الصّفيريَّةِ لصوتِ السّين وطولهِ الصّوتي اللذين غَلَّبَاهُ على صوتِ التّاءِ، الذي انمازُ بقصرهِ إذا مَا وازنَّاه بصوتِ السّينِ[٧] .

وكذلك قُرِئَ بالإدغام الكبيرِ بين (الدّال والذّال) في سورةِ الفتحِ[٨] ، قال تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾[٩]. والدّال والذّال: مهموسان مستفلان مستفتحان[١٠] . وفي هذا التقارب مِنَ السّماتِ الصّوتيةِ الكافيةِ لتسهيلِ الإدغامِ بينهُمَا .

---

(٢) ينظر ، الإتحاف : ٣٠ . و الدراسات الصوتية : ٣٩٨ . ٣٩٩ .

(٣) طه : ٧٠ .

(٤) ينظر ، غيث النفع في القراءات السبع ، السفاقسي : ٢٨٩ .

(٥) ينظر ، المصدر نفسه : ٣٠٨ .

(٦) الشعراء : ٤٦ .

(٧) ينظر ، دراسات في فقه اللغة : ٢٨١.٢٨٢ .

(٨) ينظر ، الأصوات اللغوية : ١٠٤ .

(٩) ينظر ، الغيث : ٣٥٦ .

(١) الفتح : ٢٩ .

(٢) ينظر ، دراسات في فقه اللغة : ٢٨١ . ٢٨٢ .

٣ . تسهيل همزة (أأسجد) ، وإبدالها وتحقيقها

لفهمِ طبيعةِ هذا الصّوت ، بصورةٍ أكبر ، سنعرِضُ بإيجازٍ لمفهومِ الهمزِ في اللغة . فالهمز في اللّغةِ : الضغط ، وكلُّ شيءٍ دفعته فَقَدْ همزتَهُ . والهمز : العصر ؛ وسُمْيَّتْ الهمزةُ ؛ لأَنَّها تُهمزُ فَتُهَتُّ فتهمزُ عَنْ مخرجِهَا . يُقال : هُوَ يَهتُّ هَتَّاً إِذَا تَكَلَّمَ بالهمزِ[١] . والهَتُّ : كسرُ الشيءِ حَتَّى يصير رفاتاً والهَتُّ : شِبْهُ العصر

(١) ينظر ، لسان العرب (مادة همز) : ٥٢/ ٤٦٨٩ . ٤٦٩٩ .

للصّوتِ[١] . والهمزةُ حرفٌ مستثقلٌ ((اعلم أنَّ الهمزة حرف مستثقل ؛ لأنّه نبرة في الصدر ... ، وإخراجُهُ كالتهوُّع))[٢] .

وقَدْ عَدَّ سيبويه : الهمزة أقصى الحروف مخرجًا ، وهي صوت مجهور[٣] ، ونسبَهَا الخليلُ إلى الجوف إذْ لَمْ يَكُنْ لَهَا حَيِّز تُنْسَبُ إليه[٤] .

في حين عَدَّهَا المحدثون : صَوتاً حنجرياً[٥] . ومنهم مَنْ قَالَ بهمسِهَا[٦] ، وبعضُهُم قَالَ بجهرِهَا[٧] ، ومنهم مَن رأى أنّها حرف لا مجهور ولا مهموس[٨] .

وللنطقِ بالهمزةِ : يُغلقُ مجرى الهواءِ بانطباقِ الوترين الصوتيين فلا يُسمحُ بمرورِ الهواءِ مِنَ الحنجرةِ ، ثُمَّ ينفرجُ الوتران فجأةً ، فينطلق الهواء منفجراً إلى خارجِ الفمِ فيخرج عندَهَا صوتُ الهمزةِ[٩] .

ومِنَ استشفافِ المعنى اللغوي للهمزةِ ، فضلاً عن الطبيعةِ التي يتكونُ فيها هذا الصّوت يتبيّن لَنَا وجودَ صعوبةٍ مَا في النطق بهذا الصّوت عن سائر الأصواتِ الصامتةِ الأخرى في العربية .

ثُمَّ أنَّ هذه الصعوبة تتضاعفُ عندَ توالي همزتين . بله إنَّ بُعْدَ مخرجِ الأصواتِ الحلقيةِ ، زيادة على طبيعةُ منطقةِ الحلقِ الفسلجيةِ تضعُهَا ، أي : الأصوات الحلقية ، في دائرةٍ من الصعوبةِ ، فـ ((حروف الحلق أقل الحروف تآلفاً في الكلام ؛ وذلك لصلابة عَضَل الحلق إذا قيست بمرونة عَضَل اللسان والشفتين ، فليست عضل

(٢) ينظر ، المصدر نفسه (مادة هتت) : ٥١/ ٤٦١٠ .
(٣) شرح الملوكي في التصريف ، ابن يعيش : ٢٢٨ .
(٤) ينظر ، كتاب سيبويه : ٤/٤٣٣ . ٤٣٤ .
(٥) ينظر ، العين : ١/٥٧ . ٥٨ .
(٦) ينظر ، اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٩ . و علم اللغة العام القسم الثاني الأصوات ، د . كمال بشر: ١١٢ . و المنهج الصوتي : ١٧٢ . و مشكلة الهمزة العربية ، د . رمضان عبد التواب : ٢٤.
(٧) ينظر ، اللغة العربية معناها ومبناها : ٧٩ . و المنهج الصوتي : ١٧٢ . و مشكلة الهمزة العربية : ٢٤ .
(٨) ينظر ، دراسات في فقه اللغة : ٢٨١ .
(٩) ينظر ، الأصوات اللغوية : ٧٢ ، وعلم اللغة العام القسم الثاني الأصوات : ١١٢ . و علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية : ١١٧ . ١١٨ . و اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د . عبده الراجحي: ١٠٥ .
(١٠) ينظر ، الأصوات اللغوية : ٧٢ . و علم اللغة العام : ١١٢ .

الحلق من المرونة بحيث تسمح باجتماع حروفه في كلمة ، ولاسيما فيما تقارب فيه المخرجان تقارباً شديداً))[١] . لذا عمدَ العربُ إلى خلقِ نوعٍ مِنَ التَّسهيلِ الصوتي الذي مِنْ شأنهِ تيسير النطقِ بالأصوات الحلقية . خاصّةً ـ ولا نكادُ نعدم مثلَ هذه التسهيلاتِ الصوتيةِ فيما يحصلُ للحركاتِ مَعَ حروفِ الحلقِ ، فَمَا بالنا مَعَ اجتماعِ المِثْلَين مَعَ تلك الأصواتِ ، ((ومن ذلك تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق ، نحو : شِعِير ، وبِعِير ، ورِغِيف))[٢] .

وقَدْ وردَ في سورة الإسراء توالي همزتين في : (أأسجد) ، قال تعالى : ﴿ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾[٣] . الأولى منهما : همزة استفهامٍ ، والأخرى : همزة قطع ، لحقت بالفعل الثلاثي للدلالةِ على الفاعلِ المفردِ المتكلمِ . إنَّ في دخولِ همزةِ الاستفهامِ على ما أوله همزة مفتوحة لا يسمح بحذفِ همزةِ القطع ، أي : الثانية ؛ لئلا يلتبس الاستخبار بالخبرِ ؛ لأنّ الهمزتين متفقتان إذ هما مفتوحتان[٤] . وإذْ إنَّ توالي همزتين مِمَّا لا يستسيغه اللسانُ العربي ، وإن كان في كلمتين ، ((فأمّا التقاؤهما على التحقيق من كلمتين فضعيف عندنا ، وليس لحنًا . وذلك نحو : قرأ أبوك ، و ﴿ السُّفَهَاء أَلَا ﴾[٥] ، و ﴿ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ ﴾[٦] ، و ﴿ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٧] فهذا كله جائز عندنا على ضعفه))[٨] . لذا يعمدُ العربُ في محاولةٍ للتخلص من هذا التوالي الوارد في : (أأسجد) إلى تسهيلِ الهمزة الثانية ، وإبدالها وتحقيقها ، وكما مبين في ما يأتي :

---

(١) الخليل بن أحمد أعماله ومنهجه ، د . مهدي الخزومي : ١٢٨ .

(٢) الخصائص : ١٤٥/٢ .

(٣) الإسراء : ٦١ .

(٤) ينظر ، شرح شافية ابن الحاجب : ٣٤٨/٢ .

(١) البقرة : ١٣ .

(٢) الحج : ٦٥ .

(٣) البقرة : ٣١ .

(٤) الخصائص : ٣/ ١٤٥ .

أ . تسهيل همزة (أأسجد) ، وفيه :

١ . التسهيل مع إدخال الألف

فقد قُرِئَ بتسهيلِ الثَّانيَّةِ مَعَ إدخالِ الألف[١] . فعندَ دخولِ همزةِ الاستفهامِ على همزةِ القطع المفتوحةِ فإنَّ للعربِ في التخلصِ مِن توالي الهمزتين طريقين :

أولهما : و ((أكثرهما قلب الثانية ألفًا محضًا . والثاني : تسهيل الثانية بين الهمزة والألف ، والأول أولى لأنّ حقّ الثانية كان هو الحذف لوقوعها في الدرج، والقلب أقرب إلى الحذف من التسهيل ؛ لأنّه إذهاب للهمزة بالكلية كالحذف))[٢]، فصوتُ الهمزةِ يحتاج إلى مجهودٍ عضليٍّ للنطقِ بهِ ، فكيف به إذا تكررَ متوالياً ، ((ولتيسير هذا المجهود يبدل بأحد الأصوات التي لا تستلزم مجهوداً عضلياً وهي أصوات المد واللين))[٣] . وبتسهيلِ الهمزةِ الثانيةِ وإدخالِ الألفِ نحصل على الصّورةِ الآتية : (أاسجد) ، وكما نلاحظ . وعلى الرغم من الصورة الجديدة للتركيب . يبقى معنى الاستفهام حاضراً فيه .

٢ . التسهيل بلا ألف

وقد قُرِئَ : بالتسهيل بلا ألف[٤] . ونحصل عندها على الصّورةِ الآتية للتَّركيبِ وهي : (أَ سجد) ، أي : بعد همزة الاستفهام مصوت قصير (الفتحة)، وهو مُصوتُ الهمزةِ التي سُهِّلَت .

ب . إبدال همزة (أأسجد)

وقَدْ قُرِئَ : بإبدالها ألفاً مَعَ المدِّ للساكنين[١] . وعند إبدالِهَا ألفاً يكون لدينا : (أاسجد) ، فحركةُ الألفِ : السكون ، والسين ساكن ؛ لذا يُعْمَدُ إلى المَدِّ للتخلصِ

(٥) الإتحاف : ٣٥٩ .

(٦) الشافية ٢ / ٣٤٨ .

(٧) ينظر ، القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث ، د . مي فاضل الجبوري : ٤٧ .

(١) ينظر ، الإتحاف : ٣٥٩ .

مِن التقاءِ الساكنين[٢] . فتكون صورة التّركيبِ هي الآتي : (أَآسجد) . والمدُّ هنا بمثابةِ جَلْبِ حركةٍ مِنْ جنسِ الألفِ للتخلصِ من توالي الساكنين ، أو التقائهما في درج الكلام الذّي لا يسوغه اللسانُ العربي ولا يميل إليه .

ولصوتِ المَدِّ مزية خاصّة لِمَا يمتلِكهُ من قوةِ إسماعٍ عاليةٍ[٣] ، تمكنّه من أداءِ المهماتِ الصوتيةِ والدلاليةِ على اختلافِ مستوياتهَا وأنّه سَيُبقي هنا على معنى الاستخبارِ معَ الصورةِ الجديدةِ للتركيبِ .

ت . تحقيق همزة (أأسجد) ، وفيه :

١ . تحقيق الهمزتين مع المدّ

وبتحقيقِ الهمزتين في (أأسجد)[٤] ، ستظهرُ جلياً صعوبةَ النطقِ بالهمزتين ، ولاسيما إذا كان النطق بهما متتاليتين ، من دون وجود فاصل . لذا عمدوا إلى استجلابِ مدةٍ لتسهيلِ آلية النطقِ بهمَا محققتين ، والمدّةُ هنا بمثابةِ الفاصل بينهما . وتضفي قوةً على النسيج الصوتي ؛ لِمَا تتمتع به أصوات المدّ من ((إعطاء الصوامت التي تكتنفها في الكلام قدرة على الإسماع))[٥] .

٢ . تحقيق الهمزتين من غير مدّ

وقُرِئَ : بتحقيقهما من غيرِ المدِّ[٦] . وستتجسدُ في هذه القراءة أصعب صور النطق بهمزتي (أأسجد) ، بتحقيقهما وتواليهما من دون وجود فاصل .

واستناداً إلى ما تقدم يبدو للباحث أنّ عادة العرب إذا اجتمعت الهمزتان عمدوا إلى إحداثِ تغييرٍ في إحداهما بقرينةِ دلالة إحداهما على كلتيهما ، وإنَّهم غالباً

---

(٢) ينظر ، المصدر نفسه : ٣٥٩ .

(٣) ينظر ، الشّافية : ٣٤٨/٢ .

(٤) ينظر ، في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ العربية ، د . غالب المطّلبي : ٤٥ .

(٥) ينظر ، الإتحاف : ٣٥٩ .

(١) في الأصوات اللغوية : ٤٥ .

(٢) ينظر ، الإتحاف : ٣٥٩ .

يعمدون إلى التغيير . في معظمه . إلى الهمزةِ الثانية لا الأولى ؛ لمّا كانت الأولى عنوانَ ذلك الإخبار . كَمَا حصل . بخاصّةً . في الفقرتين (أ) ، و(ب) .

الفصل الثاني

المستوى الصرفي لمادتي (سجد و ركع)
في القرآن الكريم

للمستوى الصرفي أهمية كبيرة تنبعُ مِنْ طبيعةِ مفهوم هذا الجانب فهو يُعنى ببنيةِ الكلمةِ وهي مفردة فيعرض لأحوالها وتغيراتها . دون الإعراب . والهيئةِ الناجمةِ عن هذه التغيرات التي تفيد دلالات مختلفة[١] .

ويُبنَى الجانبُ الصرفي على ثلاثِ دعاماتٍ أساسيةٍ هي[٢] :

١ . مجموعة من المعاني الصرفيةِ التي يرجعُ بعضها إلى تقسيمِ الكلمِ ويعود بعضها الآخر إلى تصريفِ الصيغِ .

٢ . طائفة من المباني تتمثلُ بالصيغِ المجردةِ والزوائد والأدواتِ .

٣ . طائفة من العلاقاتِ العضويةِ الإيجابيةِ ، وأخرى من المقابلاتِ أو القيَّمِ الخلافيةِ بين المعنى ، والمعنى وبين المبنى والمبنى .

ونطاقُ بحثِهِ الأسماء المتمكنة (المعربة) ، والأفعال المتصرفة (غير الجامدة)[٣] . ويستند هذا المستوى في مسائله ومعالجاته إلى نتائج البحث الصّوتي، وهو في الوقت نفسه يسهم في توضيح مشكلاته وتفسيرها[٤] .

وتستمدُ الدّلالةُ الصّرفيَّةُ رؤيتَهَا من طريق الصيغ وبنياتها . فأي تغيّر في الصيغة ، يؤدي . بالضرورة . إلى تغيّرِ في محتوى الدلالةِ ، من خلال الإضافةِ الصّوتيّةِ ، أو الحذفِ[٥] .

---

(١) ينظر ، الشّافية : ٧/١ .

(٢) ينظر ، اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٥ . ٣٦ ، و ٨٢ .

(٣) ينظر ، موجز التصريف خلاصة وافية لأبنية الكلمة العربية وتصريفاتها وأحكامها ، عبد الهادي الفضلي : ٨ . و الصرف الكافي ، د . أيمن أمين عبد الغني : ١٧ .

(٤) ينظر ، دراسات في علم اللّغة (القسم الثاني) ، د. كمال بشر : ٨٤ .

(٥) ينظر ، علم الصّرف الصّوتي : ١٥٢ .

أولاً : أبنية الأفعال :

١ . الماضية :

أ . (فَعَلَ)

انماز وزن الفعل الثلاثي (فَعَلَ) من سائر أوزان هذا الباب . أبواب الثلاثي المجرد . بكونه أخفَّ تلك الأوزان ، إذ أَهَّلته هذه المزية إلى الدوران مع كثرةِ الاستعمالاتِ المختلفة ، فـ ((لم يختصّ بمعنى من المعاني ، بل استعمل في جميعها ؛ لأن اللفظ إذا خفّ كثر استعماله واتسع التصرف فيه))[١] . وقد ورد الفعل (سجد) بهذه الصّيغة ، ولم يرد الفعل (ركع) بها .

على حين جاءت مادة (سجد) في التعبير القرآني بهذه الصّيغة في موضعين اثنين[٢] . قال تعالى : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[٣] ، وقال (جلّ جلاله) : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾[٤] ، ويُلحظ هنا أنّ الحوار مع رأسِ الجاحدين[٥] إبليس ، والسياق في قصّة آدم (عليه السلام) وأمر الله تعالى الملائكة بالسجود له (عليه السلام) . وهذا نوع من الخطاب ظهر فيه جليًّا غَلَبَةَ الملائكة (عليهم السلام) على إبليس عندما وُضِعَا في مقامٍ واحد من تلقي الأمر الإلهي ، فاستجاب الملائكة على الفور لأمر الله ولم يستجب إبليس لذلك ، ((واستثنى إبليس من الملائكة ؛ لأنه كان بينهم مأمورًا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ، ثم استثنى بعد التغليب))[٦] . ويزيد التّأكيدان الواردان في الآيتين الكريمتين : (كلهم) و (أجمعون) غَلَبَةَ الملائكة (عليهم السلام) على إبليس ،

---

(١) الشافية : ٥٣/١ .
(٢) الحجر : ٣٠ ، و ص : ٧٣ .
(٣) الحجر : ٢٩ . ٣٠ .
(٤) ص : ٧٣ .
(٥) ينظر ، الحوار في القرآن الكريم ، إسماعيل إبراهيم علي (رسالة ماجستير) : ٢٠٠ . ٢٠٤ .
(٦) الكشاف : ٥٦٠ . و ينظر ، المصدر نفسه : ٩٣١ . ٩٣٢ .

((فسجد الملائكة (كلهم) بحيث لم يشذ منهم أحد (أجمعون) بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد))[١] .

وغلبة الملائكة على إبليس بسجودهم لغير الله هو غاية الطاعة ومنتهى الالتزام بأوامره ونواهيه ، فقد ((تعبدهم الله بالسجود لآدم والعبادة في ذلك لله))[٢] .

ب . (فَعَلُوا)

وردت مادة (سجد) في القرآن الكريم بهذه الصيغة في ستةِ مواضع[٣] . وقد أُسندت صيغة هذا الفعل إلى ضمير المذكرين (الواو) . واُستعملت الصّيغة في المواضع جميعها في الإخبار عن سجود الملائكة لآدم (عليهم السلام) ، ماعدا ما ورد في سورة النساء ، إذ يقول تعالى : ﴿ **وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً** ﴾[٤] ، وجاء الخطابُ هنا لتحذيرِ المؤمنين من العدوِّ ، إذا حضرت الصلاةُ وهم في وقتِ الحربِ أو القتال وفيه بيانٌ لكيفيةِ أداء الصلاة من جهة ، وتسهيلٌ على المؤمنين إذا كانوا في حالِ قتالِ الكافرين من جهةٍ أُخرى . ويكفي من هذا التّسهيل أَنَّ المؤمنين ينقسمون طائفتين والإمام واحد ليصلوا خلفهُ الصّلاةَ المكتوبة[٥] .

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود : ١٤٨/٣ .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الغرناطي : ٢٣١/١ .

(٣) البقرة : ٣٤ ، والنساء : ١٠٢ ، والأعراف : ١١ ، والإسراء : ٦١ ، والكهف : ٥٠ ، و طه : ١١٦ .

(٤) النساء : ١٠٢ .

(٥) ينظر ، الكشاف : ٢٥٧ . ٢٥٨ . و مجمع البيان لعلوم القرآن ، الطبرسي : ٢٠٣/٥ . ٢٠٦ .

.....

٢ . المضارعة :

أ . (تَفْعُل)

استعمل القرآن الكريم مادة (سجد) بهذه الصيغة في موضعين اثنين[١] . إذْ قال الله تعالى : ﴿ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾[٢] . وقد أُسنِدَ هذا البناءُ إلى ضميرِ المخاطبِ المذكرِ ، وهو إبليس . وفي السياق استغراب واستخبار عن المانع الذي حال دون طاعةِ أمر اللهِ في السجودِ لآدمَ (عليه السلام) ، أي : شيء منعك أن تسجد[٣] . وجاءت الآية : (٧٥) من سورة : (ص) قريبةً من هذا المعنى .

ب . (يَفْعُلُ)

وردت مادة (سجد) بهذه الصيغة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع[٤] وقد استعملت في المواضع الثلاثة للإشارة إلى سجودِ مخلوقاتِ اللهِ عامَّةً بلا استثناء ، بما فيها : الحيّ والميت ، والمتحرك والجامد . كما أُستعملت للدّلالةِ على خضوعِ وانقيادِ مخلوقاتِهِ (جلّ جلاله) لا لشيء غيره ، بما فيها المؤمن به وغيره . ومثاله قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** ﴾[٥] ، ومضمون الآية الكريمة يتحدثُ عن سجودِ مخلوقاتِ اللهِ في الأرضِ والسماءِ ، ويشملُ هذا السياقُ المخلوقات المكلّفة من بني آدم ، ومخلوقات أخرى غير مكلّفة كالحيوانات . مثلا . وأخرى ليست حَيَّة أو جامدة كالشمس والقمر ،

---

(١) الأعراف : ١٢ ، و ص : ٧٥ .

(٢) الأعراف : ١٢ .

(٣) مجمع البيان : ٢٤٧/٨ .

(٤) الرعد : ١٥ ، والنحل : ٤٩ ، والحج : ١٨ .

(٥) الحج : ١٨ .

((والمراد بالسجود [هنا] هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه بأكمل أفعال المكلّف في باب الطاعة إيذانًا بكونه في أقصى مراتب التّسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصّة بالعقلاء))[١] .

ت . (نَفْعُلُ)

وردت مادة (سجد) بهذه الصّيغة في موضعٍ واحدٍ مِنَ القرآنِ الكريمِ . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً ﴾[٢] ، حيث أُستعمِلَت هذه الصيغة في سياقِ استنكارِ الكافرينَ السجودَ للرحمنِ بعد أمرهم بالسجود له (جلّ جلاله) . وفي السياق استكبار وتهكم واستهزاء من الكافرين بالأمر الذي تحملهُ الآيةُ الكريمةُ المباركةُ[٣] .

وهذا سياق يُشَابِهُ أمَرَ اللّه تعالى لإبليسَ بالسجود لآدم (عليه السلام) . وقد جاء هنا بضمير جماعة المتكلمين من الكافرين ، والحال واحد وهو رفضُ السجودِ بالجملةِ ، ورفضُ اتّباعِ أوامِرَهُ (جلّ جلاله) .

ث . (يَفْعُلانِ)

وقد وردت مادة (سجد) بهذه الصّيغة مرةً واحدةً في القرآنِ الكريمِ[٤] . وقد أُستعمِلَتْ هذه الصّيغة في سياقٍ معينٍ اختصَّ ببيانِ انقيادِ النباتِ فَحَسب لله تعالى ، وقوله (يسجدان) يشير إلى نوعين من المخلوقات ينتميان الى جنس واحد وهو النبات ، قال تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾[٥] ، قال الطباطبائي : (((والنجم والشجر يسجدان) قالوا : المراد بالنجم ما ينجم من النبات ويطلع من الأرض ولا

(١) إرشاد العقل السليم : ٩/٤ . و ينظر : ١٠٢/٣ . ١٠٣ . و ١٧٨/٣ .
(٢) الفرقان : ٦٠ .
(٣) ينظر ، الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي :٢٥٤/١٩ .
(٤) الرحمن : ٦ .
(5) الرحمن : ٦ .

ساق له ، والشجر ما له ساق من النبات ، وهو معنى حسن يؤيده الجمع والقرن بين النجم والشجر وإن كان ربّما أوهم سبق ذكر الشمس والقمر كون المراد بالنجم هو الكواكب . وسجود النجم والشجر انقيادهما للأمر الإلهي بالنشوء والنمو على حسب ما قدر لهما كما قيل ، وأدق منه أنهما يضربان في التراب بأصولهما وأعراقهما لجذب ما يُحْتَاجُ إليه من المواد العنصرية التي يغتذيان بها وهذا السقوط على الأرض إظهاراً للحاجة إلى المبدأ الذي يقضي حاجتيهما . وهو في الحقيقة الله الذي يربيهما كذلك . سجود منهما له تعالى))[1] . وبعد فالصّيغةُ من الأفعالِ الخمسةِ وقد أُسنِدَتْ إلى الألفِ والنون للدّلالةِ على المثنى ، وهما : (النجم والشجر) . وسياق الآية ، والآيات السابقة لها يوضح حقيقة إيجاد مخلوقات الله وهي عبادته (جلّ جلاله) . فالنجم والشجر وإن كانت لهما فائدة من سدِّ حاجة بني الإنسان من مأكل ومسكن إلاّ أنّهما مع كونهِمَا غير عاقلين يَسجدُان للهِ ويسبِّحُانه . والسّياق العقلي للقرآن الكريمِ يُرجِّحُ أَنَّ دلالة الفعل (سجد) بصيغة (يفعلان) تدل على الزّمن الماضي ، والحاضر ، والمستقبل ، مُذْ خلق اللّه (النّجم والشّجر) ، فدلالة (يفعل) على الزّمن : ((لا تقررها قرينة لفظية أو ظرفية ظاهرة ، وإنما تفهم من سياق العبارة القرآنية الكريمة))[2] . وقال الكاشاني (ت٩٨٨هـ) ، في تركيب الآيتيِّنِ : (٥ ، و ٦) من سورة الرحمن : ((وكان حَقُّ النظم في الجملتين ، أن يُقال : وأجرى الشمس والقمر ، وأسجد النجم والشجر، أو الشمس والقمر بحسبانه ، والنجم والشجر يسجدان له ، ليطابقا الاتصال إشعاراً بأنّ وضوحه يغنيه عن البيان وإدخال العاطف بينهما للتناسب بينهما ، وهو أنّ الشمس والقمر سماويان ، والنجم والشجر أرضيّان ، فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل))[3] .

ج . (يَفعُلُونَ)

---

(1) الميزان : ١٠٠/٢٧ .

(2) معجم الجملة القرآنية القسم الثاني الدلالة الزمنية للأفعال في القرآن الكريم ، طالب محمد إسماعيل : ٩٧ .

(3) زبدة التفاسير ، الكاشاني : ٥٤١/٦ . ٥٤٢ .

.....

وردت مادتا (سجد و ركع) بهذه الصيغة في خمسة مواضع من القرآن الكريم ، أربعة منها لمادة (سجد)[١] . ومرة واحدة لمادة (ركع)[٢] .

وقد استعمل القرآنُ الكريمُ هذه الصّيغة في مواضع معينة ، اثنين منها في بيان صفة المؤمنين الطائعين المنقادين له وحده لا شريك له سواء في وصف المؤمنين من بني آدم (عليهم السلام) كما في سورة (آل عمران)[٣] ، أم في وصف الملائكة (عليهم السلام) عباد الله الذين لا يعصونه طرفةَ عين ، كما في سورةِ (الأعراف)[٤] . والصّيغتان في الآيتين من مادة (سجد) . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ** ﴾[٥] ، يعني ملائكة الملأ الأعلى في قربهم من فضل اللّه ، لتوفرهم على طاعته ، وابتغاء مرضاته ، ويخصونه بالسجود والتذلّل ، ولا يشركون به أحداً . وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين[٦]

أَمَّا في سياقِ الآيات الثلاث الأخرى فقد وردت في ذمِّ الكافرين عامّةً ، من الذين يسجدون لغير الله تعالى ، أو الذين لا يسجدون له أولا يركعون له تقرباً وطاعةً ، قال تعالى : ﴿ **وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ** ﴾[٧] ، ((أي : إنهم من عبدة الشمس من الوثنيين))[٨] ، وقال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ** ﴾[٩] ، أي : ((لا يستكينون ولا

(1) آل عمران : ١١٣ ، والأعراف : ٢٠٦ ، والنمل : ٢٤ ، والإنشقاق : ٢١ .
(2) المرسلات : ٤٨ .
(3) الآية : ١١٣ .
(4) الآية : ٢٠٦ .
(5) الأعراف : ٢٠٦ .
(6) زبدة التفاسير : ٦٤٣/٢ .
(7) النمل : ٢٤ .
(8) الميزان : ٣٨٩/٢٧ .
(9) الانشقاق : ٢١ .

يخضعون))[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾[2] ، فالصّفة جاءت لتنفي الخشوع منهم وإن قيل لهم : اخشعوا ، واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة[3] .

ح . (تَفْعُلُوا)

وردت مادة (سجد) بهذه الصّيغةِ مرةً واحدةً في القرآنِ الكريمِ . وقد أُستعمِلَتْ في سياقِ النهيِّ عن السجودِ لغيرِ اللهِ من مخلوقاتِهِ ، وتوجيه السجود . الذي هو الإقرار بالعبودية والخضوع والتسليم . إليه وحده لا لغيره ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[4] ، فسياق الآية القرآنية الكريمة يشير إلى أنّ الليل والنهار والشمس والقمر آياته (جلّ جلاله) ، ولا يجوزُ التّوجه بالعبوديةِ إليهما ، ثمَّ ما هذا الاستكبار مِنَ البشرِ في تركِ عبادةِ الخالقِ وعبادة مخلوقاتِهِ ، (((ومن آياته) الدالة على شئونه[*] العظيمة (الليل والنهار والشمس والقمر) كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لأمر (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) ؛ لأنهما من جملة مخلوقاته المسخرة لأوامره مثلكم))[5] .

خ . (يَفْعُلُوا)

(1) الكشاف : ١١٩٠ .
(2) المرسلات : ٤٨ .
(3) ينظر ، الكشّاف : ١١٧١ . و إرشاد العقل السليم : ٥/٢٢١ .
(4) فصلت : ٣٧ .
(*) الصواب : شؤونه .
(5) إرشاد العقل السليم : ٥/ ٢٤ .

وردت مادة (سجد) بهذه الصيغة مرة واحدة في القرآن الكريم[١] . والصّيغة إحدى صيغ الأفعال الخمسة وقد أُستعمِلَتْ في سياقِ الحَضِّ على السجودِ للهِ لا لغيرِهِ . قال تعالى : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ * أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾[٢] ، وهي بلقيس بنت شراحيل وكانت هي وقومها مجوسًا يعبدون الشمس[٣] .

٣ . الأمـرية

(١) النمل : ٢٥ .

(٢) النمل : ٢٤ . ٢٥ .

(٣) ينظر ، الكشّاف : ٧٨٠ .

يُعَرَّفُ فِعْلُ الأمرِ بأنَّه : ((على طريقة المضارع للفاعل المخاطب ، لا يخالف بصيغتِهِ صيغَتَهُ إلاّ أن تنزع الزائدة ، فتقول في : تضع ضع وفي تضارب ضارب وفي تدحرج دحرج ، ونحوها ممّا أوله متحرك فإن سكن زِدت ؛ لئلا تبتدئ بالساكن همزة الوصل))[1] .

أ . (افْعُلْ)

وردت مادة (سجد) بهذه الصّيغةِ في موضعين اثنين من القرآنِ الكريم[2] . وقد استعملَ القرآنُ الكريمُ هذهِ الصّيغة في خطابِ اللهِ (جلّ جلاله) لرسولهِ محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) في الآيتين ، قال تعالى : ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً** ﴾[3] . وقال . أيضاً . (جلّ جلاله) : ﴿ **كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ** ﴾[4] ، وهو في الموضعين يريد الصلاة[5] .

ب . (افْعُلِي)

وردت مادتا (سجد و ركع) بهذه الصّيغة مرةً واحدةً لكلٍّ منهُمَا في الاستعمال القرآني . قال تعالى : ﴿ **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾[6] ، ويُلْحَظُ في هذا الموضعِ من القرآنِ الكريمِ أَنَّ صيغةَ : (افعلي) من المادتين أُسنِدَت إلى ضميرِ المخاطبةِ المؤنثةِ (الياء) ، والخطابُ موجهٌ إلى السّيدةِ مريم (عليها السلام) يأمرها الله (جلّ وعلا) ((بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلاة

(١) شرح المفصّل : ٣٠٢/٣ .
(2) الإنسان : ٢٦ ، والعلق : ١٩ .
(3) الإنسان : ٢٦ .
(4) العلق : ١٩ .
(5) ينظر ، الكشاف : ١١٦٧ ، و ١٢١٤ . و الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي : ٩٧/١٩ ، و ٨٦/٢٠ . و إرشاد العقل السليم : ٢١٨/٥ ، و ٢٧٥/٥ .
(6) آل عمران : ٤٣ .

))[1] . وقيل هذا أمر بلزوم العبادة والطاعة لا أن تسجد وتركع في جماعة المصلين[2] .

ولم يأتِ توجيه الخطاب في القرآن الكريم . فيما يخص السجود و الركوع . للمفردة المؤنثة إلاّ في هذه الآية الكريمة . وقد جاء بالمادتين (سجد و ركع) وربما وجّه ذلك بأهمية عبادة الأنثى وصلاتها من بني آدم (عليها السلام) وأهمية سجودها وركوعها في التكليف الفردي عند الله (جلّ وعلا) ، أو هو تكريم لجنس المرأة بتوجيه الخطاب إليها في سياق منفصل عن ذكر الرجل ، ومما يُعَظِّمُ هذا التّكريم وروده بصيغةِ (المفردة المؤنثة) لا بضميرِ جَمعِ الإناثِ ، ومن المادتين معاً .

ت . (افْعُلُوا)

وقد وردت مادتا (سجد و ركع) بهذه الصيغة اثنتي عشرة مرة في القرآن الكريم ، منها تسع مرات من مادة (سجد)[3] . وثلاث مرات من مادة (ركع)[4] . ويُلْحَظُ في هذه الصّيغةِ أَنَّ الأمرَ فيها قد أُسند إلى جماعةِ المُخَاطبين ، على حين أُستعمِلَت في القرآن الكريم في سياقاتٍ متعددةٍ . فجاءت طائفةٌ من هذه الاستعمالاتِ في قصّةِ آدمَ (عليه السلام) إذ أَمَرَ الله (جلّ جلاله) الملائكةَ بالسّجودِ لَهُ (عليهم السلام) . ومثالهُ قولُهُ تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً** ﴾[5] ، ونَلحَظُ ورودَ تحذيرِ اللهِ (عزّ وعلا) مِنْ غوايةِ الشّيطانِ والوقوعِ في المعصيةِ بَعْدَ ورود هذه الصيغة في الآية الكريمة التي ترد فيها ، أو في سياق الآيات التي ترد

(1) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، النسفي : ٢١٥/١ .
(2) مجمع البيان : ٣ / ٣٥٦ .
(3) البقرة : ٣٤ ، و الأعراف : ١١ ، و الإسراء : ٦١ ، و الكهف : ٥٠ ، و طه : ١١٦ ، و الحج : ٧٧ ، والفرقان : ٦٠ ، و فُصّلت : ٣٧ ، و النجم : ٦٢ .
(4) البقرة : ٤٣ ، و الحج : ٧٧ ، و المرسلات : ٤٨ .
(١) الكهف : ٥٠ .

بعدها ، وذلك بعد فشل إبليس في هذا الاختبار وصدورِ أول معصيةٍ للهِ تعالى منه (لعنه الله) ؛ لبيان أهميةِ الحذَرِ منه .

وقد جاءت هذه الصّيغة بمادتي (ركع و سجد) في آيةٍ واحدةٍ ـ من مواضع الورود . وجاء سياق الآية الكريمة في معرضِ حَثِّ المؤمنين وتحريضِهم على التّمسكِ بـ (الركوعِ والسجودِ) للربِّ (جلّ وعلا) وعبادتِهِ وفعلِ الخيراتِ ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، ففي الآيةِ دلالاتٌ معينةٌ ، فقد ((دعا المؤمنين أولا إلى الصلاة التي هي ذكر خالص ، ثمّ إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحج والغزو ، ثمّ عمّ بالحثّ على سائر الخيرات))[2] .

ومن الاستعمالات الأخرى لهذه الصيغة (افْعُلُوا) إنّها جاءت في سياق خطاب الجاحدين الكافرين ، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾[3] . ففيهِ أمرٌ للكافرين بالسجودِ للهِ وحده لا للآلهةِ التي يعبدون بعد إنكاره (جلّ جلاله) عليهم استهزائهم وعدم خشوعهم وشموخ كفرهم وهم لاهون لاعبون[4] .

وفي نهاية هذا المبحث نَلحَظُ أنّ التعبير القرآني لمادتي (سجد و ركع) قد استعمل الصّيغ الفعلية الثلاث (الماضية ، والمضارعة ، والأمرية) في سياقاتٍ متنوعةٍ ، وخطاباتٍ متعددةٍ . جاءت تارةً موجهةً لرسولهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعسكرِ المؤمنين ، وتارةً أُخرى موجهةً إلى الشّيطانِ ومعسكرِ الكافرين . مِمَّا ينبئُ عن مرونةِ المادتين في الاستعمالِ الصّرفيّ وأداءِ المعاني المتعددةِ مع اختلافِ الصّيغ الصّرفيّةِ لهما .

---

(٢) الحج : ٧٧ .

(٣) الكشاف : ٧٠٢ . وينظر ، مجمع البيان : ١٨٤/١٧ .

(٤) النجم : ٥٩ . ٦٢ .

(٥) ينظر ، الكشاف : ١٠٦٤ .

.....

ثانياً : المشتقات :

١ . المصدر

(((المصدر اسم الحدث الجاري على الفعل) قال الرضي يعني بالحدث معنى قائمًا بغيره . سواء صدر عنه كالضرب والمشي أو لم يصدر كالطول والقصر))[١] . وعدّهُ البصريون أصلَ المشتقاتِ ، فمصدرُ كلِّ شيءٍ أصلُهُ الذّي يخرجُ منه[٢] . وإذا كان الفعل غير متعدٍّ ، وكان مضارعه مضموم العين فإن المصدر منه يكون على (فُعُول) كـ (قُعُود)[٣] . و ((الغالب في فَعَلَ اللازم نحو : رَكَعَ ، على ركوع .... فُعُول))[٤] .

وقد وردت مادة (سَجَدَ) بصيغة المصدر : (سجود) في ستةِ مواضع من القرآنِ الكريم[٥] .

فالموارد التي جاء فيها يُلْمَحُ بالدّلالة على اسمِ الحدثِ لتحقيق دلالاتٍ معينةٍ فيمثّل الحدث نفسه وهو بمعنى الفاعل ، أي : صادر عن الفعل خلاف الفعل الذي هو حديث عن الحدث[٦] . وقد امتدت دلالته في القرآن الكريم ليدل على معنى الحدث[٧] . ويصبُّ هذا كله في تمييزِ المواضع التي ترد فيها مادة (سجد) بصيغة المصدر فلعلَّ في الاستعمال القرآني للسجود بصيغة (المصدر) إدلاءٌ بتوكيدِ الصّفةِ . صفة الخضوع والانقياد لله تعالى . بصرفِ النّظرِ عن الزمانِ والمكان وعن الذي يتصفُ بهذه الصّفةِ من العبادِ والمخلوقاتِ وقد كان للسياق الأثر الكبير في إيراد مادة (سجد) بهذه الصّيغة ففيه يُلْمَحُ التناسب والتلاؤم بين صيغة المصدر والسياق الذي وردت فيه . ففي قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ

(١) شرح الرضي على الكافية ، الاستراباذي : ٣٩٩/٣ .
(٢) ينظر ، كتاب التكملة ، أبو علي الفارسي : ٥٠٧ . ٥٠٨ . و الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، أبو سعيد الأنباري : ٢٣٨/١ .
(٣) ينظر ، المقرب ، ابن عصفور : ٢٨٧ . ٤٨٨ .
(٤) الشافية : ١٠٦/١ . ١٠٩ .
(٥) البقرة : ١٢٥ ، و الحج : ٢٦ ، و الفتح : ٢٩ ، و ق : ٤٠ ، و القلم : ٤٢ ، و ٤٣ .
(٦) ينظر ، الكافية : ٣٩٩/٣. ٤٠٠ ، و التسمية ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية ، د . حسين يوسف خريوش : ٦٨ .
(٧) ينظر ، نحو القرآن ، د . أحمد عبد السّتار الجواري : ٦٨ .

.....

﴿ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾[1] ، قال الطباطبائي : (((وأدبار السجود) الأدبار جمع دُبْرٍ وهو ما ينتهي إليه الشيء وبعده وكأنّ المراد بأدبار السجود بعد الصلوات فإن السجود آخر الركعة من الصلاة فينطبق على التعقيب بعد الصلوات ، وقيل : المراد به النوافل بعد الفرائض ، وقيل : المراد به الركعتان أو الركعات بعد المغرب))[2] ، ويمكن أن يراد بها بعد كل صلاة سواء أكانت مفروضة أم نافلة كما يُلمح الى ذلك قوله ((وكأن المراد بأدبار السجود بعد الصلوات))[3] ، وإنما أمكن لمثلِ هذه الدّلالة هُوَ صيغة المصدر (السجود) التي تدل على الحدث مجردًا من الزمان والمكان[4] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾[5] . قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ) : ((فإن قلت : لِمَ يُدعَونَ إلى السجود ولا تكليف ؟ قلت : لا يدعون إليه تعبدًا وتكليفًا ولكن توبيخًا وتعنيفًا على تركهم السجود في الدنيا مع إعقام أصلابهم والحيلولة بينهم وبين الإستطاعة تحسيرًا لهم وتنديمًا على ما فرطوا فيه حين دعوا إلى السجود وهم سالموا الأصلاب والمفاصل))[6] ، فلما سقط التكليف يوم القيامة عُبِّر عن إتيانِ فعلِ السجودِ بصيغة المصدرِ التي يمكن التّعبير بها عن الحدثِ مجردًا من الزمن والمكان[7] ، وهذا إلمَاحٌ لطيفٌ أَتَتْ بهِ الآيةُ المباركةُ ، فقد تناسب التعبير بالمصدر الذي هو مجرد من الزمان والمكان مع أمرهم بالسجود ولا تكليف آنذاك .

---

(١) ق : ٣٩ . ٤٠ .

(٢) الميزان : ٣٩١/١٨ .

(٣) المصدر نفسه : ٣٩١/١٨ .

(٤) ينظر ، الصّرف الكافي : ١٠١ .

(٥) القلم : ٤٢ . ٤٣ .

(٦) الكشاف : ١١٣٣ .

(١) ينظر ، الصرف الكافي : ١٠١ .

٢ . اسم المكان

هو اسم يدل على موضع الفعل بوزن (مفعل)[١] ، وقد كسروا العينَ فيما مضارعه مكسورَ العين ، وفتحوها فيما كان مضارعه مفتوحها ، وإنّما لَمْ يضموها فيما مضارعه مضمومها . وقد جاءت من (يَفْعُل) المضموم العين كلماتٌ سُمِعَ في عينِهَا الفتحُ والكسرُ مَعاً ، ومنها : (المفرِق ، المحشِر ، المسجِد ، والمنسِك)[٢] . ((وقد فرّق بين معناها بالفتح ، ومعناها في الكسر ، فقيل : إن معناها في حالة الكسر يُطلق على الاسم الجامد ، وأما الفتح ، فيدل على مكان الفعل ، فقيل مثلا : المسجِد بالكسر : المبنى ولو لم يُسجد فيه ، وبالفتح مكان السجود من الأرض ، ولو لم يكن في مبنى))[٣] . ومن الملاحظِ ورود اسمِ المكانِ من مادةِ (سجد) فقط ، ولمْ يرد ذلك من مادةِ (ركع) . ويبدو أنَّ السببَ في ذلك يعودُ إلى تحري السياقُ القرآني دّقةَ التعبيرِ عن الغايةِ التي من أجلها وُجِدت دور عبادةِ الله (جلّ وعلا) وهو : تحقيقُ القرب ؛ فجاءَ اسمُ المكانِ مشتقاً من أحدِ أركانِ الصّلاةِ التي يكونُ فيها العبدُ أقربُ إلى ربِّهِ ، وهو : السجودُ ، فقد جاء في الحديث النبوي الشريف : ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ))[٤] .

أ . اسم المكان المفرد

وردت مادة (سجد) بصيغة إسم المكان المفرد اثنتين وعشرين مرة في القرآن الكريم[٥] . وقد استعمل القرآن الكريم مادة (سجد) بصيغة اسم المكان المفرد

---

(٢) ينظر كتاب سيبويه : ٨٧/٤ .

(٣) ينظر ، الشافية : ١٢٦/١ .

(٤) المهذب في علم التصريف ، د . هاشم طه شلاش ، و د . صلاح مهدي ، و د . عبد الجليل عبيد : ٢٩٤.

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة (باب مايُقالُ في الرُكُوعِ والسُّجُودِ) الحديث رقم ٢١٥ . (٤٨٢) : ١٨٣ . وينظر ، سُنن النّسائي ، كتاب التطبيق (أقرب مايكون العبد من الله عزّ وجلّ) الحديث (١١٣٤) : ١٩٥ .

(1) البقرة : ١٤٤ ، و ١٤٩ ، و ١٥٠ ، و ١٩١ ، و ١٩٦ ، و ٢١٧ ، و المائدة : ٢ ، و الأعراف : ٢٩ ، و ٣١ ، و الأنفال : ٣٤ ، و التوبة : ٧ ، و ١٩ ، و ٢٨ ، و ١٠٧ ، و ١٠٨ ، و الإسراء : ١ ، و ١ ، و ٧ ، و الكهف : ٢١ ، و الحج : ٢٥ ، و الفتح : ٢٥ ، و ٢٧ .

.....

بضمن سياقات معينة ودلالات خاصّة . فهذا جنسٌ من المكانِ لَمْ يألَفْهُ العربُ في جاهليتِهِم وزمانهم السّابق ، وإنَّما اُشتقَ اسمُ المكانِ من بعضِ أفعالِ الصلاةِ وأركانِهَا ، وذلك هو (السجود) ، ولم يُشتق من (الركوع) . وربّما كان ذلك توخيًا لدقةِ توصيفِ القرب من الله (جلّ جلاله) والغايةُ الأساسية التي وُجِدَ لأجلِهَا المسجدُ إنَّما هي في تحقيق القرب من الله سواء أكان ذلك القرب ماديًا أم روحيًا .

وقد تمثّل المكان في القرآن الكريم بأهميةٍ خاصّةٍ في حياةِ المسلمين اتسمت بكونِهِ : القبلةَ التي يتوجهون إليها مرّة ، ومكان الصلاة بركوعها وسجودها مرّة ثانية ، ومكاناً مجرّداً من الزمان ثالثاً . وجميع ذلك من المعاني اللطيفة التي يؤديها اسم المكان في القرآن الكريم .

وقد انفرد المسجد الحرام (الكعبة) بالجزء الأكبر من تلك الموارد . فقد أُشيرَ إليه في أربعة عشر موضعاً . ومثاله قوله تعالى : ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾[1] . فقد أفاد السياق . هنا . من صيغة اسم المكان (مسجد) لإيصالِ حكمٍ مهمٍ في مسيرةِ الإسلامِ والمسلمين ، وهو التحوّلُ من قبلةِ (بيت المقدس) إلى (الكعبة الشريفة) . وذَكَرَ (المسجد الحرام) ، من دون التّصريحِ باسمِ الكعبة لغاياتٍ دلاليةٍ وحكمةٍ بلاغيةٍ.

واستعمل التعبيرُ القرآني (اسم المكان) ؛ للإشارةِ إلى الجهةِ التي يُتَعَبَّدُ اللهُ بِهَا ، فالغايةُ هي التوجه لله ، وليس إلى البيت بعينه بَيْدَ أنّ هذا التوجه يحتاجُ إلى توحيدٍ زمانيٍّ ومكانيّ للمسلمين كافّة . فكان المكان هو : (الكعبة الشريفة) والزمان : هو أوقاتُ الصلاةِ الخمسة المفروضة ، ومنهُ قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ**

(2) البقرة : ١٤٤ .

﴿ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[١] ، فـ (((عند كل مسجد) في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود))[٢] .

ب . اسم المكان الجمع

وردت مادةُ (سجد) بصيغة منتهى الجموع (مفاعل) ست مرات في القرآن الكريم[٣] ، للدّلالةِ على اسمِ المكان بضمنِ سياقاتٍ معينةٍ ؛ لِتُضفِي هذه الصّيغةُ دلالة الكثرةِ والمبالغةِ في السّياقات القرآنيةِ التي تردُ فيها ، ومبالغة في أهمّيةِ هذا المَعْلَم الديني والروحي في حياة بني آدم (عليه السلام) . وتُؤكّد هذه الأهمية حكمة الله (جلّ جلاله) في الخلْق ، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٤] ، فكان لابدّ من توجيهِ الاهتمام إلى الوسائلِ التي تُكرّسُ تلك العبادة وتَسْهَمُ بتربيتها وتنميتها والمداومة عليها ، ولاسيما إذا علمنا أنّ في بعض سياقات القرآن الكريم وردت مادة (سجد) بصيغة (منتهى الجموع) ولا يريد سوى الإشارة إلى مسجدٍ مفردٍ بعينِهِ. من ذلك . مثلا . قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٥] ، فالآية نزلت بخصوصِ مسجدٍ واحدٍ بعينِهِ[٦] وعلى الرغم من ذاك أُشير إليه بصيغة (منتهى الجموع) ومن أجل توظيف الصّيغةِ الصّرفيةِ في خدمةِ الدّلالةِ القرآنيّةِ عُمِدَ إلى الإخبار بصيغة منتهى الجموع لا المفرد لإقرار حكم ثابت

(١) الأعراف : ٢٩ .
(٢) الكشاف : ٣٦١ .
(٣) البقرة : ١١٤ ، و ١٨٧ ، و التوبة : ١٧ ، و ١٨ ، و الحج : ٤٠ ، و الجنّ : ١٨ .
(٤) الذاريات : ٥٦ .
(٥) البقرة : ١١٤ .
(1) ينظر ، لباب النقول في أسباب النزول ، السيوطي :١٦ .

لبني البشر ، و ((هو حكم عام لجنس مساجد الله))[1]. ومثله قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾[2] ، ((يعني المسجد الحرام لقوله: (وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)[3] وأمّا القراءة بالجمع[4] ففيها وجهان : أحدهما : أن يراد المسجد الحرام ، وإنما قيل : مساجد لأنه قِبلة المساجد كلها وإمامها ، فعامِره كعامِر جميع المساجد ؛ ولأن كل بقعة منه مسجد . والثاني : أن يراد جنس المساجد ، وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته))[5] ، وقد أوضح في سياق الآية الكريمةِ نفي اعمار المشركين مساجدَ الله ، فيما أوضح في الآيةِ التي تليها صنفَ الذّين يعمرون مساجِدَهُ (جلّ وعلا) ولم يصرحْ بهم ، وإنَّما ذكرهم بصفاتهم وفي هذا الأسلوب غايةٌ بلاغيةٌ ربَّمَا وَجَّهت السّياق إلى عِظَمِ أَهميةِ عمل القائمين بإعمار مساجده (جلّ جلاله) ، ومن الملاحظِ أنَّ محور سياق الآيتين دار في المساجد بصيغة (اسم المكان الجمع) سواء أكان المقصود مسجداً بعينه أَو جنس المساجد على العمومِ وربّما كان ذلك ، ليفيد حكم عام في كلِّ زمانٍ ومكان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾[6] .

ووردت هذه الصيغة في سياق تحذير عباده جميعًا من خطر إشراك غيره في ما كان له أو ما اختص به (جلّ جلاله) ، قال تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ

(2) الكشاف : ٩٣ .
(3) التوبة : ١٧ .
(4) التوبة : ١٩ .
(5) وهي قراءة عاصم بن أبي النجود ، وابن عامر ، وحمزة الزيات ، ونافع ، والكسائي ، وأبو جعفر ، وخلف . ينظر ، النشر : ٢٧٨/٢ .
(6) الكشاف : ٤٢٦ . وينظر ، مدارك التنزيل : ١ /٦٤٠ .
(1) التوبة : ١٨ .

﴿أَحَداً﴾[1] ، المساجد ، أي : المسجد الحرام ؛ لأنَّه قبلةَ المسَاجِد ، وقيل الأرض كلها ؛ لأنها جعلت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مسجداً وطهوراً[2] .

٣ . اسم الفاعل

هو الصّفةُ الدّالةُ على فاعلِ الحدثِ ، وفي معناه التجدد والحدوث[3] . ويُعدُ التجددُ والحدوثُ أوسع معاني اسمِ الفاعلِ ورودًا في اللّغةِ ، فدلالتهُ على التجددِ والحدوثِ تكون مقابلة لدلالةِ الصّفةِ المشبهةِ على الثبوت[4] . فاسم الفاعل يقع ((وسطًا بين الفعل والصفة المشبهة ، فالفعل يدل على التجدد والحدوث .... أمّا اسم الفاعل فهو أدوم وأثبت من الفعل ولكنه لا يرقى الى ثبوت الصفة المشبهة))[5] . ويفترق عنها ((انه يكون للأزمنة الثلاثة ، وهي لا تكون إلا للحاضر ، أي الماضي المتصل بالزمن الحاضر))[6] . وقد تكون (ألف) صيغة (فاعل) زائدة ، قال ابن جني : ((إنّ الألف لا تكون اصلا في الأسماء ولا في الأفعال ، وإنما تكون زائدة أو بدلا))[7] .

وقد وردت مادتا (سجد و ركع) مرتين في القرآنِ الكريمِ بصيغة اسم الفاعل، مرّة واحدة لكلِّ مادةٍ منهما[8] . ويُلْحَظُ في الاستعمال القرآني أنّ القرآن يَعمَد إلى استعمالِ صيغةِ اسمِ الفاعلِ للتعبيرِ عن معنى دقيقٍ ، وفي سياقاتٍ معينةٍ. فلمّا مرّ التعبير القرآني على قصّة داوّد (عليه السلام) ، ثم أراد التعبير عن صدق رسوله (عليه السلام)

(2) الجنّ : ١٨ .

(3) ينظر ، الكشاف : ١١٤٧ . و إرشاد العقل السليم : ٢٠٢/٥ .

(4) ينظر ، الخصائص : ١٠٣/٣ . و المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي ، د . عبد الصبور شاهين : ١١٤ . و علم الصرف الصوتي ، د . عبد القادر عبد الجليل : ٢٨٦ . و الصرف الكافي : ١٢٥ .

(5) ينظر ، معاني الأبنية الصرفية في مجمع البيان ، نسرين عبد الله (رسالة ماجستير) : ٤٠ .

(6) معاني الأبنية في العربية ، د . فاضل السامرائي : ٤٧ . وينظر ، علم الصرف الصوتي : ٢٨٧ .

(7) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ابن هشام : ٢ / ١٣٨ .

(1) المنصف ، ابن جني : ١٣٠ .

(2) مادة : (سجد) ، الزمر : ٩ . و مادة : (ركع) ، ص : ٢٤ .

.....

في التزام جانب الله وتقواه عبّر عن ذلك بصيغة اسم الفاعل (راكعاً) ، فقال : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾[1] ، فأرادَ تصوير مدى التزامه جانب الله ، وثباته عليه ، إذ لا يتركه إلاّ لأمر واجب ، فـ ((روي أنه بقي ساجدًا أربعين يومًا وليلة لا يرفع رأسه إلا لصلاة مكتوبة أو ما لابدّ منه))[2] .

وقد حملت صيغة اسم الفاعل هذه المِزْيَة من بين الصيغ الصرفية كافة بتوسطها بين التجدد والحدوث من جهة ، والثبوت من جهة أخرى . والمِزْيَةُ الأخرى لصيغةِ اسمِ الفاعلِ لمادتي (سجد و ركع) في القرآن الكريم ينبع من الاستعمال القرآني لهاتين المادتين فقد اقتسمت المادتان وُرُود هذه الصيغة في القرآن الكريم ، وهذا من عظيم الإعجاز القرآني فقد ضَمَن السياق القرآني الحقّ في الاستعمال للمادتين بهذه الصّيغة ذات السمات المميزة ، المذكورة سلفاً .

ونعرّجُ ، مرّةً أُخرى ، على النصِّ القرآنيّ ونرى ما نوع تلك المعاني التي أراد التعبير القرآني بيانها بهذهِ الصّيغةِ ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ * أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾[3] ، ونَلْحظُ في سياقِ الآيتين الكريمتين ذَمَّ المنافق بتذبذه ، وقَرْنَ ذلك التّذبذ بمصيره ونتيجةِ ما ينتظره من النارِ ، وبالمقابل وصف المؤمنين بقوله : (أمّن هو قانت آناء الليل ساجدًا وقائمًا) بصيغة : (اسم الفاعل) ، لما تؤديه هذه الصّيغة من معنى الثّباتِ على تلك السّماتِ الحسنةِ .

---

(3) ص : ٢٤ .

(4) الكشاف : ٩٢٤ .

(1) الزمر : ٨ . ٩ .

ثالثاً : الجموع

الجمعُ لغةً : اسمٌ لجماعةِ النّاسِ ، وجَمَعَ الشيء عَنْ تفرّقه يَجْمَعَهُ جَمْعًا ، وجُمَعَةً . والمسجدُ الجامعُ نُعِتَ بِهِ ؛ لأنَّه يجمع أهله . ونقول : جَمَّعَ الناس ، أي : شهدوا الجُمُعَة ، وقضوا الصلاة[1] . والجمعُ ضَمُّ الشيءِ إلى مثيله . في جهة من الجهات . فالتثنيةُ والجمعُ شريكان من جهةِ الضّمِ والجمعِ ، ويفترقان في المقدارِ والكميةِ والغرضِ . والجمعُ على ضربين : جمع صحيح ، وجمع تكسير[2] .

(١) ينظر ، العين ، مادة (جمع) : ١/ ٢٣٩ . ٢٤٠ .

(٢) ينظر ، شرح المفصل : ٣٦١/٢ . و المقرّب : ٤٠٠.٤٠١ .

.....

أ . جمع السالم الصحيح

ويُقَالُ لَهُ : جمعُ السَّالمِ ، لسلامةِ لفظِ واحدِهِ من التغيير . ويقسم إلى : جمع المذكر السالم ، وجمع المؤنث السالم .

أمّا جمعُ المذكرِ السّالمِ فيقالُ له : جُمِعَ على حدّ التثنية لسلامةِ صدره ، كما في المثنى ، وكذلك يقال له : جُمِعَ على هجاءين[١] ؛ لأنّه يكون بالواو والنون (في الرفع) ، وبالياء والنون (في النصب والجر) . وهو ما دلّ على أكثر من اثنين وأغنى عن المتعاطفين وكان له مفرد من جنسه وهو مختصّ بالعقلاء دون سواهم[٢] .

وقد وردت مادتا (سجد و ركع) بهذه الصيغة خمس عشرة مرّة في القرآن الكريم . إحدى عشرة مرّةً لمادة (سجد)[٣] . وأربع مرات لمادة (ركع)[٤] . وقد استعمل القرآنُ الكريم مادتي (سجد و ركع) بصيغة الجمع المذكر السالم فقط . ولم يأتِ فيه الجمع المؤنث السالم . في سياقات الحثِّ على الصّفاتِ الحسنةِ التي يجب أنْ يتمتع بها عباده . فاستعمل القرآنُ الكريم هذه الصّيغة في قصة آدم (عليه السلام) في جمعٍ من الآياتِ قوامه الخمس من عدد مرات الورود ومثالها قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ** ﴾[٥] ، إذ أمر الملائكة (عليهم السلام) ، وبعضهم إبليس ، بالسجودِ لآدمَ (عليه السلام)[٦] .

ويستعملُ القرآنُ الكريم هذه الصّيغة في سياقاتِ الحثِّ على الصّفاتِ الحسنةِ في الخضوعِ والتذللِ من طريقِ (السجود والركوع) للهِ وحده لا شريك له وهي صفاتٌ

---

(٣) ينظر ، كتاب سيبويه : ١٨/١ .

(٤) ينظر ، عمدة الصرف (الهامش :١) : ١٢٩ .

(٥) الأعراف : ١١ ، و ١٢٠ ، و التوبة : ١١٢ ، و يوسف : ٤ ، و الحجر : ٢٩ ، و ٣١ ، و ٣٢ ، و ٩٨ ، و الشعراء : ٤٦ ، و ٢١٩ ، و ص : ٧٢ .

(٦) البقرة : ٤٣ ، و آل عمران : ٤٣ ، و المائدة : ٥٥ ، و التوبة : ١١٢ .

(١) ص : ٧٢ .

(٢) المحرر الوجيز : ٢٣١/١ .

.....

حميدةٌ لا يتمتعُ بها إلا عباده الطائعون . قال تعالى : ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] ، فـ (((الراكعون الساجدون) المحافظون على الصلوات))[2] ، جمع بينَ اللفظين (الراكعون و الساجدون) ، لتأكيدِ حثِّ المؤمنين على أَنْ يكونوا من المحافظين على الصّلواتِ . وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[3] ، فالآيةُ نزلت بحقّ أميرِ المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)[4] ، وعلى الرغمِ من ذلك ، فقد عبَّرَ القرآنُ الكريم عن شخصهِ الشّريفِ بصيغةِ الجمعِ لا بصيغةِ المفردِ ، وذلك من لطيفِ البلاغةِ القرآنيّةِ .

ومن جميل التعبير القرآني . أيضًا . قوله تعالى في سورة (آل عمران) : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[5] ، فقد أمرها (عليها السلام) أنْ تعمل بعمل السّاجدين والرّاكعين ، لا أنْ يكون ذلك أمراً لها في أنْ تعمل السّجود والرّكوع معهم في الجماعة[6] . واللّطافةُ في الاستعمالِ قوله (جلّ جلاله) لمريم (عليها السلام) : (مع الراكعين) ، ولم يقل : (مع الراكعات) وربَّمَا يرجعُ ذلك لأمرين ، أولهما : عِظَمَ مكانةِ الراكعين المشارِ إليهم في الآيةِ الكريمةِ ، لتكون معهم ، وثانيهما : ربَّمَا كان في عظمِ مكانةِ السّيدةِ مريم (عليها السلام) ؛ ليرقى إلى التناسب مع عبادةِ الرجال ، من حيث دوامهم على الطّهارةِ إذ لا يلحقُ بهم ما يلحقُ بالنساء من أمورِ الطّمثِ والحيضِ، فيتركنَ الصلاةَ مدّةَ ذلك . وجدير بالذكر أنَّ

---

(٣) التوبة : ١١٢ .

(٤) مدارك التنزيل : ١ / ٦٨٤ .

(٥) المائدة : ٥٥ .

(٦) ينظر ، مجمع البيان : ٦/٤٢٠ . ٤٢١ ، ولباب النقول : ٩٠ .

(١) آل عمران : ٤٣ .

(٢) ينظر ، مجمع البيان : ٣/٣٥٦ .

السيدة مريم (عليها السلام) إحدى امرأتين لم يصبهما الطّمثُ قطّ مع السيدة الزهراء (عليهما السلام) .

وأَمَّا ما كان في بيانِ صفةِ الخضوعِ والانقياد فالذي حصل في قصةِ موسى (عليه السلام) . قال تعالى : ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾[1] . فبعد أن كانوا أول النّهار كفاراً سَحَرَة ، انقلبوا في آخره إلى شهداء بررة[2] . منقادين خاضعين لأمرِ موسى (عليه السلام) .

ويستعمل البيانُ القرآنيّ هذه الصّيغة في سياقٍ لطيفٍ يختصُّ بوصفِ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وبيانِ حاله وتفقده السّاجدين والمصلين . قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾[3] ، فقد ((اتبع كونه رحيمًا على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ما هو من أسباب الرحمة ، وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح أحوال المتهجدين من أصحابه ؛ ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ، ويستبطن سرّ أمرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم ... لحرصه عليهم وعلى ما يوجَد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات))[4] . وهي سمات رسول الرحمة والخير (صلى الله عليه وآله وسلم) . قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[5] .

ب . جمع التكسير

وهُوَ ما يدلُ على أكثر من اثنين ،بتغيرٍ ظاهرٍ كرجلٍ ورجال ، أو مُقّدرٍ كَفُلك للمفردِ والجمعِ[6] ، وله مفردٌ حقيقي أو تقديري يشاركه في معناه وفي أصوله[1] .

---

(٣) الأعراف : ١٢٠ .

(٤) ينظر ، الكشاف : ٣٧٩ .

(٥) الشعراء : ٢١٧ . ٢١٩ .

(١) الكشاف : ٧٧٢ . وينظر ، إرشاد العقل السليم : ٤/ ١١٩ .

(٢) الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) ينظر ، شرح ابن عقيل ، ابن عقيل العقيلي : ٤٥٢/٢ .

.....

وسُمِّيَ هذا الجمعُ : مكسرًا ؛ وذلك بإزالته عمَّا كانت عليه آحادُه . والتكسير إنَّما هو إزالةُ التئامِ الأجزاء التي كان لها قَبْل ُفلما أُزيل النظم ، وفُك النضد في هذا الجمع عما كان عليه واحده سموه تكسيراً[٢] .

ورد جمع التكسير لمادتي (سجد و ركع) في القرآنِ الكريمِ بصيغتين : (فُعَّل) ، و (فُعُول) .

١ . (فُعّل)

وردت مادتا (سجد و ركع) بهذه الصّيغة في أربعة عشر موضعاً من القرآن الكريم ، كان لمادةِ (سجد) النصيبُ الأكبر منها إذ وردت في أحد عشر موضعاً[٣] ، في حين وردت مادةُ (ركع) في ثلاثةِ مواضع منها[٤].

وقد استعمل التعبيرُ القرآنيّ هذه الصّيغة في سياقاتٍ متعددةٍ ومتنوعةٍ منها ، ويفادُ منها أيضاً المبالغة في الوصفِ ؛ ففي المبالغةِ تأكيدٌ للمعنى وتقويتهِ[٥]. ومنها مثلاً : في بيان صفةِ المؤمنين من عبادِ اللهِ المبالغين في السجود والركوع له ، وهما سمتان مُدِلّتان على كثرةِ السجود والخضوع والمواظبة على طاعته ، ومثاله قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ

---

(٤) ينظر ، شرح المفصل : ٥/ ٦٠ ٧ . و الشافية : ٢٦٢/٢ .

(٥) ينظر ، المقتضب : ٦/١ . و التكملة : ٣٩٨ .

(١) البقرة : ٥٨ ، و النساء : ١٥٤ ، و الأعراف : ١٦١ ، و يوسف : ١٠٠ ، و النحل : ٤٨ ، و الإسراء : ١٠٧ ، و مريم : ٥٨ ، و طه : ٧٠ ، و الفرقان : ٦٤ ، و السجدة : ١٥ ، و الفتح : ٢٩ .

(٢) البقرة : ١٢٥ ، و الحج : ٢٦ ، و الفتح : ٢٩ .

(٣) ينظر ، شذا العرف في فن الصرف ، الشيخ أحمد الحملاوي : ٧٥ . و عمدة الصرف : ٨٤ . و موجز التصريف : ٧٧ . والمهذب : ٢٦٢ . و الصرف الوافي ، د . هادي نهر : ٩٤ .

﴿ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[1] ، فقوله : ((تراهم رُكعاً سجدّاً) أي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين ؛ لمواظبتهم على الصلوات))[2]. وقد ضمّت هذه الآية الصيغة من كلتا المادتين جمعاً ممَّا يفيد الكثرةَ مع المبالغةِ .

ويتسع المعنى القرآني في الدلالة على السجود بصيغةِ الجمعِ ؛ ليمتدّ إلى أبعد من إطار الشريعةِ الإسلاميّةِ شاملاً عمومَ الأنبياء (عليهم السلام) ، وذريتهم الصالحين ، قال تعالى : ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً ﴾[3] ، وفي الآية دليلٌ بَيِّنٌ على أنَّ صلاةَ الأنبياءِ السابقين لشريعةِ الإسلامِ هي صلاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فيركعون ويسجدون ، بل ويعضدون هذا العمل الخالص لله (جلّ شأنه) بالبكاءِ وهو إمارةٌ دالةٌ على غايةِ الخشوع والخضوع له (جلّ جلاله) . ويُلمح السياق في قوله تعالى : ﴿ قُلْ آمِنُواْ بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُواْ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ سُجَّداً ﴾[4] ، إلى استجابةِ العلماءِ الذّين قرؤوا الكتبَ السّالفة من قبلِ تنزيله وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوةِ ، فإذا يُتلى القرآن عليهم يخرون للأذقانِ ، أي : يسقطون على وجوههم (سجداً) ؛ تعظيماً لأمرِ اللهِ تعالى ، أو شكراً لإنجاز ما وعد به في تلك الكتب ، ومنها القرآن[5] . وأمّا في سورة (الفرقان) فقد قال تعالى : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا

(٤) الفتح : ٢٩ .
(٥) إرشاد العقل السليم : ٢٦/٥ .
(١) مريم : ٥٨ .
(٢) الإسراء : ١٠٧ .
(٣) ينظر ، إرشاد العقل السليم : ٢٣٥/٣ .

عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ﴾[1] ، فيمدحُ السياقُ القرآنيّ المؤمنين من عبادِهِ ، وذلك ببيانِ مجموعة من الصّفاتِ الحميدةِ التي يتصفون بها، ومنها : (يبيتون لربهم سجّدا وقياما) ، ((وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة))[2] .

وَمِنَ السّياقاتِ الأخرى التي أُستعمِلَت فيها هذه الصّيغة في الدلالةِ على شكرِ اللهِ (جلّ جلاله) وإبداء التواضع له صاحب الآلاء والنِّعَمِ الكثيرة والمديدةِ التي لا حدودَ ولا انتهاء . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾[3] ، وهذا خطابٌ من اللهِ (جلّ جلاله) لبني إسرائيل . وذلك بعد التَّيْه . يأمرهم فيه بالسجود شكرًا له وتواضعاً[4] . وقد استعمل القرآنُ الكريم هذه الصّيغة في كلتا الآيتين في سياقِ أمرِ اللهِ (جلّ جلاله) نبيه إبراهيم (عليه السلام) بتطهير البيت الحرام لطائفة من عباده ، هم (الطائفون والعاكفون والركع السجود) ، قال عزّ من قائل : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[5] ، و(الطائفين) أهلُ الطوافِ أو هم الغرباء الطارئون على مكة ، و (العاكفين) أهلُ البلدِ المقيمون . أو هم المجاورون مكة أو هم المصلون الملازمون البيت إرادة وجهه تعالى ، و (الركع السجود) المصلون وخصّ (الركوع والسجود) بالذكر ؛ لأنّهُمَا أقربُ أحوالِ المصلي من الله تعالى ، وبذكرهما تحضرُ صورةَ وهيئةَ المصلي في ذهن المتلقي بصورةٍ أكبر مِمَّا يوفرهُ لفظُ الصّلاةِ . وكلُّ مقيم عند بيت الله إرادة ذات الله (جلّ شأنه) لا يخلو من إحدى هذه الرتب الثلاث : إمَّا أَنْ يكون في صلاةٍ ، وإمّا في طوافٍ . فان كان في شغل

(٤) الفرقان : ٦٣ . ٦٥ .
(٥) الكشّاف : ٧٥١ .
(١) البقرة : ٥٨ .
(٢) ينظر ، الكشّاف : ٧٨ .
(٣) البقرة : ١٢٥ .

من دنياه فحالُ : العكوفِ على مجاورةِ البيتِ لا يفارقه[١] . وهذه الطهارة المأمور بها إبراهيم وولده (عليهما السلام) ، وتطهير البيتِ والعناية بنظافتِهِ يصدرُ عن أمرين مهمين ، الأول : نسبة هذا البيت . بخاصّة ، وهو الكعبة الشّريفة . إلى اللهِ تعالى . لذا تطلب تطهير البيتِ المنسوب للطاهر (جلّ جلاله) ، وأدنى ذلك التطهير أن يكون من هذه الأدران الماديّةِ ، والثاني : إنَّ التطهير من متطلباتِ حسن التوجهِ إليه ، والأخذ بأفضلِ أَسبابِ ذلك التوجه والالتقاء بِهِ (جلّ جلاله) .

٢ . (فُعُول)

وردت مادة (سجد) بهذه الصّيغة في القرآن الكريم مرتين اثنتين[٢] . وكما مرّ بنا في صيغة جمع التكسير (فُعَّل) فقد جاءَ التعبيرُ القرآنيّ بهذهِ الصّيغةِ في الآياتِ أنفسها . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[٣] ، فمن جميل النسجِ القرآني جمعَ (الرّكّع و السجود) جَمْعَ تكسيرٍ لمقابلتهما ما قبلهما من جمعي السّلامةِ (للطائفين و العاكفين) ، فكان ذلك تنويعًا في الفصاحة وفي جمالية الأداء ، وكان آخرها ، أي : السجود ، على (فعول) لا على (فُعَّل) ؛ لأجل كونها فاصلة ، والفواصل قبلها وبعدها ما قبل آخرهِ حرفُ مَدٍّ ولينٍ[٤] .

---

(٤) ينظر ، المحرر الوجيز : ٤١٦/١ . ٤١٧ .

(١) البقرة : ١٢٥ ، و الحج : ٢٦ .

(٢) البقرة : ١٢٥ .

(٣) ينظر : البحر المحيط : ٥٤٩/١ .

الفصل الثالث

المستوى النحوي لمادتي (سجد و ركع)
في القرآن الكريم

شَغَلَت مادتا (سجد و ركع) على المستوى النحوي مادةً نحويةً مستفيضةً . كالأحكامِ التي تلحقُ أواخرَ الأفعالِ الماضيَّةِ ، والمضارعةِ ، والأَمْريَّةِ ، وما يتصلُ بِهَا وبأبنيتِهَا من الدّلالةِ الزّمنيةِ ، وأَثر القرائن اللفظيةِ والسياقاتِ المعنويةِ في توجيهِ الزّمنِ.

وقد وردت المادتان في القرآنِ الكريم بأنماطَ وتراكيبَ متنوعةٍ وبأساليبَ مُتعددةٍ ، تختلفُ تبعاً للمقاصد والمعاني التي يرادُ إظهارها ، فاستثمرها التعبير القرآني أَيمَا استثمار لتأديةِ دلالاتِهِ المختلفةِ . وفيما يلي الموضوعات التي درسناها في المستوى النحوي لمادتي (سجد و ركع) :

أولاً : الأفعال :

١ . الفعل الماضي

أ . الفعل الماضي المسند إلى فاعل ظاهر مؤكد بمؤكدين

وردت مادةُ (سجد) فعلاً ماضياً مسنداً إلى فاعلٍ ظاهرٍ مؤكدٍ بمؤكدين ، مرتين اثنتين في القرآن الكريم[١] . ومنهما قوله تعالى : ﴿فَسَجَدَ الْمَلَآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[٢] ، ويُلحَظُ في الفعلِ الماضي (سجد) اقترانَ (الفاء المستأنفة) به ، فبعد تلقي الأمر الإلهي بالسجود لآدم (عليه السلام) شرعت الملائكةُ ، وهو الاسمُ الظاهرُ القائمُ بالفعلِ بتلبيةِ الأَمرِ على الفورِ . إنَّ مجيءَ التوكيدان المعنويان : (كلهم وأجمعون) بعد الفاعل ينبئان عن إشاراتٍ بلاغيةٍ ودلاليةٍ ، فلإسلوب التّوكيدِ غرضان ، الأول : رفعُ احتمال إرادة مضاف ، أو بعبارةٍ أُخرى رفعُ احتمال إرادة غير المذكور[٣] ، ((والثاني : أن يظن السامع به تجوزاً في ذكر المنسوب إليه

(١) الحجر : ٣٠ ، و ص : ٧٣ .

(٢) الحجر : ٣٠ ، و الآيتان في سورتي : الحجر ، و ص ، جاءتا بالألفاظ أنفسها .

(٣) ينظر : معاني النحو ، د . فاضل السامرائي : ١٣٤/٤ .

المعين ، فربّما نُسب الفعل إلى الشيء ، والمراد ما يتعلق بذلك المنسوب إليه))[١] . فـ (كلّ) اسمٌ يفيدُ الاستغراق والإحاطة بالأفرادِ والأجزاءِ ، وقد أفادَ في الآيتينِ الكريمتين استغراقَ كُلَّ أفراد الملائكةِ ؛ لأنه أضيف إلى معرفة عامّة ، وهي : (الملائكة)[٢] . وقد لحق به الضمير (هم) الدالّ على المؤكد الفاعل . أمَّا (أجمعون) ، فهو من لفظِ (الاجتماع) ، وقد تكون من ألفاظِ الإحاطةِ ، كما جاء في الآيةِ الكريمةِ فتستعملُ توكيداً بمعنى : (كلّ) ، وهي وصفٌ مرتجلٌ للتوكيدِ . والفرق بين (كلّ) و (أجمع) : إنَّ (كلّ) تشيرُ إلى الأفرادِ حتى تستغرقهم ، و (أجمع) تشيرُ إلى العموم ابتداءً . و (كلّهم أجمعون) للجمعِ بين المعنيين ، فتكون (أجمع) زيادةً في التوكيدِ[٣] . كما جاءت به الآيتانِ الكريمتانِ . ويدلُ قوله (أجمعون) على اجتماعهم في السجودِ في حالةٍ واحدةٍ[٤] . فـ ((لفظة أجمعون تأكيد بعد تأكيد لتشديده ، والمرادُ أن الملائكة سجدوا له بحيث لم يبقَ منهم أحد))[٥] . ولنا أَنْ نسأل لِمَ جمع التعبير القرآني بين التوكيدين ، بقوله : (كلّهم أجمعون) ؟ فلا بُدَّ من وجودِ علّة بلاغية ومظهر من مظاهرِ توخي الدّقةِ في العبارةِ القرآنيَّةِ . فينبري أبو السعود العماديّ (ت ٩٥١ هـ) ؛ لتفسير مثل هذا السّؤال المفترض ، بقوله : ((فسجد الملائكة (كلهم) بحيث لم يشذ منهم أحد (أجمعون) بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى بالحالية بل يفيده التأكيد أيضًا فإنّ الاشتقاق الواضح يرشد إلى أن فيه معنى الجمع والمعية بحسب الوضع والأصل في الخطاب التنزيل على أكمل أحوال الشيء ... وقيل أكد بتأكيدين مبالغة في التعميم))[٦] . وهكذا نرى كيف عبَّرَ السّياقُ القرآنيّ عن تلبية الملائكة (

(١) الكافية : ٣٥٨/١ . وينظر ، معاني النحو : ١٣٥/٤ .
(٢) ينظر ، مغني اللبيب : ١/ ٣٨٣ . ومعاني النحو : ١٣٨/٤ .
(٣) ينظر ، معاني النحو : : ١٤٦/٤– ١٤٧ .
(٤) ينظر ، مجمع البيان : ١٣١/١٤ .
(٥) الميزان : ١٤/ ١٥٤ .
(٦) إرشاد العقل السليم : ١٤٨/٣ .

عليهم السلام) الأمر الإلهي بالسجود لآدم (عليه السلام) بالتوكيد بعد التوكيد توثيقًا منه (جلّ جلاله) لتلك الطّاعة الخالِصَةِ لوجههِ تعالى .

ولا نعدمَ وجودَ حكمةٍ بلاغيةٍ مِنْ وراءِ تعبيرِ القرآنِ الكريمِ بالجّملةِ الفعليةِ لا الاسمية عن استجابةِ الملائكةِ بالسجودِ لآدمَ (عليهم السلام) مع معرفتِنا مسبقاً أنَّ الاسمَ يفيدُ الثبوتَ ، والفعلُ يفيد التجددَ والحدوث[١] . فإنَّ هذا الأمر . أي السجود . بمحضِ جنسه لغيرِ اللهِ وإنْ خرج لغرضِ التّشريف في التّحيةِ ، أو التبجيلِ ، أو التعظيمِ ، هو أمرٌ طارئٌ حادثٌ .

ولابُدَّ مِنَ الإشارةِ هنا إلى أنَّ التعبيرَ القرآني قد أخبرَ عن سجودِ الملائكةِ وعلامةُ فاعلِ فعلِ جملةِ الإخبارِ الإفراد : (سجد الملائكة) ، مع العلم أَنَّ من الضرورةِ أَنْ يكونَ بينهما ((تناسب ، وتوافق في الجنس (تذكيراً وتأنيثاً) ، وفي العدد (إفراداً وتثنيةً وجمعاً)))[٢] . وقد حصلَ هذا في الآيةِ الكريمةِ ويتكررُ في القرآنِ الكريمِ لغاياتٍ بلاغيةٍ تصبُ كلُّهَا في خدمةِ المعنى والبيانِ القرآنيين الموجهين إلى المتلقي .

ب . الفعل الماضي الواقع جواباً للطلب

وردت مادةُ (سجد) فعلاً ماضياً واقعاً جواباً للطلبِ في خمسةِ مواضع قرآنيّةٍ كريمةٍ[٣] . وقد وقع الفعلُ الماضي (سجدوا) جواباً للأمرِ في المواضع الخمسةِ ، بقوله (اسجدوا) والمسبوق بالفعل (قلنا) ، والذي اتصل به ضمير الجماعة (نا) ، ولا يدل على الجمع الحقيقي . فالقول لله عزّ وجلّ ، وإنما دلّ على التعظيم[٤] . في هذا الأمر الصادر منه تعالى . ومثاله قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى

(١) ينظر ، معاني الأبنية في العربية : ٩ .

(٢) نحو الفعل ، د . أحمد عبد السّتار الجواري : ٨٤ .

(٣) البقرة : ٣٤ ، و الأعراف : ١١ ، و الإسراء : ٦١ ، و الكهف ، ٥٠ ، و طه ١١٦ .

(٤) ينظر ، القول في القرآن الكريم دراسة لغوية ونحوية ، أحمد إبراهيم : ١١١ .

﴿ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[١] ، ونَلْحظُ في سياقِ الآيةِ الكريمةِ ومثيلاتِهَا ، تمثل الفاعل ضميرًا متصلاً (واو الجماعة) ، فـ ((قوله تعالى : (للملائكة) عموم فيهم))[٢] ، وقوله : (فسجدوا) ، استجابةً لأمرِهِ ، وقد عبّرَ عن الاستجابةِ بالفعلِ الماضي . لإفادةِ استغراق الطّاعةِ في أفعالِ الملائكةِ ، وأنّه واقع لا محال ، من جهة ، وتعريضٌ بإبليس وعصيانه من جهة أُخرى .

ت . الفعل الماضي المسبوق بـ (إذا) الشرطية

وردت مادةُ (سجد) فعلاً ماضياً مسبوقاً بـ (إذا) الشّرطية في موضعٍ واحدٍ من القرآنِ الكريمِ ، في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾[٣] ، وتستعمل (إذا) الظرفية المتضمنة معنى الشرط للمقطوع بحصوله وللكثير الوقوع[٤] . واختلف النحاةُ في تعيين زمنها ، قال سيبويه : ((وأمّا إذا فلما يُستقبل من الدهر ، وفيها مجازاة))[٥] . وقد اصطدم هذا المقررُ بكلامٍ لا تكون فيه (إذا) دالّة على المستقبل فنصّوا على أنَّها قد ((تكون ظرفًا لما مضى من الزمان))[٦] . ويبدو أنّ الذي

(١) البقرة : ٣٤ .
(٢) المحرر الوجيز : ٢٣٠/١ .
(٣) النساء : ١٠٢ .
(٤) ينظر ، معاني النحو : ٧١/٤ .
(٥) كتاب سيبويه : ٢٣٢/٤ .
(٦) الجنى الداني في حروف المعاني ، الحسن ابن قاسم المُرادي : ٣٧١ .

.....

يمكن الركون إليه هو أنّ زمن (إذا) يتنوعُ بتنوعِ القرائن اللفظيةِ والمعنويةِ وتنوع السّياقات التي تردُ فيها[١] .

وفي هذه الآيةِ جاء الفعلُ الماضي (سجد) جملة الشّرطِ مقترناً بالفاعلِ ، وهو ضمير الجماعة (الواو) ، فالخطابُ موجّهٌ للرسولِ محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم)، وجماعةِ المسلمين يبين فيه (جلّ وعلا) لهم كيف يؤدون صلاتهم في الحرب .

٢ . الفعل المضارع

أ . الفعل المضارع المرفوع

انفردت مادةُ (سجد) بورودها فعلاً مضارعاً مرفوعاً في ثمانيةِ مواضع قرآنيةٍ كريمةٍ[٢] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[٣] . وقد رُفِعَ الفعلُ المضارِعُ (يسجدون)[٤] ، حين لَمْ يُسبق بسابقٍ بثبوت النون ؛ لكونه من الأفعالِ الخمسة ، وفاعله ضميرُ الجماعةِ المتصل (الواو) يعود على (أمّة) . وقوله : (((وهم يسجدون) قيل : أراد السجود المعروف في الصلاة ، فعلى هذا يكون معناه وهم مع ذلك يسجدون ، ويكون الواو لعطف جملة على جملة))[٥] . قال ، الفرّاء (ت٢٠٧هـ) : ((السجود في هذا الموضع اسم للصلاة لا للسجود ؛

---

(١) ينظر ، في التركيب اللغويّ للشعر العراقيّ المعاصر دراسة لغوية في شعر السيّاب ونازك والبياتي ، د. مالك المطّلبيّ : ٩٠ .

(٢) آل عمران : ١١٣ ، و الأعراف : ٢٠٦ ، و الرعد : ١٥ ، و النحل : ٤٩ ، و الحجّ : ١٨ ، و النمل : ٢٤ ، و الرحمن : ٦ ، و الانشقاق : ٢١ .

(٣) آل عمران : ١١٣ .

(٤) يرى الكوفيون أنّ الفعل المضارع . غير المسبوق بسابق . ارتفعَ ؛ لتعريهِ مِنَ العواملِ النَّاصِبَةِ والجازمةِ . على حين ذهبَ البصريون إلى أنّه مرفوعٌ لقيامِهِ مقامَ الاسمِ . ينظر ، الإنصاف في مسائل الخلاف : ٢/٥٥٠-٥٥١ .

(٥) مجمع البيان : ٤/٤٤٥ .

.....

لأنّ التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع))[١] . وعلى هذا يكون الواو في (وهم) للحَالِ ، أي : يتلون آياتِ اللهِ في اللّيلِ في صلاتهم[٢] . ثُمَّ إنَّ : (وهم يسجدون) جملةٌ في موضعِ الصّفةِ مَعطُوفَةٌ على : (يتلون) بوصف الأمةِ القائمةِ بأنَّها تالية آيات الله . وقد وصفهم بتلاوةِ القرآنِ وبالسجودِ . وجاءت الصّفةُ الثانيةُ اسميّةٌ لتدل على التوكيدِ بتكريرِ الضّميرِ (هم ، والواو) ، في (يسجدون)[٣] ، إذْ جاء في الحديثِ النبويّ قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ))[*] ، وأخبر عن المبتدأ بالمضارع ، وجاءت الصّفةُ الأولى بالمضارع أيضاً ؛ لتدل على التجددِ ، وعطف الثانية على الأولى بالواو ؛ لتشعر أنَّ التلاوةَ كانت في صلاةٍ . فلم تكن التلاوةُ وحدها ، ولا السجودُ وحده[٤] . ويبدو للباحثِ أنَّ التعبيرَ القرآنيّ جاء بالجملة الفعلية (يتلون آيات الله) في صفة الأمة القائمة ؛ ليشير إلى تجدد التلاوة من أفراد هذه الأمّة ، سواء أكانت تلاوةُ القرآن فحسب أو تلاوته في الصّلاةِ ثُمَّ عَبَّرَ عنهم في الصّفةِ الثانيةِ بالجملة الاسمية (وهم يسجدون) ؛ ليشير إلى ثباتِ هذه الأمّة على صلاتها ومداومتها عليها . وكيف لا وهي صلة العبد بربّه . ومن اللافتِ للنَظَرِ أَنَّ التعبيرَ القرآني قد جمع في وصفِ (الأمّة القائمة) بأسلوبَي الجملةِ الفعليَّةِ التي تفيدُ التجددَ ، والجملةِ الاسميةِ التي تفيدُ الثبوتَ وفي هذا الجمعِ حكمةٌ إلهيّةٌ عمدت إلى حشدِ مختلف الصّفاتِ والأحوال ، المتجددة منها والثابتة . في طاعة الله تعالى . للموصوفين تمييزاً لهم من الأمةِ التي تكفرُ بآياتِ الله وتقتل الأنبياء[٥] . ويدعم ما ذهب إليه الباحث أنّ (سواء) لابدّ لها من الاثنين فما زاد[٦] .

---

(١) معاني القرآن ، الفرّاء : ١/ ٢٣١ .

(٢) ينظر ، مجمع البيان : ٤٤٥/٤ .

(٣) ربّما فسّر لنا ذلك ورود مادة (سجد) ، دون مادة (ركع) في هذه الآية الكريمة ؛ لأَنَّ السياقَ القرآنيّ يريد توضيح قربَ (الأمة القائمة) المطيعة لله تعالى . وبعد (الأمة الكافرة) . بل عَمَدَ التعبيرُ القرآنيّ إلى بيانِ دقة ذلك القرب فعَبَّرَ عن ذلك بـ (السجود) ، لا بـ (الركوع) .

(*) مَرَّ بنا تخريجه . يتظر ، من هذه الرسالة : ٧٥ .

(٤) ينظر البحر المحيط : ٥١/٣ .

(٥) في قوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ ، [آل عمران : ١١٢] .

(١) ينظر ، معاني القرآن ، الفرّاء : ٢٣٠/١ .

.....

وعلى الرّغمِ من ذلك أُغْفِلَ ذكرُ الأمةِ التي تكفرُ بآياتِ اللهِ وتقتل الأنبياء ، بنوعٍ من التحقير ، وإهمالاً لحضورها في السّياقِ القرآنيّ بمقابلِ حضورِ الأمةِ القائمةِ فيهِ . وعَضَّدَ ذكرُ هذه الأمة القائمة المؤمنة بصفاتِ الخير والطّاعةِ للهِ تعالى . وهكذا نرى كيف سَخَّرَ التعبيرُ القرآني (الفعلَ المضارعَ) في التّركيبِ النحوي في مدحِ الموصوفِ (الأمة القائمة) من دون أَنْ يذكُرَ أيّ لفظٍ مِنْ ألفاظِ المدّحِ أو صيَغِهِ . وذمّ (الأمة الكافرة) بمجردِ إغفالِ ذكرها أو إهماله حين استوجبَ ذكرها مع استعمالِ (سواء) .

ب . الفعل المضارع المرفوع بعد همزة الاستفهام

انفردت مادةُ (سجد) بورودها فعلاً مضارعاً مرفوعاً بعد همزةِ الاستفهامِ في موضعٍ واحدٍ من القرآنِ الكريمِ . قال تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً** ﴾[1] ، فَنَلْحَظُ ورودَ الفعلَ المضارعَ مرفوعاً بالضّمةِ بعد همزة الاستفهام ، وفاعِلُه المستتر ضميرُ المتكلمين (نحن) مفهوماً من سياقِ الآيةِ الكريمةِ . والألفُ أوالهمزةُ أَصلُ أَدواتِ الاستفهامِ[2] . وأوسعها استعمالاً[3] . ولا يخلو هذا الاستفهام من تهكّمٍ واستهزاءٍ كما أنَّ : ((التعبير عن طلبه منهم السجدة بالأمر لايخلو من تهكم واستهزاء))[4] . وسؤالهم بـ (ما) مبالغةً منهم في التجاهل واستكباراً عليه (جلّ وعلا)[5] ، فـ (ما) سؤالٌ عن المجهولِ ، إذ ((يجوز أن يكون سؤالا عن المسمى به لأنهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم ، والسؤال عن المجهول بما ، ويجوز أن يكون سؤالا عن معناه لأنه لم يكن مستعملا في كلامهم كما أُستعمِلَ الرحيم ، والرحوم ، والراحم ، أو لأنهم أنكروا إطلاقه على الله تعالى))[6] . والظّاهرُ أَنَّهم لمَّا قِيلَ لهم : (اسجدوا للرحمن)

(٢) الفرقان : ٦٠ .
(٣) ينظر ، مغني اللبيب : ٣٨/١ .
(٤) ينظر ، معاني النحو : ٢٣٢/٤ .
(٥) ينظر ، الميزان : ٢٣٤/١٩ .
(٦) ينظر ، الميزان : ٢٣٣/١٩ .
(١) الكشاف : ٧٥٠ . وينظر ، البحر المحيط : ٦١٦/٦ .

فَذُكِرَت الصّفةُ المقتضيةُ للمبالغةِ في (الرحمة) أظهروا التجاهل بهذه الصّفةِ التي هي للهِ خاصّة له دون سواه ، مغالطةً منهم ووقاحةً . فقالوا : (وما الرحمن) ، وهم عارفون به وبصفته الرحمانية . فاستفهم كفارُ قريش عن الرحمن استفهامَ من يجهلوه وهم عالِمونَ بِهِ[1] .

ت . الفعل المضارع المنصوب بـ (أَنْ) المصدرية

انفردت مادةُ (سجد) بورودِهَا فعلاً مضارعاً منصوباً بعد (أنْ) المصدرية في ثلاثةِ مواضعَ قرآنيةٍ شريفةٍ[2] ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ** ﴾[3] ، فالفعلُ المضارعُ (تسجد) نُصِبَ بـ (أن) المصدرية في قوله (ألاّ) . وفي قوله : (ألاّ تسجد) ، يقول الفرّاء : فـ (((أن) في هذا الموضع تصحبها لا ، وتكون (لا) صلة وكذلك تفعل بما كان في أوله جحد . وربّما أعادوا على خبره جحداً للاستيثاق من الجحد والتوكيد له))[4] . و (لا) ((صلة بدليل قوله : (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي)[5] ، ... فإن قلت : ما فائدة زيادتها ؟ قلتُ : توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه ، كأنه قيل : ... ما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك (إذ أمرتك)))[6] ، وقال صاحب الميزان : ((الظاهر أن نظير معنى حمل أو دعا ، والمعنى : ما حملك وما دعاك على أن لا
تسجد مانعاً لك))[7] . وقد ورد في الآيةِ توكيدٌ بتكريرِ الجَّحدِ ، وهو أُسلوبٌ يضفي على العبارةِ القرآنيّة نوعاً من القوةِ ، والرَّصانة ، والبلاغة ، و (((ما) جحد و (إن) جحد

(٢) ينظر ، البحر المحيط : ٦١٦/٦ . و أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدّلالة ، د . أحمد مختار عمر : ٥٥ – ٥٦ .
(٣) الأعراف : ١٢ ، و النمل : ٢٥ ، و ص : ٧٥ .
(٤) الأعراف : ١٢ .
(٥) معاني القرآن ، الفرّاء : ٣٧٤ .
(٦) ص : ٧٥ .
(٧) الكشاف : ٣٥٧ .
(١) الميزان : ٢٢/٨ .

فجمعتا للتوكيد . ومثله قوله تعالى : (وما يشعركم أنها إذا جاءت لايؤمنون)[١]، ومثله : (وحرام على قريةٍ أهلكناها أنهم لا يرجعون)[٢] . ومثله : (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون)[٣]. إلا أنّ معنى الجَّحد السّاقط في لئلا من أوّلها لا من آخرها، المعنى : ليعلم أهل الكتاب ألا يقدرون . وقوله : (ما منعك) (ما) في موضع رفع. ولو وضع لمثلها من الكلام جواب مصحح كان رفعًا ، وقلت : منعني منك أنك بخيل . وهو مما ذكر جوابه على غير بناء أوله ، فقال : (أنا خير منه) ولم يقل : منعني من السجود أني خير منه ؛ كما تقول في الكلام : كيف بتّ البارحة ؟ فيقول : صالح ، فيرفع ؛ أو تقول : أنا بخير ، فتستدل به على معنى الجواب ، ولو صحح الجواب لقال صالحاً ، أي بتُّ صالحاً))[٤] .

ث . الفعل المضارع المجزوم بعد (لا) الناهية

انفردت مادةُ (سجد) بورودها فعلاً مضارعاً مجزوماً بعد (لا الناهية) في موضعٍ واحدٍ من القرآنِ الكريمِ . قال تعالى : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴾[٥] . وقد جاء الفعل المضارع (تسجدوا) مجزوماً بـ (لا الناهية) . وهي موضوعةٌ لطلبِ التّركِ أو الكفِّ . وتقتضي جزمَ المضارِعِ واستقبالِهِ[٦] . ثُمَّ أنَّها تقلب معناه إلى الأمرِ[٧] . فحُذفت (النون) منه ؛ لأنَّه من الأفعالِ الخمسةِ . وقد جاء فاعله ضميراً متصلاً به (واو الجماعة) . ولعلَّ الخطاب موجَّهٌ إلى موحدين غيرِ مشركين باللهِ كانوا يسجدون للشّمسِ والقمر . كالصَّابِئَة . في

(٢) الأنعام : ١٠٩ .
(٣) الأنبياء : ٩٥ .
(٤) الحديد : ٢٩ .
(٥) معاني القرآن ، الفرّاء : ٣٧٤/١ .
(٦) فصلت : ٣٧ .
(٧) ينظر ، مغني اللبيب : ٤٧٥/١ ، و المشكاة الفتحية على الشمعة المضية للسيوطي ، أبو حامد الدّمياطي: ١٣٢– ١٣٣ ، و معاني النحو : ٨/٤ .
(١) ينظر ، معاني النحو : ٥/٤ .

.....

عبادتِهم الكواكبَ زاعمين أنَّهم يقصدون بالسجود لهما السّجودَ للهِ (جلّ وعلا) فنُهوا عن هذه الوساطة وأمروا أَنْ يقصدوا بسجودِهِم وجهَ اللهِ تعالى خالصاً إن كانوا إيَّاه يعبدون[١] . ولكن كيف نُهوا عن مثلِ هذا السجود ؟ جاءَ التعبيرُ القرآنيّ بـ (الفعل المضارع المجزوم بلا الناهية) التي قلبت معناه إلى الأمرِ والاستقبالِ . وفي هذا الأسلوب مراعاة لجانبِ المأمورين وإيصال الأمر إليهم بغير الأساليب الصريحةِ للأَمرِ .

ج . الفعل المضارع الواقع جواباً للشّرط

انفردت مادة (ركع) بورودها فعلاً مضارعاً واقعاً جواباً للشّرطِ . في موضعٍ واحدٍ من القرآنِ الكريمِ . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾[٢] ، فوقع الفعل المضارع (يركعون) جوابًا للشّرطِ . وقد سُبِقَ بـ (لا نافية) فـ ((قيل الركوع هنا: عبارة عن الصلاة ، وخص أفعالها الركوع ؛ لأنّ العرب كانوا يأنفون من الركوع والسجود))[٣] . ويعمدُ التعبيرُ القرآنيّ إلى تجسيم إثم هؤلاء الكافرين حتَّى مع أمرهم بالركوع فهم لا يركعون ، ويرى ابنُ كمال باشا (ت٩٤٠هـ) جواز الأمرين في الجزاء، الجزم والرفع ((إذا كان الشرط ماضيًا والجزاء مضارعاً))[٤] . وعلى الرغم من هذا التجويز لم يجزم التعبيرُ القرآني فعل الجزاء (لا يركعون) . والذي يبدو للباحث أن التعبير القرآني أراد الإخبار عن حال الكافرين الذين ثَقُلت عليهم الصلاة بركوعها وسجودها . وأنهم لا يركعون سواء إذا قيل لهم أم لا . فإذا جُزِمَ الفعل المضارع (يركعون) التزم معناه الشرط والطلب عندما يُطلب منهم ذلك . ولكن تركه من غير جزم فألمح إلى عدم ركوعهم في أي زمان وعلى أي حال ، سواء أَطُلِبَ منهم الرّكوع أَم لا . ونَلْحَظُ في تركيبِ هذه الآيةِ الكريمةِ كيف بُنِيَ الفعلُ (قال) للمجهولِ ، لتحقيق غايةٍ بلاغيةٍ في إخفاءِ هوية الفاعل تعظيماً للأمرِ المُراد منهم تنفيذه .

---

(٢) ينظر ، الكشاف : ٩٧٠ .

(٣) المرسلات : ٤٨ .

(٤) البحر المحيط : ٥٦٩/٨ .

(٥) أسرار النحو ، ابن كمال باشا : ٢٣٦ .

.....

ح . الفعل المضارع الواقع جملة القول

وردت مادةُ (سجد) فعلاً مضارعاً واقعاً جملةَ القولِ في موضعٍ واحدٍ من القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً ﴾[1] ، والجملةُ بعد (قال) يرادُ بها لفظها وهي جملة مَحكيَّة[2] . وقد اعترض إبليسُ على أمرِ الله سبحانه : (إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) ، قائلاً : (أأسجد) ، وهي جملةُ القولِ . وقوله لمن خلقت طينا ، فـ ((طيناً حال إمّا من الموصول والعامل في أسجد على أأسجد له وهو طين أي : أصله طين أو من الراجع إليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينًا))[3] . أو نُصِبَ على نزعِ الخافِضِ ، أي : من طين . والتعبيرعن آدم (عليه السلام) بالموصول (لمن) ؛ لتعليلِ إنكارِهِ بما في حيّز الصّلة. وإنَّمَا كان الردُ بـ (قال) ، أي : إبليس لكن لاعُقَيبَ كلامِهِ المحكي بل بعد الانظارِ المترتبِ على استنظارِهِ المتفرع على الأمرِ بخروجه من بين الملأ الأعلى باللعنِ ، وإنَّمَا لَمْ يصرِّحْ بذلك اكتفاءً بِمَا ذكر في مواضع أُخر ، فإنَّ توسيط (قال) بين كلامي اللعين للإيذانِ بعدم اتصالِ الثاني بالأول ، وعدم ابتنائه عليه بل على غيره ، كما في قوله تعالى : (قال فما خطبكم أيها المرسلون)[4] ، بعد قوله تعالى : (قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون)[5] ...))[6].

خ . الفعل المضارع الواقع جواباً للجحود

---

(١) الإسراء : ٦١ .

(٢) ينظر ، معاني النحو : ٢/ ٢٧ .

(٣) الكشاف : ٦٠١ .

(٤) الحجر : ٥٧ .

(١) الحجر : ٥٦ .

(٢) ينظر ، إرشاد العقل السليم : ٣/٢٢٤ .

.....

انفردت مادةُ (سجد) بورودِهَا فعلاً مضارعاً واقعاً جواباً للجحودِ في موضعٍ واحدٍ مِنَ القرآنِ الكريمِ . قال تعالى : ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾[1] ، وقد ورد الفعلُ المضارعُ مقترناً بـ (لام الجحود) . أَمَّا التعبيرُ بـ (لم أكن) فـ ((يستعمل لتأكيد النفي ، وذلك إنّ إثباته (كان سيفعل) ، وفي السين معنى التأكيد ، قال تعالى : (فسيكفيكهم الله وهو السّميع العليم)[2] . تقول : كان سيكتب فإذا أردت نفيه قلت : ما كان ليكتب))[3] . ثُمَّ أنّ (لام الجحود) تفيدُ توكيد النفي[4] ، فـ ((اللام في قوله : (لاسجد) ؛ لتأكيد النفي ومعناه لا يصح أن أسجد لبشر))[5] . ولا يرى الدكتور فاضل السامرائي : ((أن (ماكان ليفعل) أصله (ما كان يفعل) أو هما بمعنى واحد ، فإن قوله تعالى مثلا : (قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمَأ مسنون) ليس بمعنى (لم أكن أسجد) فالبشر لم يكن موجودًا قبل ذاك فلا يصح هذا التقدير ... ، ولكن هو على معنى لم أكن فاعلا للسجود ، أو قاصدًا له))[6] .

٣ . فعل الأمر

أ . الفعل الأمر المسند إلى المفرد

انفردت مادةُ (سجد) بورودِهَا فعلَ أمرٍ مسنداً إلى مفرد ، ومجيئها في موضعين من القرآن الكريم[7] ، ومن الملاحظ أنَّ كلا الأمرين : (فاسجد) و

---

(٣) الحجر : ٣٣ .

(٤) البقرة : ١٣٧ .

(٥) معاني النحو : ٢٢٥/١ .

(٦) ينظر ، مغني اللبيب : ١/ ٤١٥ .

(٧) مفاتيح الغيب ، الرّازي : ١٩/ ١٨٣ .

(٨) معاني النحو : ٢٢٦/١ . ٢٢٧ .

(١) الإنسان : ٢٦ ، و العلق : ١٩ .

.....

(واسجد) في الآيتين ، على التوالي ، موجهٌ إلى شخصِ رسولِ الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) . قال تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾[١] . والحديث في هذه الآيةِ الكريمةِ ، وفي التي قبلها عن الصلاة[٢] ، قال تعالى : ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾[٣] . وقد أَخَّرَ الظرف (بكرةً وأصيلاً) على الأمرِ بالذكر (واذكر اسم ربك) فيمّا قدَّمَ الظرف في قوله : (ومن الليل) على الأمرِ (فاسجد له) . ويقولُ أبو السعود العمادي ، معلقًا على هذه الآية : ((وبعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص))[٤] . ويبدو للباحثِ أنَّ العلّةَ في تقديمِ الظّرفِ . فضلاً عمَّا قاله أبو السعود . هي لتبعيضِ اللّيلِ بين صلاتي المغرب والعشاء من جهةٍ ، وصلاةِ اللّيلِ من جهةٍ أُخرى . فعبَّرَ أمراً بالصلاةِ المفروضةِ المغربِ والعشاءِ ، بقوله : (فاسجد) ، وعن صلاةِ التّطوعِ في اللّيلِ ، بقوله : (وسبّحه ليلاً طويلاً)[*] .

وهكذا نرى كيف استعمل التعبيرُ القرآنيّ فعلَ الأمرِ (فاسجد) من (السجود) الذي هو ركنٌ مِنْ أركانِ الصلاةِ ؛ للدّلالةِ على الصلاةِ الواجبةِ ، فيمَا استعملَ فعل الأمرِ (وسبحّه) من التسبيح ، وهو من التعقيباتِ المستحبّةِ التّطوعيةِ يُؤتَى بِهَا بعد الانتهاءِ من الصلاةِ مباشرةً ؛ للدّلالةِ على صلاةِ التّطوعِ .

وربَّمَا أَكدت الآيةُ الكريمةُ في سورةِ العلق معنى نظيرتها ، من سورة الإنسان. قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾[٥] ، قال الزمخشري : (((واسجد) ودم

---

(٢) الإنسان : ٢٦ .

(٣) ينظر ، إرشاد العقل السليم : ٢١٨/٥ .

(٤) الإنسان : ٢٥ .

(٥) إرشاد العقل السليم : ٢١٥/٥ .

(*) أشارَ الكثيرُ مِنَ المفسرين إلى أنَّ المراد من قوله تعالى : (وسبّحه ليلا طويلا) هو : صلاة اللّيل أو التّهجد ليلاً . ينظر ،الجامع لأحكام القرآن : ٩٧/١٩ ، و الكشّاف : ١١٦٧ ، و تفسير الجلالين ، جلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي : ٥٨٠ ، و إرشاد العقل السليم ٥/ ٢١٨ .

(١) العلق : ١٩ .

على سجودك يريد الصلاة ، (واقترب) وتقرّب إلى ربك))[1] . ولنا أَنْ نسألَ هنا إذا تحقق اقتراب العبد من ربه في السّجودِ . فما الداعي لقوله تعالى : (واقترب) إلاّ أَنْ يكون أمراً باستحبابِ الإتيانِ بالتطوعِ بعد الفريضةِ ، وحثّاً على الاجتهاد بطلبِ القربى من اللهِ (جلّ جلاله) بكلِّ أصنافِ الطّاعةِ الواجبة منها وغيرِ الواجبةِ .

ب . فعل الأمر المسند إلى الجمع

تنوعت الأساليبُ التركيبيةُ مع (الأمر) من المادتين ، والمسند إلى الجمعِ ، كما سنرى في الآتِي :

١ . فعل الأمر المسند إلى الجمع ، الواقع استئنافاً

انفرت مادةُ (سجد) بمجيئها فعلَ أمرٍ مسنداً إلى الجمعِ واقعاً استئنافاً مرةً واحدةً فقط في القرآنِ الكريمِ . قال تعالى : ﴿ **فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا** ﴾[2] . وقد وجَّهَ الخطابُ القرآني إلى جماعةِ المخاطبين وأمرهم بالسجود . وذلك بعد أن ذكر سوء حالهم . قال تعالى : ﴿ **أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا** ﴾[3] ، والفاء في قوله : (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا)، ((لترتيب الأمر أو موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالإنكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع ، أي : وإذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذي أنزله واعبدوه))[4] .

٢ . فعل الأمر المسند إلى الجمع ، الواقع مقول القول

---

(٢) الكشاف : ١٢١٤ .

(٣) النجم : ٦٢ .

(١) النجم : ٥٩ . ٦١ .

(٢) إرشاد العقل السليم : ١١٧/٥ .

وردت المادتان : (سجد و ركع) أمراً مسنداً إلى الجمعِ الواقع مقولَ القولِ في سبعةِ مواضعَ من القرآنِ الكريمِ . النصيب الأكبر منها كان لمادة (سجد) . إذ انفردت بستةِ مواضعَ منها[١] ، في حين كان لمادةِ (ركع) حضورٌ واحدٌ فيه[٢] . ومثاله من مادةِ (سجد) : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾[٣] ، ((والظاهر أن الخطاب عام لجميع بني آدم . ويكون الترتيب على قوله (ثم قلنا) إمّا أن تكون فيه (ثمّ) بمعنى الواو فلم ترتّب ، ويكون الترتيب بين الخلق والتصوير . أو تكون (ثم) في (ثم قلنا) للترتيب في الإخبار لا في الزمان . وهذا أسهل محمل في الآية))[٤] . ويُلحظُ وقوع (واو العطف) في جوابِ القولِ . التّي تُفيدُ الترتيبَ[٥] ، أي : جاء سجودهم (عليهم السلام) بعد أمرهم به . وفيهِ إلمَاح إلى سرعةِ استجابتهم وطاعتهم لله (جلّ جلاله) . والاستثناء في (إلاّ إبليس) إما متصل أو منقطع . فـ ((ابليس نُصِبَ على الاستثناء المتصل من الكلام الموجب وهو في مذهب من جعله من الملائكة ، وعلى الاستثناء المنقطع على مذهب من جعله من غير الملائكة))[٦] .

أَمَّا مادة (ركع) فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴾[٧] . وقد ورد الفعلُ الماضي (قيل) مع أسلوبِ الشّرطِ بـ (إذا) ، ((والأصل في استعمال (إذا) أن يكون ظرفا لما يستقبل من الزمان ، وقد جاءت في بعض آيات من القرآن الكريم مستعملة استعمال (إذ) للزمان الماضي))[٨] . ومنها ما جاءت في هذه الآية

(٣) البقرة : ٣٤ ، و الأعراف : ١١ ، و الإسراء : ٦١ ، و الكهف : ٥٠ ، و طه : ١١٦ ، والفرقان : ٦٠ .

(٤) المرسلات : ٤٨ .

(٥) الأعراف : ١١ .

(٦) البحر المحيط : ٣٥٠/٤ .

(٧) ينظر ، مغني اللبيب : ١/ ٣٢٤ – ٣٢٥ .

(١) مجمع البيان : ١٥٩/١ . وينظر ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل : ٤٢/١ . و البحر المحيط ٢٢٣/١

(٢) المرسلات : ٤٨ .

(٣) دراسات لأسلوب القرآن الكريم محمد عبد الخالق عضيمة : القسم ١ ، ١٥٣/١ .

الكريمة . ((وقد تكون إذا مع جملتها لاستمرار الزمان))[١] . وقد أفادَ أسلوبُ الشّرطِ بـ (إذا) في الآيةِ الكريمةِ : أنَّ عاداتهم المستمرةُ هي : (إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) . والآيةُ نزلت بحقِ ثقيف[٢] . حين أمرهم رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) بالصلاةِ فأَبَوا . فقالَ (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا خيرَ في دينٍ ليسَ فيه ركوع ولاسجود . وقيل : هو يوم القيامة حين يدعون إلى السجود فلا يستطيعون[٣] . وعلى كلا الرأيين . أي : إذا كان امتناعهم عن الركوع في الدنيا أو في يوم القيامة . فالتعبيرُ القرآني أرادَ أَنْ يبيّنَ مدى استمرارِهم في جفائِهم الركوعَ لوجهِ اللهِ تعالى . وخيرِ دليلٍ على ذلك قوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾[٤] ، زيادة في توبيخهم وتقريعهم[٥] . وحذفُ الفاعلِ في قوله : (إذا قيل لهم اركعوا) ربَّمَا ؛ لكونه معلوماً لدى المخاطبِ[٦] ، أو لتعظيمِهِ .

٣ . فعل الأمر المسند إلى الجمع ، الواقع جواباً للنداء

وردت المادتان (سجد و ركع) فعلَ أمرٍ مسنداً إلى الجمعِ واقعاً جواباً للنداء في موضعٍ واحدٍ من القرآنِ الكريمِ . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٧] . وقد صُدِّرَت الآيةُ الكريمةُ بالنداء زيادةً في طلبِ إقبالِهِم على تلقي أمره (جلّ جلاله) بالركوعِ والسجودِ . فـ ((للذكر شأن ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالات على ذلك ، فمن ثمة دعا المؤمنين أولا إلى الصلاة التي هي ذكر خالص ، ثم إلى العبادة بغير الصلاة كالصوم والحجّ والغزوّ ، ثمّ عَمَّ بالحثّ على سائر الخيرات . وقيل كان النّاس أوّل ما أسلموا يسجدون بلا

(٤) ينظر ، الكافية : ١٠١/٢ ، و دراسات لأسلوب القرآن الكريم : القسم ١ ، ١٥٤/١ .
(٥) ينظر ، لباب النقول في أسباب النزول : ٢٣٢ .
(٦) ينظر ، إرشاد العقل السليم : ٢٢١/٥ .
(٧) المرسلات : ٤٩ .
(٨) ينظر ، إرشاد العقل السليم : ٢٢١/٥ .
(٩) ينظر ، معاني النحو : ٧١/٢ .
(١) الحج : ٧٧ .

ركوع ويركعون بلا سجود فامروا أن تكون صلاتهم بركوع وسجود))[1] . وأدخلَ التعبيرُ القرآني : (أي) بعد حرفِ النداءِ (يا) لأنَّ المنادى معرفًا بـ (أل) ، والهاء للتنبيه ؛ زيادة في طلب إقبال المنادى . و (الذين آمنوا) هو المنادى ، وليس (أي)[2] .

وهكذا نرى كيف وَظَّفَ التعبيرُ القرآني أسلوبَ النّداءِ حين أراد توجيهَ أمرٍ مهمٍ إلى المسلمين ، كأمرِهِم بالركوعِ والسجودِ : (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) ، وحثّهم على ((سائر العبادات))[3] ، بقوله (واعبدوا ربّكم) ، ثُمَّ ((سائر الأحكام والقوانين المشرعة فإن في إقامتها والعمل بها خير المجتمع وسعادة الأفراد وحياتهم))[4] ، بقوله : (وافعلوا الخير) . وقد عطفَ (اسجدوا) على (اركعوا) وكلاهما واقع في جوابِ النداء . ولا تفيدُ (الواو) الترتيبَ في المتعاطفين .

٤ . فعل الأمر المسند إلى الجمع ، الواقع في جواب النداء

وردت مادةُ (ركع) فعلَ أمرٍ مسنداً إلى جماعةِ المخاطبين واقعاً في جوابِ النداءِ مرةً واحدةً في القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾[5] . فقوله (واركعوا مع الراكعين) وقع في جواب النداء في قوله تعالى السّابقِ له : ﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾[6] ، والنداءُ موجهٌ إلى (بني إسرائيل) ، معطوفاً عليه قوله تعالى : (وأقيموا الصلاة) ، يعني : صلاة المسلمين ، (وأركعوا مع الراكعين) منهم لأنَّ اليهودَ لا ركوعَ في صلاتِهِم ، وقيل : الركوعُ الخضوعُ والانقيادُ لِمَا يلزمهم في دينِ

(٢) الكشاف : ٧٠٢ .
(٣) ينظر ، معاني النحو : ٣٢٩/٤ .
(٤) الميزان : ٤١٣/١٧ .
(٥) الميزان : ٤١٣/١٧ .
(١) البقرة : ٤٣ .
(٢) البقرة : ٤٠ .

اللهِ . ويجوزُ أَنْ يُرادَ بالركوعِ الصلاةَ ، كما يعبر عنها بالسجودِ . وأَنْ يكون أمراً بأنْ يصلوا مع المصلِّين ، يعني : في الجماعة . كأنّه قيل : وأقيموا الصلاة ، وصلوها مع المصلين لا منفردين[1] .

٥ . فعل الأمر المسند إلى الجمع ، الواقع موقع الإضراب

وردت مادةُ (سجد) فعل أمرٍ مسنداً إلى الجماعةِ واقعاً موقعَ الاضرابِ في موضعٍ واحدٍ من القرآنِ الكريمِ . قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[2] . ويصحُّ الإضرابُ إذا كان إبطالا للإسنادِ السابقِ ، وإنّه ليس هو المراد[3] . وقد نهاهم اللهُ تعالى عن السّجودِ لآياتِهِ ، بعد تعديدها عليهم ، بحجةِ أَنَّ قصدهم السجود لوجهه تعالى إِنْ كانوا إيّاه يعبدون[4] . وقد أبطل الإسناد السابق لفعلِ الأمرِ بالسجودِ للشّمسِ والقمرِ ثُمّ جاء بفعلِ الأمرِ (واسجدوا) فوقع موقع الاضرابِ بتقدير (بل اسجدوا لله الذي خلقهنّ) وفي هذا الأسلوب من البلاغةِ وجمالِ التعبيرِ الكثير ؛ بذكر ما لا يجب السجود له ، وتوجيههم إلى السجودِ لمن يقتضي السجود له . وقد خصَّ بالذكر السجودَ دون الركوعِ ؛ لأنَّه غايةُ الخضوعِ ، و ((أقصى مراتب العبادة))[5] ، والطّاعة .

ج . فعل الأمر المسند إلى المخاطبة المفردة

لَمْ يردْ فعلُ الأمرِ مسنداً إلى المؤنثةِ المخاطبةِ من المادتين : (سجد و ركع) إلاّ مرّة واحدة في القرآنِ الكريمِ . وذلك في قولِهِ تعالى : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي

(٣) ينظر ، الكشاف : ٧٤ .
(٤) فصلت : ٣٧ .
(٥) ينظر ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم : القسم ١ ، ٥٧٣/١ .
(١) ينظر ، الكشاف : ٩٧٠ ، و إرشاد العقل السليم : ٢٤/٥– ٢٥ .
(٢) إرشاد العقل السليم : ٢٥/٥ .

.....

وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[1] ، وقد صُدِّرت الآيةُ الكريمةُ بالنداءِ ؛ لجذب انتباهها للأوامرِ التّي سترِدُ بعده . وقد توالت . بعد ذلك . الأوامرُ الإلهيةِ للسّيدةِ مريم (عليها السلام) بقوله تعالى : (اقْنُتِي لِرَبِّكِ) ثم عطفه الفعلين (وَاسْجُدِي وَارْكَعِي) أمراً لها (عليها السلام) بالصلاةِ بذكرِ القنوتِ والسّجودِ لكونِهِمَا من هيئاتِ الصلاةِ وأركانِهاً[2] . وقوله : (مع الراكعين) ، بضمير جمع المذكرين، يحتملُ أمرين ، أولهما : أنَّهُ من بابِ التغليبِ ، وثانيهما ، وهو ما أرجّحهُ : أنّه (جلّ جلاله) أمرها بالركوع مع جماعةِ الراكعين لكونها (عليها السلام) ، لاتطمث فهي دائمةُ الطهارةِ . وهذا توجيهٌ لها بدوامِ ركوعها (صلاتها) ، مع الراكعين . ويذكرُ أنَّ سِمَةَ الطهارةِ للسيدة العذراء لا يشاركها فيها من الإناثِ إلا البتول الطاهرة ، فاطمة الزهراء (عليها السلام) .

ومن لطيفِ التعبيرِ القرآني وحكمتِهِ أَنْ خاطبَ المفردة المؤنثة بكلتا المادتين (سجد و ركع) ، وإنْ كان مرةً واحدةً فقط . حفاظاً لشأنِ المرأة في الدّين الإسلامي والشريعةِ المحمّديّةِ ، ومكانتها عند الله تعالى ، واستكمالاً لوجوه تكليفِها، ونِعَم الله . جلّ جلاله . عليها ، وجاء بأسلوب الأمر لبيانِ صلةَ الارتباط بين الآمرِ والمأمورِ ، ولاسيما إذا كان المأمورُ السّيدة مريم (عليها السلام) ، وهي سيدةُ نساءِ العالمين في زمانها .

(٣) آل عمران : ٤٣ .

(٤) ينظر الكشّاف : ١٧٢ .

.....

ثانياً : الأسماء

١ . الأسماء المرفوعة

أ . المبتدأ

ورد الاسمُ من مادةِ (سجد) مبتدأً في موضعٍ واحدٍ من القرآنِ الكريمِ . قال تعالى : ﴿ لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[١] ، فالتعبيرُ القرآني حين عرض لجماعةٍ من المنافقين بنوا مسجداً للتفريقِ بينَ المسلمين ، وطلبِ الغوائل للمؤمنين[٢] . حذَّرَ المؤمنين من الصّلاةِ في هذا المسجِدِ ؛ لأنَّهُ مسجد نفاقٍ وضرارٍ ، وأشارَ عليهم في مقابلِ ذلك بالصّلاةِ في مسجدِ أُسِسَ على التقوى . وهذا المسجدُ الذي أمرَ اللهُ تعالى بالصّلاةِ

---

(١) التوبة : ١٠٨ .

(٢) ينظر ، مجمع البيان : ١٣٦/١١ . و الميزان : ٤٠٤/١١ .

فيه لابدَّ من أَنْ يكون مسجداً اكتسب نوعاً من الفضلِ على مساجد المؤمنين الأُخرى . فأشار عليهم بالصّلاةِ في ((مسجد قِبَاء أو مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم))[١] . ولإثباتِ صفةِ الفضلِ لهذا المسجِدِ الذي أمرهم بالقيامِ به عبَّرَ عنه بالاسم إذ يفيد الاسمُ الثبوتَ لا الحدوثَ والتجددَ[٢] . وإذا أنعمنا النظر في المبتدأ (لمسجد) وجدناه نكرةً وقد قُدِّمَ على خبرِهِ (أحق)[٣] . ويفيد ذلك التخصيص[٤] . وعامّة يُقدمُ المبتدأُ النكرةُ للاهتمامِ والعنايةِ به[٥]. ولا أكثر عنايةٍ من توجيهِ المؤمنين إلى القيامِ في مسجدِ قباء أو مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد نهيهِم عن القيامِ في مسجِدِ الضّرار . ويُلاحَظُ في الجملةِ التّي وردت فيها مادةُ (سجد) . في صيغة اسم المكان . مبتدأً ، أنَّها جاءت مؤكدةً بـ (لام الابتداء) حين وجّه للقيامِ في المسجد الذي أسّس على التقوى . وزيادةً في توجيه المؤمنين إلى هذا المسجد[٦] . وقد يمتدُّ هذا التوكيدُ ؛ ليشير إلى أهمّيةِ المسجدِ في حياةِ المسلمين لأنّه مكان العبادة ومصدر الهدى وموعد الالتقاء بالله (جلّ جلاله) لذا وَصَفَ قاصديه بقوله تعالى : (فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحبّ المطّهّرين) فمدحهم بحبه ؛ لذا جاء بصيغةِ النكرةِ (لمسجد) الموصوفة بـ (أسس على التقوى) ؛ لتخصيصه من غيره من المساجد مراعاةً لسياقِ الموقفِ .

ب . الخبر

(٣) مجمع البيان : ١٣٦/١١ .

(٤) ينظر ، معاني الأبنية في العربية : ٩ – ١٠ ، و التعبير القرآني ، د . فاضل السامرائي : ٢٤.

(٥) وهنا : (((أحق) بمعنى حقيق ، وليست أفعل تفضيل ، إذ لا اشتراك بين المسجدين في الحق)) . البحر المحيط : ١٣١/٥ .

(٦) ينظر ، معاني النحو : ١٦١/١ .

(٧) ينظر معاني النحو : ١٦١/١ .

(١) ينظر ، مغني اللبيب : ٤٤٥/١ ، و معاني النحو : ٣١٥ – ٣١٨ .

وردت مادةُ (ركع) خبراً في موضعٍ قرآنيٍّ واحدٍ . قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[1] ، فـ ((قوله : (وهم راكعون) ابتداء وخبر في موضع الحال من المضمر في (يؤتون) أي : يعطون ما يزكيهم عند الله في حال ركوعهم أي : وهم في صلاتهم . فالواو ، واو الحال))[2] ، ونَلحظُ في تركيبِ هذه الآيةِ الكريمةِ استعمال أسلوب القصر بـ (إنّما) وهو قصرٌ حقيقيٌّ . إذ اختصَّ المقصورُ بالمقصورِ عليه بحسبِ الحقيقةِ لا يتعداه إلى سواه أصلاً[3] . إذ عالجت الآيةُ الكريمةُ قضيةَ الولايةِ عند المسلمين . فالوليُ هو الذي يتولى مصالحَ المسلمين ويتحققُ تدبيرهم وتجب طاعته عليهم فقصرَ الولاية على اللهِ تعالى ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) والذين آمنوا ، بعد أَنْ وصفهم (جلّ جلاله) بـ (الذين يقيمون الصلاة) بشرائطها ، (ويؤتون)، أي : ويعطون (الزكاة وهم راكعون) ، أي : في حالِ ركوعهم[4] . وتستعملُ (إنّما) المكسورة الهمز لِمَا لا ينكره المخاطبُ ولا يدفعُ صحتَهُ . قال عبد القاهر الجرجاني : ((اعلم أن موضوع (إنما) على أن تجيء لخبرٍ لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما يُنَزَّل هذه المنزلة))[5] . ومِمَّا لا يخفى أنَّ هذه الآية تقررُ قضيةً مهمةً في حياةِ المسلمين وهي : ولايةُ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)[6] ، التّي كانت شمساً لا يحجبها غربالٌ . وقد قال تعالى : (وهم راكعون)؛ لأنَّ في الإخبارِ بالجملةِ الاسميّةِ دلالةٌ على الثبوتِ[7] . وإثباتُ صفة الركوع للولي إنَّمَا هو من بابِ رفدِ الممدوحِ بفضائِلِهِ التّي أهّلتهُ لبلوغِ هذه المرتبة العظيمة عند الله (جلّ وعلا) . كإتيانه الزكاة ، وهي أداء حقِّ الله تعالى إلى مستحقيه . وسُميِّت زكاةٌ لِمَا فيها من رجاءِ البركةِ أو لتزكيةِ

(٢) المائدة : ٥٥ .

(٣) مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب : ٢٣٠/١ .

(٤) ينظر : البلاغة والتطبيق ، د . أحمد مطلوب : ١٧٠ .

(١) ينظر ، مجمع البيان : ٤٢١/٦ – ٤٢٢ .

(٢) دلائل الإعجاز : ٣٣٠ . وينظر : معاني النحو : ٣٣٠/١ – ٣٣١ .

(٣) ينظر ، لباب النقول في أسباب النزول : ٩٠ . ٩١ .

(٤) ينظر : معاني النحو : ١٨٨/١ .

.....

الـنفسِ ، أي : تنميتهـا بـالخيراتِ والبركـاتِ أو لهمـا جميعـاً فـإنّ الخيْـرينِ موجـودان فيهـا[١] . فإتيانـه الزكـاة فـي مكـان عبـادة المسـلمين وهـو فـي حـال الركـوع أَسْـهَمَ ، بأسلوب الخبر ، في رَسِمِ مَعَالِمَ شخصيةِ الوليّ وأحقيته ، ومِنْ ثَمَّ بيان جنس العملِ الصّالح المراد الاقتداء بهِ .

ومِنْ تَأَمُلِ تركيبِ سياقِ الآيةِ الكريمةِ يتجلى انسجام التركيبِ في استعمال (إنّما) مع سياقِ مقامِ المخاطب وحالِهِ . فاستعمالُ (إنمّا) يفضي إلى دلالتها على التّلميحِ . وهي في ذلك ((وسيلة مؤدبة ومؤثرة معاً ، فضلاً عن إيجازها . أمّا أنّها مؤدبة فلأنها تصل إلى الغرض من غير أن تذكر الطرف المقابل ، ومؤثرة من ناحية أنّك توحي بأنّ ترك التصريح بما يخالف ما أثبته هو من الوضوح بمكان ، كما أنّ الاكتفاء بالمثبت يوحي أحياناً بأنه لا يليق أن يُوازن بين ما أُثبت وما نُفي))[٢] .

ونخلصُ مِمَّا سبق إلى أنَّ التعبيرَ القرآنيّ في استعمالِه مادةَ (ركع) خبراً مع أسلوبِ القصرِ قد أرادَ تأكيدَ المعنى وإثباته في نفسِ المخاطبِ لِمَا في التأكيدِ من تفخيمٍ وتعظيمٍ لأهميةِ الركوعِ والصّلاةِ . عامّة . في حياةِ المسلمين مهما كانت مكانتهم وإنْ كانوا أنبياء أو أولياء . بل إنَّ الركوع من الأهميةِ بمكانٍ إذْ هو أهمُ الرّوافد التي بلغت بالأنبياءِ والأولياءِ هذه الدرجة الرفيعة والمكانة الخاصة من الله (جلّ وعلا) .

ت . تعدد الخبر

كان للمادتين (سجد وركع) نصيبٌ من الورودِ خبراً متعدداً مرّةً واحدةً في القرآنِ الكريمِ . قال تعالى : ﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٣] ، قُدِّرَ المبتدأُ بالضّميرِ : (هم) ، أو : (التائبون) مبتدأ ، و (العابدون) خبر ، وما بعده

(٥) ينظر ، المفردات في غريب القرآن : ٢١٨ . و المصطلحات الإسلامية ، العسكري : ٢٢٥.

(١) من بلاغة القرآن ، أحمد أحمد بدوي : ١٦٠ .

(٢) التوبة : ١١٢ .

.....

خبر بعد خبر[١] . وقد أجازَ جمهورُ النحاةِ تعددَ الخبرِ لمبتدأ واحدٍ فيما منعه جماعة[٢] . ويرى بعضُ علمائِنَا في مثل هذه التراكيب أَنْ لاحاجةَ لتقديرِ محذوفٍ. وأَنَّ الاكتفاء بالاسمِ العمدةِ المرفوعِ يشيعُ في العبارةِ القرآنيّةِ على الأغلبِ ، في صورٍ متعددةٍ ، ومن هذه الصّور حين يكون موصوفاً ، كما في هذه الآيةِ الكريمةِ مع مادتيِ ﴿﴾: (سجد و ركع) ، وأنّ جلبَ مثل هذا التقدير قد يُضيّعُ فنّيّةَ الأسلوبِ القرآنيّ[٣] . ونَلحظُ أنَّ التعبيرَ القرآني أوردَ المتعاطفاتِ (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف) من غير أَنْ يجلب بينها (واو العطف) ، وحين وصل إلى المتعاطفين (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) ، أتى بـ (واو العطف) . وقد صنعَ التعبيرُ القرآني هذا الصنيع لحكمةٍ بلاغيةٍ ودلالةٍ لغويةٍ اعتمدت التّركيبَ سبيلاً لايصالها إلى المتلقي . قال الرازيّ (ت٦٠٦هـ) : ((وذلك لأنّ ما سبق من الصفات عبادات يأتي بها الإنسان لنفسه ، ولا تعلّق لشيء منها بالغير . أما النهي عن المنكر فعبادة متعلقة بالغير ، وهذا النهي يوجب فوران الغضب ، وظهور الخصومة ، وربّما أقدم ذلك النهي على ضرب الناهي ، وربّما حاول قتله فكان النهي عن المنكر أصعب أقسام العبادات والطاعات ، فأدخل عليها الواو تنبيهاً على ما يحصل فيها من زيادة المشقّة والمحنة))[٤] . ويقدّم الدكتورُ فاضلُ السامرائيّ مسوغاتٍ تقتربُ من ذلك بقوله : إنّ السببَ في ذلك يعودُ إلى توجيه التعبيرِ القرآني بزيادةِ الاهتمام بهذه الخصلة ؛ لأنّها قد تؤدي إلى الاحتاك والصِّدَامِ، بخلاف الصّفاتِ الباقية وتحتاجُ إلى صبر ، وعناء ، وحكمه ، ومشقة[٥]. في حين يرى الطبرسيّ (٥٤٨هـ) ، أنّه ((أدخل الواو هنا لأن الأمر بالمعروف يتضمن النهي عن المنكر ، فكأنهما شيء واحد ، ولأنه قرن النهي عن المنكر

---

(٣) ينظر ، مدارك التنزيل : ٦٨٤/١ . و البحر المحيط : ١٠٦/٥ .

(٤) لمزيدٍ من التفصيل ، ينظر ، ظاهرة التأويل في إعراب القرآن الكريم ، د . محمد عبد القادر هنادي : ٢٠٧ – ٢١٢ .

(١) ينظر ، نحو القرآن : ٢٢ – ٢٦ .

(٢) التفسير الكبير : ١٦ . ٢٠٥ .

(٣) ينظر ، معاني النحو : ٢٠٥/١ .

.....

بـالأمر بـالمعروف فـي أكثـر المواضـع[١] ، فأدخـل الـواو ليـدل علـى المقارنـة))[٢] . وضعّف أبو حيّان دعوى أَن تكون الواو (واو الثمانية) وحاولَ وضعَ مسوغٍ آخر ، فقال : ((والصفات إذا تكررت وكانت للمدح أو الذم أو الترحم جاز فيها الإتباع للمنعوت والقطع في كلها أو بعضها ، وإذا تباين ما بين الوصفين جاز العطف . ولمّا كان الأمر مبايناً للنهي ، إذ الأمر طلب فعل والنهي ترك فعل، حسن العطف في قوله (والناهون)))[٣] ، ويرى الطباطبائيّ في تنويعِ العطفِ الذي جاءت بِهِ الآيةُ الكريمةُ . أَنَّ اللهَ (جلّ جلاله) أرادَ إثبات منتهى صفات الخير لعباده ، وغاية ما يتحلّى به العباد . وعلى هذا فقد ظهر مِمَّا تقرر وجه الترتيب بين الأوصافِ التّي عدّها لهم فبدأ بأوصافهم منفردين ، وهي : التوبة ، والعبادة ، والسياحة ، والركوع ، والسجود ، ثمّ ذكر ما لهم من الوصف الخاص بهم المنبعث عن إيمانهم مجتمعين ، وهو الأمر بالمعروف والنهيّ عن المنكرِ وختمَ بما لهم من جميلِ الوصفِ في حالتيّ انفرادهم واجتماعهم وهو حفظهم لحدود الله[٤] .

ويرى الكاشانيّ في العطفين : (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) ، و(الحافظون لحدود الله) ، أَنَّ : (((الآمرون بالمعروف) بالإيمان والطاعة (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصي . والعاطف فيه للدلالة على أنه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة ، كأنه قال : الجامعون بين الوصفين . وأما

---

(٤) ومن تلك المواضع : آل عمران : ١٠٤ ، و ١١٠ ، و ١١٤ ، و الأعراف : ١٥٧ ، و التوبة : ٧١ ، و الحج : ٤١ .

(٥) مجمع البيان : ١١ / ١٤٢ . وينظر ، زبدة التفاسير : ٣/ ١٧١ .

(١) البحر المحيط : ٥/ ١٣٧ – ١٣٨ . وإلى مثل ذلك ذهب الإمام محمد رشيد رضا (ت١٩٣٥م) في عدمِ ترجيحِ أن تكون الواو في قوله : (والناهون) واو ثمانية ، فيقول : ((وأقوى منه عندي أنه وصف جامع للتكاليف عامة ، والمنهيات خاصّة ، والسبعة المسرودة قبله من المأمورات ، ولا يحصل الكمال للمؤمن بها إلاّ مع اجتناب المنهيات ، .... [ثم يخلص إلى معنى الآية ، بقوله : و] معنى الآية أن المؤمنين الكاملين الذين باعوا أنفسهم لله تعالى هم المتصفون بالصفات السبع ، والحافظون مع ذلك لجميع حدود الله في كل أمر ونهي)) . تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار ، محمد رشيد رضا : ٤٤/١١ .

(٢) ينظر ، الميزان : ٤١٠/١١ – ٤١١ .

العاطف في قوله تعالى : (والحافظون لحدود الله) أي في ما بيّنه وعيّنه من الحقائق والشرائع ، فللتنبيه على أن ما قبله مفصّل الفضائل وهذا مجملها))[١] .

وهكذا نرى كيف لجأ التعبير القرآني إلى تعدد الخبر حين أراد حشد أكثر عدد ممكن من صفات الخير للمؤمنين ومدحهم بها على تنوعها .

ث . المعطوف على نائب الفاعل

انفرد ورود المعطوف على نائب الفاعل من مادةِ (سجد) مرةً واحدةً في القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[٢] ، فجاءَ قولُهُ : (مساجد) معطوفاً على نائبِ الفاعل (صوامع) للفعلِ (هُدّمت) بعد حذفِ فاعلِهِ . فقد يُترك الفاعل ويُؤتى بما ينوب عنه لأغراض متعددة منها : السجع ، أو لإقامة النظم[٣] ، أو لغرضٍ معنوي كأن يُحذف للجهلِ به ، أو للعلم ، أو يُحذف ؛ لأنّه لا يتعلّقُ بذكره غرضٌ ، أي : قصد[٤] . وقد يُحذفُ للخوفِ منه أو للخوفِ عليه[٥] ، أو بقصدِ إيهام المتلقي ، أو لتواضع الفاعل ، أو لتحقيره ، أو لغرضٍ آخرٍ[٦] . وقد يُتركُ لغرضِ التعظيم .

ويبدو للباحثِ أنَّ تركَ ذكر الفاعل ، في هذه الآية ، إنَّمَا حصلَ بسببٍ من توجيهِ الاهتمام إلى الحدثِ ؛ لِعِظَمِهِ . ففي تهديمِ بيوت عبادة اللهِ إشارةٌ كبيرة ؛ لانتهاك حرمة الدّين عامةً . لا الفاعل .

(٣) زبدة التفاسير : ١٧١/٣ – ١٧٢ .

(١) الحج : ٤٠ .

(٢) ينظر ، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ٣٧٩/١ ، و معاني النحو : ٧١/٢ .

(٣) ينظر ، معاني النحو : ٧٢/٢ .

(٤) ينظر ، نحو الفعل : ٨٨ ، و معاني النحو : ٧٢/٢ .

(٥) ينظر ، معاني النحو : ٧٢/٢ .

.....

٢ . الأسماء المنصوبة

أ . المفعول به

ورد الاسمُ من مادةِ (سجد) مفعولاً بِهِ في ثمانية مواضعَ قرآنيةٍ كريمةٍ[١] . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٢] . فـ (مساجد) جمعُ اسمِ مكانٍ وقد ورد (مفعولا به) للفعلِ الماضي (منع) ، وقوله : (((ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) إنما هو (مِنْ أَنْ يُذكَرَ فيها اسمُهُ) ، ولكنّ حروف الجر تحذف مع (أَنْ) كثيراً ، ويعمل ما قبلها فيها حتى تكون في موضع نصب ، أو يكون (أَنْ يُذْكَرَ) بدلاً مِنَ المساجد ، يريد: وَمَنْ أَظلَمُ مِمَّن مَنَعَ اَنْ يُذْكَرَ))[٣] . ويُلْحَظُ في سياقِ الآيةِ الكريمةِ إضافة المفعول به (المساجد) ، إلى لفظِ الجلالةِ (الله)[٤] . مِمَّا يفيدُ تعريفَ هذه المساجد . وقد صُدِّرَت الآيةُ الكريمةُ بالاستفهامِ الاستنكاري ، وخرج لافادةِ التوبيخ .

---

(١) البقرة : ١١٤ ، و التوبة : ١٧ ، و ١٨ ، و ٢٨ ، و ١٠٧ ، و الإسراء : ٧ ، و الكهف : ٢١ ، والفتح : ٢٧ .

(٢) البقرة :١١٤ .

(٣) معاني القرآن ، الأخفش الأوسط : ١٤٤/١ .

(٤) ورد إضافةُ لفظ الجلالة (الله) إلى (المساجد) أيضًا في التوبة : ١٧ ، و ١٨ ، فيما ورد إضافة (الحرام) إلى (المساجد) في التوبة : ٢٨ ، و الفتح : ٢٧ .

ويعكسُ الاستعمالُ القرآني في ورودِ مادةِ (سجد) مفعولا به ، وهو الذي وقع عليه فعل الفاعل[١] ، كيفية التعامل ، سواء أكانوا المسلمين ، أم المشركين مع بيوتِ عبادةِ اللهِ . وما لهذهِ البيوت من حرمةٍ وقدسيّةٍ في حياةِ الإسلامِ والمسلمين.

ب . الحال

وردت مادتا (سجد و ركع) حالاً في تسعة عشر موضعاً مِنَ القرآنِ الكريمِ . ستةُ عشر موضعاً منها من مادةِ (سجد)[٢] ، وثلاثةُ مواضع منها من مادةِ (ركع)[٣] . ومثاله من مادةِ (سجد) قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٤]، فـ (((سجدا) حال من المضمر في (ادخلوا)))[٥] ، ونَلْحَظُ في سياقِ الآيةِ الكريمةِ ورود مادة (سجد) على صيغةِ المبالغةِ (فُعَّل) وفي ذلك تأكيدُ منه تعالى على بني إسرائيلَ بضرورةِ التوجّهِ إليهِ بعد ذكرِ نعمهِ عليهم ، وأَرادَ أَنْ يكون حالهم عند دخولهم بيتَ المقدسِ[٦] ، هُوَ السجود . فنعمةُ اللهِ (جلّ وعلا) . حين أنجاهم من آلِ فرعون وأدخلهم بيت المقدس . تُحَتِّمُ عليم السجود شكراً للهِ منذُ اللحظةِ الأولى لدخولِ المدينةِ ، وليكون هذا العملُ تأسيساً لتقديسهِ (جلّ وعلا) في مدينةٍ يَنْعَمُونَ بها بالأمانِ بعيداً عن بطشِ بني إسرائيلَ ، وقد واصلَ ذلك السجود بالدّعاءِ ، فقال : (وقولوا حطةُ) . فاللهُ (جلّ جلاله) يُؤدبُ عباده ويهديهم سُبُلَهُ لتكون المحصلةُ

---

(٥) ينظر ، الإيضاح في شرح المفصل ، ابن الحاجب : ٢٤٤/١ ، و الكافية : ٣٣٣/١ . وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، ابن هشام : ٢١٣ ، و المشكاة الفتحية : ٢١٣ .

(١) البقرة : ٥٨ ، و النساء : ١٥٤ ، و الأعراف : ١٢٠ ، و ١٦١ ، و يوسف : ٤ ، و ١٠٠ ، و الحجر : ٢٩ ، و النحل : ٤٨ ، و الإسراء : ١٠٧ ، و مريم : ٥٨ ، و طه : ٧٠ ، و الشعراء : ٤٦ ، و السجدة : ١٥ ، و ص : ٧٢ ، و الزمر : ٩ ، و الفتح : ٢٩ .

(٢) المائدة : ٥٥ . و ص : ٢٤ . و الفتح : ٢٩ .

(٣) البقرة : ٥٨ .

(٤) مشكل إعراب القرآن : ٩٥/١ .

(٥) ((أجمع المفسرون أن المراد بالقرية ها هنا بيت المقدس)) ، مجمع البيان : ٢٣٤/١ .

.....

النهائيةُ غُفرانَ الذّنوبِ وسَبْغِهِم بِنِعَمِهِ (جلّ جلاله)، فابتدأ بالسجودِ وبعدَ السجود الدّعاءِ . ونَلْحَظُ في سياق الآيةِ الكريمةِ كيف أتاحَ الله تعالى لبني إسرائيلَ نِعَمَ (بيت المقدس) حيثُ شَاؤوا رَغَداً توسِعَةً منه (جلّ وعلا) عليهم[١] ، فهو أمرُ إباحةٍ[٢] . ومنهُ قولهُ تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[٣] ، ونلحظُ في سياقِ الآيةِ الكريمةِ ورودَ مادةِ (سجد) بصيغةِ الجمعِ للعاقلين ، وهي تتحدَّثُ عن سجودِ الكواكب والشمس والقمر ، و ((قد جاز في الشمس والقمر والكواكب الجمع بالنون والياء ؛ لأنّهم وصفوا بأفاعيل الآدميين))[٤] .

ومثاله أيضًا من المادتين قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[٥] ، فـ ((ركعّاً سجداً ، منصوبان على الحال من الهاء والميم في (تراهم) ؛ لأنَّه من رؤية البصر))[٦] ، الركّع السجّد في قوله تعالى : (تراهم ركّعًا سجدًا) جمعُ راكعٍ ، و ساجدٍ . والمراد بكونهم ركّعاً سجّداً إقامتهم للصلاةِ وبيانٌ لحالهم ، و (تراهم) يفيد الاستمرار . والمحصّلُ أَنَّهُم مستمرون على الصلاةِ[٧] . وهذا هو حالُهُمُ

---

(١) مثله قوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ ﴾ ، [البقرة : ٣٥] ، فدلَ قوله تعالى : (وكلا منها رغدا) إباحة الأكلِ لهما من الجّنةِ على سبيلِ التوسعة ، إذْ لم يحظر عليهما أكلٌ ما ، فقال : (رغدا) . ينظر البحر المحيط : ٢٩٩/١ .

(٢) ينظر ، التفسير الكبير : ٥٢٣/١ .

(٣) يوسف : ٤ .

(٤) العلامة الإعرابية في الجملة العربية بين القديم والحديث ، د . محمد حماسة : ٣٣١ .

(٥) الفتح : ٢٩ .

(٦) البيان في غريب إعراب القرآن ، أبو البركات الأنباري :٣٨٠/٢ .

(٧) ينظر ، الميزان : ١٨ /٣٠٣ .

.....

المداومون عليه ، ويؤيدُ دوامهم على هذه الحالِ الأثرُ من السجودِ ، فالأثرُ ((حصول ما يدل على وجوده))[١] . فهذا الأثرُ إنَّمَا كان بسببِ أَنوار (السّجود و الرّكوع) ، وإشراقاتِ المداومةِ على هذا العملِ العبادي .

ت . اسم (أَنَّ)

وردَ الاسمُ من مادةِ (سجد) اسم (أَنَّ) في موضعٍ قرآني كريمٍ واحدٍ . قال تعالى : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً** ﴾[٢] . وتفيدُ (أنّ) المفتوحة معنى التأكيد[٣] . والأسماءُ التّي تعملُ فيها (أنّ) تكون صلةً لها[٤] . وهي في ذلك تلتقي مع سائر الأحرفِ المصدريةِ ، إذ إنَّ من أهمِّ وظائف الحرفِ المصدري أَنْ يوقعَ الجملةَ موقعَ المفردِ ، ثُمَّ أنَّ الحرفَ المصدري يجعلُ ما بعده في حكمِ المصدرِ ، والمصدرُ معنى ذهني غير متشخّص . و (أنّ) على هذا تجعلُ الأمرَ معنوياً ذهنياً ، فثمّةُ فرقٍ بينَ قولِ أحدِنَا : أرى محمداً واقفاً ، وأرى أنّ محمداً واقفٌ ، ، إذ الأول : موقفٌ متشخّصٌ و (رأى) بصرية ، والثاني : موقفٌ عقليٌّ، و (رأى) عقلية ، أي : أرى أنَّه فاعل ذلك ، وأحسبه[٥] .

وتحملُ الآيةُ الكريمةُ موقفاً عقلياً مفادُهُ : أنَّ المساجِدَ . على مختلف ما يراد بالمساجد في تفسير هذه الآية المباركة[٦] . هي للهِ (جلّ جلاله) ، ومن غيرِ

---

(١) المفردات : ١٩ .

(٢) الجنّ : ١٨ .

(٣) ينظر ، شرح المفصّل : ٥٥٤/٣ .

(٤) ينظر ، كتاب سيبويه : ٤٦١/١ .

(٥) ينظر ، معاني النحو : ٢٩٥/١ .

(٦) من جملةِ الآراء التي قِيلَت في تفسيرِ قوله تعالى : (وأنّ المساجد لله) ، أنّها : الأرض كلّها ؛ لأنّها جُعلت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مسجداً ، وقيل : المراد بها المسجد الحرام ؛ لأنّه قبلة المساجد ، وقيل : كان اليهود والنصارى إذا دخلوا بِيَّعْهم وكنائسهم أشركوا بالله فأمرنا أن نَخلص لله الدعوة إذا دخلنا المساجد ، وقيل : المسجد أعضاء السجود السبعة ، وقيل : هي جمع مسجد وهو السجود . ينظر ، الكشاف: ١١٤٧ ، والميزان : ٥٤/ ٢٩ .

المنصف أَنْ نجعلَهَا لغيرِهِ أو نشرك بها غيره . أو أَنَّ المساجِدَ للهِ وإنْ جرى عليها ما جرى من الغصبِ مثلاً أو تسخيرها لغير العبادةِ فيما لا يرتضيه اللهُ . وقد حُذِفَ خبرُ (أنّ) من الجملةِ ، لغرضٍ بلاغيّ ، وربَّمَا كان ذلك لتوجيه الاهتمام في تركيب الآيةِ الكريمةِ على المعنى الذّي أرادت إيصاله إلينا بـ (أَنَّ و اسمها)

٣ . الأسماء المجرورة

أ . المجرور بحرف الجّر

وردت مادتا (سجد و ركع) اسمين مجرورين بحرفِ الجّرِ في سبعة عشر موضعاً من القرآنِ الكريمِ . كان لمادةِ (سجد) النصيب الأوفرِ منها . فوردت في خمسةِ عشر موضعاً منها[١] . في حين وردت مادةُ (ركع) في موضعين اثنين منها[٢] . ولم تأتِ مادةُ (ركع) إلاّ مجرورة بحرف الجر عطفاً ولَمْ يباشرها حرفُ الجر البتة[٣] . ويُلحظُ كذلك أنَّ ستةً من أَحرفِ الجرِّ فقط وردت جارةً للمادتين ، وهي : (عن ، واللام ، وإلى ، وفي ، والباء ، ومن) . وقد جاءت بمعاني متعددة بحسب السياقاتِ القرآنيّةِ التّي وردت فيها ، كما سنرى . وقد انسحبت معانيها هذه على دلالاتِ المادتين (سجد و ركع) .

ومثاله من مادةِ (سجد) ، قوله تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ

(١) البقرة : ١٢٥ ، و ١٨٧ ، و ٢١٧ ، و المائدة : ٢ ، و الأعراف : ١١ ، و الأنفال : ٣٤ و الحجر : ٩٨ ، و الإسراء : ١ ، و ١ ، و الحجّ : ٢٥ ، و ٢٦ ، و الشعراء : ٢١٩ ، و الفتح : ٢٥ ، و القلم : ٤٢ ، و ٤٣ .

(٢) البقرة : ١٢٥ ، و الحجّ : ٢٦ .

(٣) يشاركها في ذلك بعضُ الحالات التي وردت فيها مادة (سجد) ، وذلك في البقرة : ١٢٥ ، و ٢١٧ ، و الحجّ ٢٥ ، و ٢٦ .

.....

وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[1] ، فـ ((قولـه (وأنـتم عـاكفون فـي المسـاجد) ، أي معتكفون ، أي لا تباشروهن في حال اعتكافكم في المساجد))[2] ، فأفادَ حرفُ الجّرِّ هنا الظرفية المكانية . إذ يخرج (في) لمعاني الظرفية[3] ، المكانية والزمانية ، وقد جاء معنى الظرفية المكانية هنا منسجِماً مع اسمِ المكان المجموع (مساجد) .

ومثالها من المادتين . المجرورتين عطفاً ، قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[4] . وللامِ الجارّةِ اثنان وعشرون معنى . منها على سبيلِ التمثيل : الاستحقاق ، والاختصاص ، والملك ، والتمليك وشبهِه ، والتعليل ، ومنها : الموافقة (إلى) ، و (على) ، و (في) ، و (من) ، و (مع) ، ومنها الزائدة للتوكيد[5] . أمَّا التي جاءت في هذه الآيةِ في قوله : (الطائفين والعاكفين والركّع السجود) ، فتفيدُ معنى الاختصاص . وهذا نوعٌ من التكريمِ الإلهيّ ؛ إذ قَرَنَ تطهير بيته وخصّه لفئة من المؤمنين ، هم : الطائفون والعاكفون ، والرّكّع السّجود . ولا يفيد العطف بالواو التوالي ولا الترتيب في المتعاطفات . فربّما عني ذلك سبق أحدهما الآخر أو تساويهما في الرتبة . ومن الملاحظِ في سياقِ الآيةِ الكريمةِ أنّ الله . جلّ جلاله . عَهِدَ إلى نبيهِ إبراهيمَ وولدِهِ إسماعيل (عليهما السلام) تطهيرَ البيتِ لأصنافٍ من المؤمنين . وإذا أَنعمنَا النظرَ في تلك الأصنافِ نجد أَنَّ بعضَهَا يطوفُ بالبيتِ ، والثاني : يعكف في هذا البيت ، والنوعان الأخيران : (الرّكّع السّجود) قد

(١) البقرة : ١٨٧ .

(٢) مجمع البيان : ٤٣/٢ .

(٣) ينظر ، حاشية الخضري : ١/ ٥٢٦ .

(٤) البقرة : ١٢٥ .

(٥) ينظر ، مغني اللبيب : ٤١٠/١ – ٤٢٤ .

يكون ركوعهم وسجودهم في داخل البيتِ المحرّمِ ، أو من البُعدِ ، فأفادَ العطفُ بالواو مطلقَ الجمعِ ، وبالتالي إلى أهمّيّةِ كلِّ الأصنافِ المتعاطفةِ ، وربَّما تساويها بالمرتبةِ والدرجةِ عند الله تعالى وإذا حصل هذا التساوي وكان فلا بدّ من أَنْ نتنبَّه إلى أَنَّ إتيان (الركوع و السجود) في مُعظَمِه يأتي من بعد عن البيت الحرام . إذا أخذنا بالحسبان كثرة عددِ المسلمين خارج البيتِ ، وفي أصقاع الأرض المترامية نسبة إلى الموجودين قرب البيت أو فيهِ . وفي هذا أصدق دليل على أهميةِ النّيّة[1] ، في العباداتِ والمعاملاتِ في الشّريعةِ المحمديّةِ .

ب . المجرور بالإضافة

وردت الأسماءُ من مادتي : (سجد و ركع) مجرورةً بالإضافةِ في خمسةِ عشر موضعاً من القرآنِ الكريمِ . وكان لمادةِ (سجد) النصيب الأكبر منها . فوردت في ثلاثة عشر موضعاً[2] ، في حين وردت مادةُ (ركع) في موضعين اثنين فقط[3] . وقد جاءت في تسعةِ مواضعَ منها اسمُ مكان : (مسجد) ، وفي أربعةٍ منها جمعُ مذكرٍ سالمٍ ، على النحو الآتي : (ساجدين ، و راكعين) ، مرتان لكلِّ مادة . في حين وردت في موضعين اثنين مصدراً ، وهو : (السجود).

ومثاله من مادةِ (سجد) قوله تعالى : ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾[4] . ونَلْحَظُ في سياقِ الآيةِ الكريمةِ إضافة ظرفِ المكانِ النّكرةِ (شطر) إلى (المسجد) ، الذي هو اسمُ

(١) النيةُ ، هي : ((القصد إلى الفعل ، امتثالا لأمر الله ، وطلبًا لتقربه ، ورجاء لثوابه ، وخوفاً من عقابه)) . جامع السّعادات ، الشيخ المولى محمد النّراقي : ٤١٦/٢ .

(٢) البقرة : ١٤٤ ، و ١٤٩ ، و ١٥٠ ، و ١٩١ ، و ١٩٦ ، و الأعراف : ٢٩ ، و ٣١ ، والتوبة: ٧ ، و ١٩ ، و الحجر : ٣١ ، و ٣٢ ، و الفتح : ٢٩ ، و ق : ٤٠ .

(٣) البقرة :٤٣ ، و آل عمران : ٤٣ .

(٤) البقرة : ١٤٤ .

المكانِ المعرّف بـ (أل) ، وقد أفادت هذه الإضافةُ المحضةُ المضافَ (شطر) التعريفَ ؛ لكونه المضاف إليه (المسجد) معرفة[١] . وقد قَوَّى تعريفُ (المسجد) نعتَهُ بـ (الحرام) ، وسُمِّيَ الحَرَمُ بذلك ؛ ((لتحريم الله تعالى فيه كثيراً ممّا ليس بمُحرّم في غيرِهِ من المواضع))[٢] . ويقعُ المضافُ والمضافُ إليه (شطر المسجد) بمحلِ نصبٍ ، فـ ((شطر المسجد نُصِبَ على الظرف أي : اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد . أي في جهته وسَمْتِهِ ؛ لأنّ استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد ، وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل في أنّ الواجب مراعاة الجهة دون العين))[٣] . وهكذا نرى كيف أضفى (المضاف إليه) كثيراً من الإيضاحِ والتعريفِ على التّعبيرِ القرآنيّ ، ولا سيما أنّ الأمرَ الذّي جاءت به الآيةُ الكريمةُ يخصُّ تحويلَ قبلةِ الرسولِ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأمتِهِ من (بيت المقدس) إلى (الكعبة) الشريفةِ[٤] .

ومثاله مع مادةِ (ركع) قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[٥] ، و (مع) اسمٌ بدليل التنوين في قولنا : (معاً) ، وكذلك دخولِ الجّارِّ عليه . وتستعملُ مضافة ، فتكون ظرفاً[٦] . وهي اسمٌ لمكانِ الاجتماع أو وقتِهِ ، تفردُ عن الإضافةِ ، فتكون في الأكثرِ منصوبةً على الحالِ[٧] . وقولُهُ : (مع الراكعين) ظرفٌ[٨] ، وهو مضافٌ و (الراكعين) مضافٌ إليهِ .

وعامّةً نَلْحَظُ أَنَّ التّعبيرَ القرآنيّ يلجأُ إلى الإضافةِ مع المادتين (سجد و ركع) لمعاني خاصّةٍ . فيوضّحُ ، ويعرّفُ ، ويقرِّعُ ، ويأمرُ ، ويخصِّصُ . وتلك المعاني

(١) ينظر ، حاشية الخضري : ٦/٢ .
(٢) المفردات : ١٢٢ .
(٣) الكشاف : ١٠٢ .
(٤) ينظر ، مجمع البيان : ٢/ ٤٥٢ .
(٥) البقرة : ٤٣ .
(٦) ينظر ، مغني اللبيب : ٦٣١/١ – ٦٣٢ . و دراسات لأسلوب القرآن الكريم : القسم ٣ ، ٥٨٣/٢ .
(٧) ينظر ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم : القسم ٣ ، ٥٨٣/٢ .
(٨) ينظر ، التبيان : ٣٤ .

.....

هي : الأمرُ بالصلاةِ ، والركوعِ مع الراكعين[١] . أو حين أَرادَ توجيهَ الرّسولِ محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى القبلةِ (الكعبة الشريفة) ، وأَنْ يعدل عن (بيت المقدس)[٢] . وهذا حدثٌ جَلَلُ في حياةِ الإسلامِ والمسلمين . أو تعظيماً ، وتقديساً ، وتشريفاً ، لمكانةِ (الكعبة) حين أَباحَ ابتداء الكافرين القتال مطلقاً ، ونهى عنه عند (المسجد الحرام) في حرمِهِ حَتَّى يبدأ المشركون بذلك[٣] . أو في بيانِ أحكامِهِ (جلّ جلاله) للمتمتّعِ بالعمرة إلى الحجّ[٤] . وهذه من العباداتِ المهمةِ في حياةِ المسلمين . أو في توضيحِ ما يلزمُ مِنَ العبوديّةِ بأزاء إكرام الله تعالى بـ (الاصطفاء ، والتطهير والاصطفاء ، على نساء العالمين)[٥] ، فيمَا يَخصُّ السّيدة مريم (عليها السلام)[٦] . أو عامّة التوجه إلى البيت الحرام في الصلاة[٧] . أو حِفْظ عهد طائفة من المشركين الذين عاهدوا المسلمين . وقد ميّزهم بقوله : (الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) لكونهم لَمْ ينقضوا عهداً ولَمْ يَسَّاهَلُوا فيما واثقوا بِهِ[٨] . وحتَّى في هذا اللّونِ من الخطابِ نَلْمَحُ فائدةَ التمييز بينَ المشركين في عهدهِمِ للمسلمين . أو للتفريقِ بينَ حقيقتين[٩] ، بتبيين أَنَّ : ((الزنة والقيمة إنّما هي للعمل إذا كان حيا بولوج روح الإيمان فيه وأمّا الجسد الخالي الّذي لا روح فيه ولا حياة له فلا وزن له في ميزان الدين ولا قيمة له في سوق الحقائق فليس للمؤمنين أن يعتبروا مجرّد هياكل الأعمال ، ويجعلوها ملاكات للفضل وأسباباً للقرب منه تعالى إلاّ بعد اعتبار حياتها بالإيمان

---

(١) البقرة : ٤٣ . ينظر ، الكشاف : ٧٤ . و مدارك التنزيل : ٧٤/١ .

(٢) البقرة : ١٤٤ ، و ١٤٩ ، و ١٥٠ . ينظر ، مجمع البيان : ٤٥٢/٢ ، و ٤٦٢/٢ . ٤٦٣ .

(٣) البقرة : ١٩١ . ينظر ، مجمع البيان : ٥١/٢ .

(٤) البقرة : ١٩٦ . ينظر ، مجمع البيان : ٥٩/٢ . ٦١ .

(٥) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ ، [آل عمران : ٤٢] .

(٦) آل عمران : ٤٣ . ينظر ، الميزان : ٢١٨/٣ . ٢١٩ .

(٧) الأعراف : ٢٩ . ينظر ، مجمع البيان : ٢٦٥/٨ .

(٨) التوبة : ٧ . ينظر : الميزان : ١٠ / ١٦١ .

(٩) التوبة : ١٩ .

.....

والخلوص))[١] لوجهِهِ تعالى . ويؤيدُ هذا التفريقُ خَتْمَهُ الآيةَ بقولِهِ (جلّ جلاله) : ﴿ **لا يستوون عند الله وَاللهُ لايَهدِي القومَ الظلمينَ** ﴾[٢] . أو في بيانِ انصياعِ الملائكةِ (عليهم السلام) بطاعةِ الله (جلّ وعلا) والسجودِ لآدمَ (عليه السلام) بحيث لَمْ يَبْقَ منهم أحد وفشلُ إبليسَ في تلبيةِ أمرِ اللهِ تعالى والقيام بِهِ[٣] . وفي هذا الأمرُ ترجيحٌ للملائكةِ ، بالطّاعةِ ، على إبليسَ وعلوّ مكانتهم . أو في تقريعِ إبليسَ لعدمِ السّجودِ لآدمَ (عليه السلام)، وامتثال أمرِ اللهِ تعالى[٤] . وهذا خطبٌ عظيمٌ أَنْ يَخُصَّ اللهُ بعضَ خلقهِ بالتقريعِ والعتابِ بعد عصيانِهِ إيّاه . أو في بيانِ سمةِ أصحابِ الرّسولِ محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمنين السّائرين على نهجِهِ بـ (أثر السجود)[٥] . وفيه إلْمَاحٌ إلى الآثارِ التّي يتركها (السّجودُ) في أهلِهِ في الدنيا والآخرةِ . أو في بيانِ أهمّيةِ التّعقيباتِ والنوافل بعد الصلاةِ المفروضةِ[٦] . وفيه حَثٌّ على توكيدِ الطّاعةِ والتقرّبِ إلى اللهِ تعالى بالتطوعِ بعد أداءِ الواجبِ .

ونلاحِظُ في نهايةِ حديثِنَا عن المستوى النّحويّ لمادتي (سجد و ركع) كيف تنوعت الأساليبُ التّركيبيةِ من استعمالِ التعبير بالأفعال الماضيةِ والمضارِعةِ ، والأمرِ عن المادتين . إلى توظيف أَساليبَ المبتدأ ، والخبرِ ، والخبرِ المتعددِ . إلى استعمالِ المنصوباتِ من المفاعيلَ ، والحالِ ، واسم (أَنَّ) . ثُمَّ إلى المجرورات بِحروفِ الجّرِّ ، و المجرورات بالإضافةِ . خدمةً للسياقِ القرآنيِّ والتّعبيرِ البلاغيِّ للقرآنِ الكريمِ في المادتين (سجد و ركع) .

---

(١) الميزان : ١٠ /٢١١ .

(٢)التوبة : ١٩ .

(٣) الحجر : ٣١ . ينظر ، الميزان : ١٤ /١٥٤ .

(٤) الحجر : ٣٢ . ينظر ، الميزان : ١٤ /١٥٤ .

(٥) الفتح : ٢٩ . ينظر ، الميزان : ٢٦/٣٠٣ . ٣٠٤ .

(٦) ق : ٤٠ . ينظر ، الميزان : ٢٦/٣٦٤ .

الفصل الرابع

المستوى الدّلالي لمادتي (سجد و ركع)
في القرآن الكريم

يُعْنَى علمُ الدّلالةِ بدراسةِ المعنى أو نظريةِ المعنى[١] . ولكلِّ علمٍ وظيفةٌ ، ووظيفةُ هذا العلم البحثُ في معاني المفرداتِ ومشكلاتِهَا ، وفي معاني الجّملِ ، فضلاً عن وضعِ القوانين العامةِ التّي تخضعُ لها معاني الألفاظِ مِنْ حيث علاقتها بالظّروفِ الاجتماعيةِ ، والثقافيةِ ، والسياسيةِ ، والاقتصاديةِ وما يطرأُ عليها من التغييرِ : كالتوسعِ ، أو التضييقِ ، أو التطورِ ، أو الانحدارِ ، وغيرها[٢] .

المبحث الأول

التعبير القرآني الصّريح عن (السجود و الركوع)

أولاً : (السجود و الركوع) وظلال المعنى

لاوجودَ لأيِّ دلالةٍ هامشيةٍ من دون وجود دلالة أولية ، أو مركزية ، أو أساسية للألفاظِ تستندُ إليها وتنطلقُ منها ، ((ومن العلوم اللّفظية تحقيق الألفاظ المفردة ، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه في أوائل المعاوِنِ لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللَّبِنِ في كونه أوّل المعاوِنِ في بناء ما يريد أن يبنيه))[٣] . فالكلمةُ . في كلِّ لغةٍ . في أَصلِ وضعها لها دلالةٌ يشير إليها المعنى المعجميّ حين ترِدُ في أقلِ سياقٍ أَي حين ترِدُ منفردةً[٤] . ويقصدُ بها ذلك القدرُ الثابتُ من المعنى الذّي يعرفُهُ كلُّ أفرادِ البيئةِ اللّغويةِ الذّين يملكون لغةً معينةً وبِهِ يحصلُ الاتصالُ اللّغويّ والتفاهم ونقلُ الأفكارِ[٥] . ثُمَّ يَنمو حولَ تلك الدّلالةِ المركزيةِ ظلالٌ أخرى للمعنى تتسعُ هذه الظّلال وتمتد تبعاً لاختلافِ الأفرادِ ، واختلافِ تجاربهم وإرثهم ، فالمعنى الهامشي، أو الدّلالةُ

(١) ينظر ، علم الدلالة ، د . أحمد مختار عمر : ١١ .

(٢) ينظر ، دلالة الألفاظ ، د . إبراهيم أنيس : ٧ – ٨ .

(3) المفردات : ١٠ .

(4) ينظر ، علم الدلالة : ٣٦ – ٣٧ .

(5) ينظر ، دور الكلمة في اللغة ، ستيفن أولمان : ٢١٧ ، و علم الدلالة : ٣٦ .

الهامشيةُ هي : ((تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم))[١] . والتجربةُ الشخصيةُ ، والموروثُ الشخصيّ ربَّمَا عدَّا سبباً مهماً في بروزِ معنيين يعملون في ميدانِ علمِ الدّلالةِ ، أو دراسة المعنى من غير علماءِ اللّغةِ ، فـ ((دراسة المعنى ومحاولة معرفة طبيعته وخصائصه خرجت أحياناً عن سيطرة علماء اللغة فاشترك في دراسته علماء ومفكرون من ميادين مختلفة كالفلاسفة والمناطقة والنقاد وعلماء النفس والاجتماع ، كما أسهم في دراسته بعض علماء السياسة والقانون والاقتصاد وجماعات من الفنانين والأدباء والصحفيين))[٢] .

وربَّمَا كان هذا العامل . أي الدّلالة الهامشية . مدعاة لتوفير جوٍّ خِصْب لهؤلاءِ المعنيين من غيرِ علماءِ اللّغةِ ليعربوا عن آرائهم ونظرياتهم ووجهاتِ نظرِهِم . ومِنْ هنا تتمازُ الدّلالةَ الهامشيةَ مِنَ الدّلالةِ المركزيةِ : ((بافتقارها إلى القدر النسبي المشترك من الفهم بين الناس ، ومن ثم تتصف بعدم الثبات ولا تدخل ضمن[*] الوحدة المعجمية ، فهي دلالة فردية مختلفة من شخص إلى آخر تبعاً للمستوى الثقافي والتجربة والمزاج والعاطفة والعوامل الوراثية وغالباً ما تختلف في الشخص نفسه باختلاف أحواله النفسية))[٣] . ويقولُ الدكتور إبراهيم أنيس : ((يمكن أن نشبه الدلالة بتلك الدوائر التي تحدث عقب إلقاء حجر في الماء ، فما يتكون منها أولا يعدّ بمثابة الدلالة المركزية للألفاظ ، يقع فهم بعض الناس منها في نقطة المركز ، وبعضهم في جوانب الدائرة أو على حدود محيطها . ثم تتسع تلك الدوائر وتصبح في أذهان القلة من الناس وقد تضمنت ظلالا من المعاني لا يشركهم فيها غيرهم))[٤] . ومن كلام الدكتور إبراهيم أنيس هذا يتبينُ أَنَّ الدّلالةَ الهامشيةَ دلالةٌ مخصوصةٌ لا يشتركُ فيها كلّ المتلقين، بل كُلٌّ ينهلُ مِنْهَا بحسبِ ثقافته وإِرْثِهِ الاجتماعيّ والسّياسيّ والفلسفيّ وغيرها. ثُمَّ أنَّ هذا المعنى هو توسعٌ مضافٌ

(1) دلالة الألفاظ : ١٠٧ .

(2) العربية والغموض ، د . حلمي خليل : ١٣ .

(*) الأصحُ أسلوباً ، القول : بضمن ، أو في ضمن .

(٣) ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث ، د . علي زوين (بحث) ، مجلة آفاق عربية ، العدد الخامس ، السنة الخامسة عشرة ، ١٩٩٠ : ٧٣ .

(٤) دلالة الألفاظ : ١٠٦ .

يأتي إلى جانبِ الدّلالةِ المركزيةِ أو امتدادٌ لها ، فهو : ((زائد على المعنى الأساسي وليس له صفة الثبوت والشمول ، وإنما يتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة))[١] . وقد تُرْجِمَت هذه السّمةُ بصورةٍ جليةٍ في لغةِ القرآنِ الكريمِ ، هذا من جهة . ومن جهةٍ أُخرى لا وجودَ للدلالةِ الهامشيةِ مِنْ غيرِ وجودِ دلالة مركزية للّفظِ . ونؤكدُ هنا أَنْ لا سبيلَ لانطلاقِ هذه الدّلالة . أي الهامشية . من دون السّياق . فالمعنى الهامشيّ للكلمةِ يستدعي تحليلاً لسياقاتِ المواقفِ التّي تردُ فيها ، حتَّى ما كان منها غيرُ لغوي ، فمعنى الكلمة يتعدَّدُ بتعدّدِ السّياقاتِ التي تردُ فيها سواء أكانت هذه السياقات لغوية ، أو عاطفية ، أو ثقافية ، أو سياق موقف ، أو غيرها[٢] . ويمكن القول : إنَّ الدلالةَ الهامشية لمادتي (سجد و ركع) قد وسّعت المديات الدلالية للسجودِ والركوعِ في لغةِ القرآنِ . وقد وجدتا الجو الخصبِ لهما في ذلك لميزتين مهمتين تمتعتا بهما ؛ الأولى : أهميتهما في العبادات اليومية للمسلمين ، والثانية التلون الاجتماعي ، والطبقي لمعتنقي الإسلام عبر الأزمنة ، واتساع رقعة الإسلام .

١ . البيت الحرام

استعمل التعبيرُ القرآني مادةَ (سجد) في مواضعَ كثيرة ليشيرَ فيها إلى (البيت الحرام) ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[٣] ، فَمِنْ جملةِ ما يُرادُ مِنَ المعاني في تفسيرِ قولهِ تعالى : (مساجد الله) ، هو : (المسجد الحرام)، وقد جاء بصيغةِ الجّمعِ ؛ ليأتي الحكمُ عامَّاً وإنْ كان السّببُ خاصَّاً[٤] . ومثله قوله تعالى

(١) علم الدلالة : ٣٧ .

(٢) ينظر ، علم الدلالة : ٦٩ .

(٣) البقرة : ١١٤ .

(١) ينظر ، الكشاف : ٩٣ ، و المحرر الوجيز : ٣٩٦/١ ، و مدارك التنزيل : ٨١/١ ، و البحر المحيط : ٥١٣/١ .

: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[1] ، فقولُهُ : (كلّ مسجد) إشارةٌ إلى (البيت الحرام) ، فقد ((كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراة ، وكانوا لا يأكلون في أيام حجّهم دسماً ولا ينالون من الطعام إلاّ قوتاً تعظيماً لحجّهم فنزلت))[2] . والمسجدُ هنا . كما أوضحَ السّياقُ القرآني . هُوَ : (البيت الحرام) ، فلا يحجُّ المسلمون إلى غيرِهِ . وكذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾[3] . فقيل المرادُ بالمساجد هنا المسجدَ الحرام ؛ لأنَّه قبلة المساجد[4] ، أو ((لأنّ كلّ ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة))[5].

٢ . الصلاة

أَلْمَحَ الاستعمالُ القرآني لمادتي (سجد و ركع) إلى الصّلاةِ في الكثير مِنَ المواضع . وربَّمَا سوغَ ذلك إطلاقِ البعضِ على الكلِّ ، وهو أَمرٌ شائعٌ في لغةِ العربِ. فمعلومٌ أَنَّ (السّجود والركوع) ركنان من أركانِ الصّلاةِ ، لذا فإطلاقُ أحدهما للدّلالةِ على الصّلاةِ جائزٌ وسائغٌ ومقبولٌ لدى الذائقةِ اللّغويَّةِ العربيَّةِ . فـ ((يجوز أن يراد بالركوع الصلاة ، كما يعبر عنها بالسجود))[6] .

ومِنْ أمثلتِهِ في مادةِ (سجد) ، قوله تعالى : ﴿ لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[7] ، فَقِيلَ : ((عنى صلاة العشاء ؛ لأنّ أهل الكتاب لا يصلونها))[8] ، وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) : ((أَخَّرَ رسولُ اللهِ (صلى الله

(٢) الأعراف : ٢٩ .
(٣) البحر المحيط : ٢٩١/٤ .
(٤) الجن : ١٨ .
(٥) ينظر ، الكشاف : ١١٤٧ .
(٦) إرشاد العقل السليم : ٢٠٢/٥ .
(٧) الكشاف : ٧٤ .
(١) آل عمران : ١١٣ .
(٢) الكشاف : ١٩٠ ، وينظر ، مدارك التنزيل : ٢٤٤/١ ، و تفسير الجلالين : ٦٤ .

.....

عليه وآله وسلم) صلاةَ العشاءِ ثمَّ خَرَجَ إلى المسجِدِ فإذا النَّاسُ ينتظِرُونَ الصَّلاةَ ، فقال : (أما إنَّه ليسَ مِنْ أَهلِ الأديانِ أَحدٌ يَذْكُرُ اللهَ هذهِ السَّاعةَ غَيْرَكُمْ) . ثمَّ نزلت عليه : (ليسوا سواء من أهل الكتاب)))[1] . وإذا أَنعمنَا النظرَ في قولِهِ (جل وعلا) ، وجدناه ((عبّر بالسجود عن الصلاة ؛ لأنّ السجود أبلغ الأركان في التواضع))[2] . وإحدى غايات الصلاةِ هي التواضع والتذلل للخالقِ (جلّ وعلا) ، إقراراً بالخضوعِ والعبوديةِ . ورجَّحَ أبو حيّان أنَّ المرادَ بقولِهِ : (وهم يسجدون) صلاةَ اللّيلِ ولَمْ يرجِّحْ أنَّ المرادَ بها المصلين بينَ العشائين ؛ لأنّه مخالفٌ لظاهرِ قوله : (يتلون آيات الله آناء الليل)[3] . ومِمَّا يؤكدُ أَنَّ المرادَ بقولِهِ تعالى : (وهم يسجدون) الصلاةَ لا غيرها قولُهُ : (يتلون آيات الله آناء الليل) وقرنها مباشرة بقولِهِ (وهم يسجدون) ، فـ ((السجود في هذا الموضع اسم للصلاة لا للسجود ؛ لأنّ التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع))[4] .

ومثاله أيضا قوله تعالى : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾[5] ، أي : المصلين. وكانَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) أذا حَزَبَهَ أمرٌ فزع إلى الصلاة[6] . قَالَ أبو حيان أمر الله (جلّ جلاله) رسولَهُ (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكون ((من الساجدين ، والمراد . والله أعلم . من المصلين ، فكنّى بالسجود عن الصلاة وهي أشرف أفعال الجسد ، وأقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد))[7] . بل إنَّ الصَّلاةَ سُمِّيت (سجوداً) تسميةً لها باسمِ أَفضلِ أجزائِهَا[8] . ومثاله أيضاً ، قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾[9] ، فقوله تعالى : (وأدبار السجود) ((التسبيح في آثار

---

(٣) صحيح ابن حبّان بترتيب بلبان ، ابن بلبان الفارسي ، كتاب الصّلاة الحديث ١٥٣٠ : ٣٩٧/٤ – ٣٩٨.

(٤) مجمع البيان : ٤/ ٤٤٥ .

(٥) ينظر ، البحر المحيط : ٥١/٣ .

(٦) معاني القرآن ، الفراء : ١ / ٢٣١ .

(٧) الحجر : ٩٨ .

(٨) ينظر ، إرشاد العقل السليم : ٣ / ١٦٠ .

(١) البحر المحيط : ٥ / ٦٠٢ .

(٢) ينظر ، الميزان : ١٤ / ١٩٤ .

(٣) ق : ٤٠ .

.....

الصلوات ، والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة))[١] ، والمرادُ بأدبار السجود ،هُوَ التسبيحُ في أدبار الصَّلاةِ[٢] . ومثاله أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً ﴾[٣] . (ومن الليل فاسجد له) ، أي : ((وبعض الليل فصل له ، أو يعني صلاة المغرب والعشاء))[٤] . ومثله ، كذلك ، قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾[٥] ، فقوله : (((واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة))[٦] . وجاء التعبيرُ عن الصَّلاةِ بالسّجودِ ؛ لأَنَّهَا ((أفضل الأوصاف التي يكون العبد فيها أقرب إلى الله تعالى))[٧] .

ومن أمثلةِ استعمالِ مادةِ (ركع) في القرآنِ الكريمِ للدلالةِ على الصَّلاةِ ، قولُهُ تعالى : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[٨] ، فـ ((قيل لها (واركعي مع الراكعي) بمعنى : ولتكن صلاتكِ مع المصلين))[٩] ، أو كما يعملُ السّاجدون والرّاكعون[١٠] . فكما حصل في مواضع كُثر أشار فيها الاستعمالُ القرآني إلى الصّلاةِ بمادةِ (سجد) ، أشارَ . ها هنا . إلى الصّلاةِ بمادةِ (ركع) . ومثلُهُ قولُهُ تعالى : ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنَ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾[١١] . فـ ((خرَّ للسجود راكعاً أي

---

(٤) الكشاف : ١٠٤٨ .

(٥) ينظر ، البحر المحيط : ٨ / ١٨٥ ، و الميزان : ٢٦ / ٣٤٦ .

(٦) الدهر : ٢٦ .

(٧) الكشاف : ١١٦٧ .

(٨) العلق : ١٩ .

(٩) الكشّاف : ١٢١٤ .

(١٠) البحر المحيط : ٨/ ٦٩٨ . ٦٩٩ .

(١١) آل عمران : ٤٣ .

(١٢) الكشاف : ١٧٢ ، و البحر المحيط : ٢ / ٧٣١ ، و مدارك التنزيل : ١ / ٢١٥ .

(1) ينظر ، مجمع البيان : ٣ / ٣٥٦ .

(2) ص : ٢٤ .

.....

مصلياً ؛ لأنّ الركوع يجعل عبارة عن الصلاة))[1] . ومثلُهُ قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾[2] ، فـ (ركّعًا سجّدًا) ((إخبار عن كثرة صلاتهم))[3] . ومن الملاحظ . هنا . أنَّه لَمْ يَشَرْ بمادتي (سجد و ركع) إلى الصّلاةِ . فحسب . بل إلى كثرتها مستعيناً بصيغةِ المبالغةِ (فُعّل) ؛ للدّلالةِ على ذلك .

٣ . الإيمان

أَشارَ التعبيرُ القرآني إلى هذا المعنى بمادةِ (سجد) في قصّةِ سيدِنَا موسى (عليه السلام) مع سحرةِ فرعون ، قال تعالى : ﴿ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[4] . وقد أَتت الآيةُ الثانيةُ بلفظِ الإيمانِ صراحةً ، ولَكِنْ سُبِقَ بالسّجودِ في الآيةِ الأولى ، وهو فعلٌ يوثقُ عُرَى ذلك الإيمان ، والسجودُ أقوى دلالة على صحةِ إيمانهم ، وتفريقاً لإيمانهم الصادقِ عن الإيمانِ الذّي في اللّسانِ خيرَ تفريق[5] . لذا يُعَدُ تعبيره بالسجودِ عن الإيمانِ أكثر صدقاً على حالِهِم وعلى إيمانِهِم . وإنَّ هذا الإيمان قد تساوى فيه القولُ والفعلُ ، ومثله قوله تعالى : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾[6]، وقوله تعالى :

---

(3) الكشاف : ٩٢٤ .

(4) الفتح : ٢٩ .

(5) الجامع لأحكام القرآن : ١٦ / ١٩٣ .

(6) الأعراف : ١٢٠– ١٢١ .

(1) ينظر ، الأشباه والنظائر في القرآن الكريم ، مقاتل بن سليمان : ١٣٧ . ١٣٨ ، و الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، هارون بن موسى : ١٢٥ .

(2) طه : ٧٠ .

.....

﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] . وقد يشير السجود في بعضِ المواضع القرآنيةِ إلى مَنْ يتّصِف بالإيمانِ ، أي : المؤمنين . قال تعالى : ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴾[2] ، فقوله : (في الساجدين) ، ((أراد وتقلبك في المؤمنين ، فعبّر عنهم بالساجدين))[3] .

٤ . الإخلاص

أَلْمَحَ التعبيرُ القرآني في مادةِ (سجد) إلى هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[4] ، فالمعنى الذي يقررُهُ سياقُ الآيةِ الكريمةِ : ((أخلصوا وجوهكم لله بالطاعة فلا تشركوا به وثنًا ولا غيره))[5] . وقد وكّدَ هذا المعنى ، أي : الإخلاص ، في آخرِ الآيةِ المباركة بقوله : (وادعوه مخلصين له الدّين) ، وفيه بيان الإخلاصِ المستفادِ من الآيةِ الكريمةِ .

٥ . التواضع

وقد أشارت مادةُ (سجد) إلى هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ

(3) الشعراء : ٤٦ . ٤٧ .
(4) الشعراء : ٢١٩ .
(5) ينظر ، البحر المحيط : ٧ / ٦١ .
(6) الأعراف : ٢٩ .
(7) الميزان : ٨ / ٧٥ .

.....

السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[1] ، وقد ذَكرَ هذا المعنى أبو حيَّان : ((قيل السجود هنا التواضع))[2] .

٦ . الخدمة

قال تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[3] ، وقد أشارت مادةُ (سجد) إلى هذا المعنى لَدَى مَنْ يرى أَنَّ السَّجودَ عند أولئك القومِ كان على سبيلِ الخدمةِ ، وهو مَا كانَ سائِغَاً في ذلك الوقتِ[4] .

٧ . التحية

أشارت مادةُ (سجد) إلى هذا المعنى في مواضعَ كثيرة من القرآنِ الكريم . ولَمْ تشاركها في ذلك مادةُ (ركع) . فقد يُرَادُ بسجودِ الملائكةِ لآدمَ (عليهم السلام) التحيةُ إِذْ يقولُ اللهُ تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[5] ، فقد ((كان سجود تحية كسجود أبَوَي يوسف عليه السلام لا سجود عبادة))[6] .

وأمَّا في قصِّةِ يوسف (عليه السلام) فتدلُ مادةُ (سجد) ، بصورةٍ جليَّةٍ ، على التحيةِ ، إِذْ قَالَ تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

(١) يوسف : ١٠٠ .
(٢) البحر المحيط : ٥ / ٤٤٧ .
(٣) يوسف : ١٠٠ .
(٤) ينظر : المفردات : ٢٣٠ .
(1) البقرة : ٣٤ .
(2) المحرر الوجيز : ٢٣١/١ ، وينظر ، البحر المحيط : ١ / ٢٢١ .

.....

سَاجِدِينَ ﴾[1] ، فَقِيلَ : ((كان في ذلك الوقت السجود تحية بعضهم لبعض))[2] ، وكذلك في قولِهِ تعالى مِنْ السّورةِ نفسِهَا : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾[3] ، فقد ((كانت تلك تحية الملوك في ذلك الزمان))[4] ، وقد كانت السجدةُ . عندهم . جاريةٌ مجرى التّحيةِ والتّكرمةِ كالقيامِ والمصافحةِ وتقبيل اليدِ ، ونحوها مِمَّا جرت عليه عادةُ النّاسِ في ذلك الزمان ـ مِنْ أَفعالٍ شُهِرَت في التّعظيمِ والتّوقيرِ[5] ، وشُهْرَةُ هذه الحال عندهم . السجود تحيةً . مِمَّا كانَ راسخاً ؛ فَأَمن عنده لبسُ الإشراكِ باللهِ فسهَّلَ إتيانَهُ بتلك الصفة .

وعامةً يمكنُ القول : إنَّ السجودَ لآدمَ (عليه السلام) في القرآن الكريم وأينما وردَ لَهُ ، ولبنيهِ مِنَ البَشَرِ ، ليسَ سجودَ عبادةٍ ؛ ((لأنّ العبادة لاتجوز لغير اللّه تعالى والتحية والتكرمة جائزان لمن يستحق ضربا من التعظيم))[6] ، فـ ((السجود لله تعالى على سبيل العبادة ، ولغيره على وجه التكرمة))[7] .

٨ . الأرآب السّبعة

(3) يوسف : ٤ .

(4) البحر المحيط : ٥/ ٣٦٦ .

(5) يوسف : ١٠٠ .

(6) جامع البيان : ١٣ / ٤٤ .

(7) ينظر ، الكشاف : ٥٣١ ، و الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ١٧٣ . ١٧٤ ، و البحر المحيط : ٥ / ٤٤٦ ، وتفسير الجلالين : ٢٤٧ ، و إرشاد العقل السليم : ٣ / ٩٢ .

(1) ينظر : أحكام القرآن ، الجصّاص : ١ / ٣٦ .

(2) الكشّاف : ٧١ .

.....

أَشارَ الاستعمالُ القرآني بمادةِ (سجد) إلى الأَرْآبِ السّبعةِ . وذلك في قولِهِ تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً ﴾[1] ، فالمساجِدُ هي الأرآبُ السّبعةِ التّي يُسْجَدُ عليها ، ((واحدها مَسْجَد بفتح الجيم ، وهي : الجبهة ، والأنف ، واليدان ، والركبتان ، والقدمان عُدَّ الجبهةُ والأنفُ واحداً))[2] . في حين رجَّحَ الطباطبائيُّ أَنْ يكونَ المرادُ بها الأعضاء السبعة وقدّ عَدَّها دون ذِكرِ الأَنفِ ، فـ ((عن الإمام الجواد (عليه السلام) أن المراد بالمساجد الأعضاء السبعة التي يُسْجَدُ عليها في الصلاة وهي الجبهة والكفان والركبتان وأصابع الرجلين ... والأنسب على هذا أن يكون المراد بكون مواضع السجود من الإنسان لله اختصاصها به اختصاصاً تشريعيّاً))[3] .

٩ . مواقيت السّجود

أَلْمَحَ سياقُ النّصِّ القرآنيّ باستعمالِ مادةِ (سجد) الإشارة إلى مواقيتِ السّجودِ ، وربَّمَا كان المقصودُ الأوقات التّي تُؤدى فيها الصّلوات سواء المفروضة منها ، أو النّافلة . قال تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[4] ، فـ (عند كلّ مسجد) ، قِيلَ : ((في كلّ وقت سجود))[5]. ويأخذُ السّجودُ بُعداً جديداً في حياةِ المسلمين فيصبح علامةً دَالّةً على مواقيتِ يومِهِم وليلَتِهِم . قال تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴾[6] ، فقد جاءَ عن الإمامِ علي (عليه السلام) ، قوله : (أدبار السجود)[7] ، الركعتان بعد المغرب ، و(إدبار النجوم)[1] ، الركعتان قبل الفجر[2] ، إشارةٌ إلى نافلتَي الغُفَيْلَةِ والفجرِ على التوالي .

---

(3) الجن : ١٨ .

(4) البحر المحيط : ٨ / ٤٩٢ .

(5) الميزان : ٢٩ / ٥٤ .

(6) الأعراف : ٢٩ .

(7) الكشاف : ٣٦١ ، وينظر ، مدارك التنزيل : ١ / ٥٣٢ .

(1) ق : ٤٠ .

(2) ق : ٤٠ .

.....

١٠ . الأرض

كُنَّا أَشرنَا في الفصلِ الصّرفيّ إلى عدمِ ورودِ صيغةِ اسمِ المكانِ مِنْ مادةِ (ركع)، على حين وردت مِنْ نظيرتها مادة (سجد) ، وخصَّ التّعبيرُ القرآني الإشارة إلى مكان السّجودِ بلفظِ (المسجد) ، ((وإن كان الذي يوقع فيه أفعالا كثيرة من القيام، والركوع ، والقعود ، والعكوف ، وكل هذا متعبد به ، ولم يَقُلْ مقام ، ولا مركع ، ولا مقعد ، ولا معكف ؛ لأنّ السجود أعظم الهيئات الدالة على الخضوع والخشوع والطوعية التامّة))[٣] . وبهذه المادة أَلْمَحَ الاستعمالُ القرآني للأرضِ . قال تعالى : ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾[٤] ، فـ (مساجد الله) هي الأرض كلّها ، فعن الإمام ((علي عليه السلام ، أنّه أراد جميع الأرض ؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (جُعلت لي الأرض مسجداً وتراباً طهوراً)[٥] ...))[٦] . ومثلُهُ قولُهُ تعالى : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً** ﴾[٧] ، فَمِنْ جملةِ الآراءِ التّي قِيلَت في المرادِ بقولِهِ (جلّ وعلا) : (

---

(3) الطور : ٤٩ .

(4) ينظر ، معاني القرآن ، الفرّاء : ٣ / ٨٠ .

(5) البحر المحيط : ١ / ٥١٥ .

(٦) البقرة : ١١٤ .

(١) صحيح البخاري ، باب قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : (جُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً) ، الحديث رقم (٤٣٨) : ٩٦ . وتَمَامُ الحديثِ الشَّرِيفِ : ((**أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي : نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إلى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**))

(٢) مجمع البيان : ١ / ٣٧٧ .

(٣) الجن : ١٨ .

.....

وأنّ المساجد) : يعني الأرضَ كلَّهَا ؛ لأَنَّها جُعِلَت للنَّبيِّ (صلى الله عليه وآله وسلم) مسجداً[1] .

ثانياً . دلالة (السجود) على (الركوع) ، والعكس

رُبَّما دلّت مادة (سجد) ضمناً أو صراحةً على (الركوع) ، ورُبَّما دلّت مادة (ركع) ضمنا أو صراحة على (السجود) . ومن تلك الأمثلة مع مادة (سجد) قوله تعالى : ﴿

(٤) ينظر ، الكشاف : ١١٤٧ ، و إرشاد العقل السليم : ٥ / ٢٠٢ ، والبحر المحيط : ٨ / ٤٩٢ .

﴿ لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[1] ، فقوله : (وهم يسجدون) ، أراد الصلاة[2] ، والرّكوع أحد الأركان التّي بنيت عليها الصّلاة.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾[3] ، فـ ((لاخلاف بين العلماء أنّ الركوع ها هنا السجود ؛ لأنه أخوه ، إذ كلّ ركوع سجود ، وكل سجود ركوع ؛ فإنّ السجود هو الميل ، والركوع هو الانحناء ، واحدهما يدل على الآخر ، ولكنّه قد يختصّ كلّ واحد منهما بهيئة ، ثمّ جاء على تسمية أحدهما بالآخر ، فسمي السجود ركوعاً))[4] .

على أنَّ مقولةَ ابن العربي هذه فيها نَظرٌ ، لعلمِنَا بِمَا يميزُ اللّغةِ العربيةِ . وهي لغة القرآن . مِنْ غيرِهَا مِنْ لغاتِ البشرِ الأُخرى مِنَ الدّقةِ في اختيارِ اللّفظِ ، ومعلومٌ أنَّ مِنْ أَهمِ أدواتِ الدّقةِ هي الفصلُ بين المعاني المتقاربةِ ، كَمَا في الفرقِ الدّقيقِ في المعنى بينَ (السّجود) و (الرّكوع) عندما أَثبتنَا ذلك في تمهيدِ هذهِ الرّسالةِ في الحديثِ عَنْ (السّجود والركوع) ، في اللّغةِ والاصطلاحِ ، وَمَا انطوى عليهِ بَحثُنَا هذا وَلاسيما في فَصلِهِ الدّلاليّ .

ثالثاً . (السجود و الركوع) والتقابل الدلالي

التَّقابلُ الدّلاليُّ ظاهرةٌ لغويةٌ تعني : ((وجود لفظتين تحمل كل منهما عكس المعنى الذي تحمله الأخرى ، مثل : الخير والشرّ والنور والظلمة ، والحبّ والكراهية،

(١) آل عمران : ١١٣ .
(٢) ينظر ، مجمع البيان : ٤ / ٤٤٥ .
(٣) ص : ٢٤ .
(٤) أحكام القرآن ، ابن العربي : ١ / ٥٧ .

والكبيروالصغير ...))[1] .. الخ . والتّقابلُ ، أو التّخالفُ : ((سمة لغوية منظمة و طبيعية جداً ، ويمكن تعريفها بدقة كافية . مع ذلك ، فالغريب إنّها موضوع طالما أُهمِلَ في كتب علم الدلالة ولا يعطى عادةً مكاناً في القواميس))[2] .

لَمْ يَقِف التّقابل الدّلالي عندَ الألفاظِ فحسب بل تعدّى ذلك ليشمل عناصرَ جديدة تقومُ على الأساسِ التَّقابليِّ كجمعِ المتقابلين سواء أكان تقابلاً بالألفاظِ ، أَمْ بالجّملِ ، أَمْ بالصورةِ ، أَمْ بالمواقفِ ، أَمْ تقابل الإيقاعِ الموسيقي ، والمتقابلات المثارة بأيَّةِ علاقةٍ تقابليةٍ تربطُ بها النّصوصُ ، وبذلك توسَّعت قاعدةُ هذه الظّاهرة[3] .

ومِنَ المُلاحظ أنَّ مَا وردَ مِنَ التّقابلِ في الاستعمالِ القرآني حَصلَ مَعَ مادةِ (سجد)، ولَمْ يَحصلْ لَهُ مثيلٌ مَعَ مادةِ (ركع) ، وإنَّمَا وردت مادةُ (ركع) مَعَ مَا يوازيهَا مِنَ الصِّفاتِ التّي تَنْسَجِمُ مَعَهَا ، وتسايرهَا في المعنى الدّلاليِّ العامِ في طاعةِ اللهِ وصفاتِ الخيرِ الأُخرى . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[4] . ومثله ، ايضًا ، قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ** ﴾[5] .

أَمَّا مادةُ (سجد) ، فقد وردت في الكثير مِنَ السّياقاتِ التّقابليةِ في القرآنِ الكريمِ . ومِنْ أَمثلتها قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ**

(١) ظاهرة التقابل في علم الدلالة ، د . أحمد نصيف الجنابيّ ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد العاشر لسنة ١٤٠٥هـ . ١٩٨٤م : ١٥ .

(٢) علم الدلالة ، بالمر : ١٠٩ .

(٣) ينظر ، ظاهرة التقابل الدلالي في اللغة العربية (رسالة ماجستير) ، عبد الكريم محمد العبيدي : ٧٨ . ٨٠ .

(٤) التوبة : ١١٢ .

(٥) الحج : ٢٦ .

.....

مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[1] ، فـ (((أبى) امتنع مما أمر به ، و (استكبر) عنه))[2] . فلمَّا كان معنى السّجود : (الذلّ و الخضوع) ، فقد جاءَ التّعبيرُ القرآنيّ بمقابِلٍ له ، وهو الاستكبار . ثُمَّ أنَّ مِنَ الجديرِ بالذّكرِ أَنْ نَعلَمَ أَنَّ : ((الإباءة(*) مقدمة على الاستكبار في ظهورها عليه والاستكبار والأنفة مقدمة في معتقده))[3] . وتشيرُ نهايةُ هذه الآيةِ الكريمةِ ، بعد إجراءِ عمليةِ التقابلِ هذه ، أنَّ مَنْ يَقِفْ بالضّدِّ مِنْ موقفِ الملائكةِ (عليهم السلام) في أَمرِ السّجودِ والإجابةِ لَهُ إنَّما هُوَ مِنَ الكافرين ، وإنَّ الإباءةَ والاستكبارَ إنَّمَا كانا مِنْ آثارِ الانتماءِ إلى جنسِ الكافرين ، وأنَّ الذي أَعانَهُ على أَنْ يأبى ويستكبرَ إنَّمَا انتماؤه إلى جِنْسِ الكافرين (((وكان من الكافرين) من جنس كفرة الجنّ وشياطينهم ، فلذلك أبى واستكبر كقوله : (كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه)[4]...))[5] .

وَمِنْ أمثلته أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾[6] ، فَنَلْحَظُ مقابلةَ : (ما منعك أن تسجد / أستكبرت أم كنت من العالين ؟) ، فلا يُوجد ثمّةَ مانعٍ مِنَ السّجودِ إلاّ الاستكبار بعد أن أمرتُكَ أَنْ تَسْجُدَ لمخلوقٍ خلقته بيدي فلا يكونُ رفضكَ السّجودَ استجابةً لأمري إلاّ أَنْ تكونَ مِنَ العالين[7]

---

(١) البقرة : ٣٤ .

(٢) الكشاف : ٧١ .

(*) في الأصل : الإبائة ، والصّوابُ مَا أثبتناه .

(٣) المحرر الوجيز : ١ / ٢٣٤ .

(٤) من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾ ، [الكهف : ٥٠] .

(٥) الكشاف : ٧١ .

(٦) ص : ٧٥ .

(١) ينظر ، الكشّاف : ٩٣١ .

(*) كما في قوله تعالى : ﴿ وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات : ٤٧] ، فقولُهُ : (((السماء) آية (بنيناها بأيدٍ) يعني بقوة (وإنّا لموسعون) يعني نحن قادرون على أن نوسعها كما نريد)) ، تفسير مقاتل : ١٣٢/٤ . هذا مع عظمتِهَا وسعتِهَا الكبيرتين . ومثلُهُ قوله تعالى : ﴿ اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص : ١٧] ، فـ (ذا الأيد) يعني بها : القوةَ في العبادةِ ، والاحتراز عَنْ المعاصي ، ينظر ، تفسير مقاتل : ٦٣٩/٣ . و التفسير

.....

، ومِنْ جميلِ التّقابلِ الدّلالي ما جاءتْ بِهِ هذهِ الآيةُ بينَ (السّجود و الكبر)، إذْ السّجودُ مادي ، والكبرُ معنوي ، وعند ذلك ندركُ أنَّ السّجودَ لايرادُ بِهِ الحركة المادية المجردة ، بقدرِ ما يُرادُ بِهِ الخضوع لجوارحِ العبادِ المعنويةِ للواحدِ القهارِ . ومِنْ جميلِ التعبيرِ القرآنيِّ قولُهُ تعالى : (لما خلقت بيدي) ، ففيهِ إلْمَاحٌ إلى أنَّ الملائكةَ ، والجنَّ ، والإنسَ ، متساوون عند اللهِ (جلّ وعلا) مِنْ جهةِ كونِهِم مخلوقين بيدِهِ ، أي : امتثالاً لأمرِهِ (عزّ وجلّ) ، وعند ذلك تكتملُ الصّورةُ الجميلةُ للتعبيرِ القرآنيِّ فكيفَ يا إبليس تعلو على مَنْ خلقك بيدِهِ وامتثالاً لأمرِهِ ؟ ونسبةُ الخلقِ إلى اليَّدِ دلالةٌ على استعلاءِ الخالقِ على المخلوقِ ، والواجِدُ على الموجُودِ . ولبيانِ قوةِ الخالقِ وتمكنه على المخلوقِ . ويلجأُ الاستعمالُ القرآنيُّ إلى النّسبةِ إلى اليَّدِ حين يريدُ بيانَ قوةِ المنسوبِ إليهِ على المنسوبِ ، وسطوته ، وتمكنه منه(*) .

وربَّمَا أوردَ التعبيرُ القرآنيُّ لفظَ السّجودِ ووضع مقابله الآثارَ المترتبةِ على مَنْ يرغبُ عَنْهُ ويزهدُ فيهِ ، فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً ﴾(١) ، فقابلَ في هذه الآيةِ الكريمةِ : (اسجدوا / ففسق) ، (((ففسق عن أمر ربّه) يعني تكبّر عن أمر ربّه حين أمره بالسجود لآدم))(٢) ؛ لأَنَّ الفُسْقَ خروجٌ عَنْ الطّاعةِ والخضوعِ للهِ (جَلَّ وعلا) .

وهكذا نرى كيفَ صيَّرَ التّعبيرُ القرآنيُّ (التّقابل الدّلالي) في رسمِ ملامحِ المعنى الدّلالي للسّجودِ ، ووصفُ الآثارِ المترتبةِ على تركِهِ ، وكيفَ يَسْبَحُ تاركُهُ في بَحْرٍ مِنَ الضّلالةِ والبعدِ عَنْ اللهِ . فيتزودَ المؤمنونَ مِنْ تلك الصّورِ حِرْزَاً عَنْ الضّلالةِ لقابلِ أيامِهِم وأعمالِهِم ، وينذرُ الكافرين بِمَا ينتظرهم مِنْ سُوءِ عاقبةٍ وعقابٍ .

الكبير : ٣٧٤/٢٦ . ومثلُهُ قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾ [ص : ٤٥] ، ف (((أولي الأيدي) يعني أولي القوة في العبادة)) ، تفسير مقاتل : ٣ / ٦٤٩ .

(٢) الكهف : ٥٠ .

(٣) ينظر ، تفسير مقاتل : ٢ / ٥٨٩ .

.....

رابعاً . التقديم والتأخير

لِلكلمةِ في الجّملةِ ترتيبٌ خاصٌّ بها . إلاّ أنَّ ثَمَّةَ مَزايا ومقتضيات تدعو إلى نقلِ بعضِ الكلماتِ في الجّملِ مِنْ مواضِعِهَا . وإنَّ تغيّرَ مواقع الألفاظِ في الجملةِ لَهُ مَا يسوّغه مِنَ النَّاحيةِ الفنِّيةِ والدّلاليةِ . وقد أَكدَ النحويون والبلاغيون هذا الأَمرَ منذُ زمنٍ

بعيد[١] . إنَّ ترتيب الكلماتِ في العبارةِ يتبعُ أَحوالَ النّفسِ وما يُثَارُ فيها مِنْ مَعانٍ وصورٍ ، فـ ((الألفاظ إذا كانت أوعية للمعاني ، فانها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها ، فاذا وجب للمعنى أن يكون أولا في النفس وجب للّفظ الدالّ عليه أن يكون مثله أولا في النطق))[٢] .

ومِنَ الظّواهرِ الإسلوبيةِ التّي يَنْمَازُ بها التّعبيرُ القرآنيُّ (التقديم والتأخير) . وقد دَلَّتْ هذه الظّاهرةُ على معانٍ بلاغيةٍ ساميةٍ[٣] . ((وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن . كما في غيره . الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب))[٤] .

يؤكدُ اسلوبُ (التقديم والتأخير) قدرة المنشئِ وموهبتِهِ ، ومَا أُستعملَ إلاّ ؛ للدّلالةِ على التّمكّنِ في الفصاحَةِ وللوقعِ الحَسنِ والمذاقِ العذبِ في قلوبِ السّامعين . وتتعددُ الأغراضُ التّي يجيءُ مِنْ أجلِهَا التقديمُ والتأخيرُ ، فقد يكون مِنْ بابِ تقديمِ المعلولِ على العلّةِ ، أو مِنْ بابِ تقديمِ المسبِبِ على السّببِ ، أو يكون تقديماً ذهنياً ، أو زمنياً ، أو مكانياً ، أو يكون لأجلِ الفضلِ والشّرفِ ، أو بحسبِ المقامِ والرتبةِ ، أو بحسبِ القلّةِ والكثرةِ ، أو يكون للتّرغيبِ أو التّرهيبِ ، أو ربَّمَا جاءَ التّقديمُ والتأخيرُ بحسبِ مَا يقتضيهِ السّياقُ[٥] . وكُلُّ ذلك في التعبيرِ القرآنيِّ مقصودٌ ، فكلُّ لفظٍ فيهِ وضِعَ وَضعاً فنياً مقصوداً وإنَّه لَمْ يقدِّمُ لفظٍ على لفظٍ إلاّ لغرضٍ يقتضيهِ السّياقُ . وقد رُوعِيَ في ذلك التّعبيرُ القرآنيُّ كلّه ونُظِرَ إليهِ نظرةٌ واحدةٌ شاملةٌ[٦] .

---

(١) ينظر ، كتاب سيبويه : ١ / ٣٤ ، و الخصائص : ١ / ٢٩٤ . ٢٩٥ ، و أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني : ٨ . ٩ .

(٢) دلائل الإعجاز : ٥٢ .

(٣) ينظر ، التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، حميد أحمد العامري : ١٥٨ .

(٤) التعبير القرآني : ٥١ .

(١) ينظر ، التعبير القرآني : ٧١ .

(٢) ينظر ، التعبير القرآني : ٧١ .

.....

أ . التقديم

١ . تقديم مادة (سجد) على الاستكبار

جاءَتْ مادةُ (سجد) مقدمةً على الاستكبارِ في أربعةِ مواضع مِنَ القرآنِ الكريمِ[١]. ومثالُهُ قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[٢] ، ((أي يسجد لله جميع ما في السماوات وجميع ما في الأرض ... (وهم لايستكبرون) عن عبادة الله تعالى ، وهذا من صفة الملائكة))[٣] ، وفي ضوء ذلك ، فالمخلوقُ العابدُ هو مخلوقٌ طائعٌ يؤدي فروضَ الطّاعةِ بِمَا أَمَرَ به اللهُ تعالى ، ومنها (ساجداً و راكعاً) ، لذا ، ولقرن الملائكة بصفتهم وهي : الطّاعة الخالصة نجده قد وكَّدَ تلك الطّاعة بقولِهِ : (وهم لايستكبرون) ؛ لرسوخِ طاعتِهِم واستجابتِهِم لأَمرِهِ (عزَّ وجلّ) ، فَقدَّمَ السّجودَ على الاستكبارِ . كمَا إنَّ هذا التقديمُ جاء منسجِمَاً موضوعياً مَعَ المعنى العامِ للسّجودِ ، وربَّمَا العبادةِ ، أو لنقلْ العلّة التي وجِدَ مِنْ أجلِهَا البشرُ . قال تعالى في مُحْكَمِ كتابِهِ العزيزِ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٤] ، فَلَمْ يَكُنْ خَلْقُ الجِّنِ والإنسِ إلاّ لأَجلِ العبادةِ ، وَلَمْ يردْ مِنْ جميعِهِم إلاّ إيّاها لا غيرها[٥]. وفي ضوءِ ذلك فَمَنْ يَتَّصِفُ بالسّجودِ والرّكوعِ فقد انتقضَ عنهُ الاستكبار لذا قُدِمَ السّجودُ على الاستكبارِ ؛ لِقربِ منزلةِ الساجدين مِنَ اللهِ ، على نقيض المستكبرين .

٢ . تقديم مادة (سجد) على الكفر

(٣) البقرة : ٣٤ ، و النحل : ٤٩ ، و السجدة : ١٥ ، و ص : ٧٥ .

(٤) النحل : ٤٩ .

(٥) مجمع البيان : ١٤ / ١٨٩ .

(٦) الجن : ٥٦ .

(١) ينظر ، الكشاف : ١٠٥٤ .

وردَ تقديمُ مادةِ (سجد) على الكفرِ في خمسةِ مواضع مِنَ القرآنِ الكريمِ[١] .

ومثالُهُ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾[٢] ، فبَعدَ الأمرِ الإلهيِّ للملائكةِ ، وإبليس بالسّجودِ لآدمَ (عليه السلام) امتثلَ الملائكةُ لهذا الأَمرِ ولكنَّ إبليسَ وَسْوَسَتْ لَهُ نفسُهُ إِذْ كانَ مِنَ الكافرين ((الذين أوجب الله (عزّ وجلّ) لهم الشقاء في علمه فمن ثم لم يسجد))[٣] . وفي ضوءِ ذلك تَتَحَدَّدُ هوية المؤهلين للسّجودِ . فالكافرون ، والمعاندون ، والحاسدون لا يمكن لَهُمْ أَنْ يسجدوا للهِ (جلّ جلاله) ، ومثله قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾[٤] ، والايةُ الكريمةُ تخبرنا أمراً دقيقاً ومهماً . فعلى الرّغمِ مِنْ قيامِ المشركين بإعمارِ مساجِدَ اللهِ ، أو شيئاً منها ، فهذا بحدِّ ذاتِهِ دليلٌ راسخٌ على كفرِهِم فـ ((لا ينبغي لهم ولا يليق وإن وقع (أن يعمروا مساجد الله) ... (شاهدين على أنفسهم بالكفر) باظهارهم ما يدل عليه وإن لم يقولوا نحن كفار ... أي ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة البيت والكفر بربّه سبحانه ، وقال بعضهم : إن المراد محال أن يكون ما سموه عمارة بيت الله تعالى مع ملابستهم لما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره سبحانه فانّها ليست من العمارة في شيء))[٥] ، وفي ضوءِ المعنى الأخيرِ ربَّمَا يكونُ المقصود أنَّ عمارةَ بَيتِ اللهِ (جلّ جلاله) ، أو مساجده إنَّمَا تكونُ بالعبادةِ ، وإتيانِ هذهِ العبادة إنَّمَا يَتمُّ بوجهه الصحيح باتمامِ السّجودِ للهِ وحده لا شريك لَهُ ، وتلك هي العمارةُ الحَقَّةُ . ومِنَ الملاحَظِ هنا أنَّ مادةَ (سجد) أُسْنِدَتْ إلى كلمةِ (يعمروا) وهذا العملُ إذا أَتَى بِهِ المشركُون ، أو ادعوه ، فَهُوَ حينئذٍ دليلٌ صريحٌ على كفرِهِم ؛ بسببِ مابيَّنَّا سابقاً مِنَ المفارقةِ بينَ مايبطنوه مِنَ الكفرِ ، وما يظهروه مِنْ

(٢) البقرة : ٣٤ ، و ١٩١ ، و النساء : ١٠٢ ، و التوبة : ١٧ ، و ١٠٧ .

(٣) البقرة : ٣٤ .

(٤) تفسير مقاتل : ١ / ٩٩ .

(٥) التوبة : ١٧ .

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الآلوسي : ١٠ / ٦٤ .

اعمارِ مَساجِدَ اللهِ . فقدَّمَ عمارةَ المسجِدِ المنسوبَةِ إلى المشركين على الكفرِ وفي ذلك إشارةٌ لطيفةٌ لِمَنْ يَتَّسِمُ بمثلِ هذه الأعمالِ ألا يكونَ سوى كافر بربِّهِ أو منافق يُبطنُ غيرَ ما يُظهر .

٣ . تقديم مادة (سجد) على الاقتراب

وردَ تقديمُ مادةِ (سجد) على الاقترابِ في موضعٍ واحدٍ مِنَ القرآنِ الكريمِ . قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾[١] ، أي : ((وصلِّ لله عزَّ وجلّ (واقترب) إليه بالطاعة))[٢] ، وقِيلَ ((المعنى إذا سجدت فاقترب من الله بالدعاء))[٣] . وَيَتَحَقَقُ هذا القربُ مِنَ اللهِ (جلّ وعلا) عندما يَسْجُدُ العبدُ ، فأقرَبُ ما يكونُ العبدُ مِنْ رَبِّهِ عندما يكونُ سَاجِداً . وفي هذا المعنى يقولُ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((إنّ الصلاة قربان المؤمن))[٤] . ومِنْ جميلِ التعبيرِ القرآنيِّ أَنْ أَشَارَ إلى الصَّلاةِ بركنٍ مِنْ أَركانِهَا ، وهو : (السجود) أَخْذاً بالعبرَةِ مِنْ إتيانِ الصَّلاةِ ، وهي تحقيقُ القربِ مِنَ اللهِ (جلّ وعلا) .

٤ . تقديم مادة (سجد) على الدعاء

وردَ تقديمُ مادةِ (سجد) على الدّعاءِ في موضعٍ واحدٍ مِنَ القرآنِ الكريمِ . قَالَ تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ

---

(٢) العلق : ١٩ .

(٣) تفسير مقاتل : ٤ / ٧٦٤ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠ / ٨٦ .

(٥) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، السيوطي ، حديث رقم (٢٠٥٥) : ١ / ٣١٤ ، وينظر ، الصلاة في الكتاب والسنة ، محمد الريشهري : ١٥١ .

.....

﴾[1] . ومِنْ جميلِ الحكمَةِ الإلهيةِ أَنْ يحصلَ مثلُ هذا التّقديمِ ، فَبَعْدَ أَنْ يحقق العبدُ نوعاً مِنَ الاقترابِ بسجودِهِ يتهيَّأُ لَهُ عندَ ذلك الدّعاء ، وهُوَ سلاحُ المؤمنِ وسلاحٌ مِنْ كُلِّ داءٍ ويَرُدُ البلاءَ والقضَاءَ ، وإِنَّمَا يكونُ هذا الطّلبُ مِنَ اللهِ (عزّ وجلّ) على جهةِ الخشوعِ والخضوعِ[2] ، وإِنَّمَا يُوَفَرُ هذا الخضوعُ بالسّجودِ لابغيرِهِ ؛ لِذَا قُدِّمَ السّجودُ على الدّعاءِ في سياقِ هذهِ الآيةِ الكريمةِ .

٥ . تقديم مادتي (ركع و سجد) على الصّفات

وردَ تقديمُ مادتي (ركع و سجد) على الصِّفاتِ في موضعين مِنَ القرآنِ الكريمِ[3]. وَنَلْحَظُ أَنَّ التّعبيرَ القرآنيَّ قَدْ عَمَدَ في الآيتين إلى ذكرِ مادةِ (ركع) قَبْلَ مادةِ (سجد). وربَّمَا كانَ في ذلك إِلْمَاحٌ إلى التّرتيبِ الثَّابتِ المأخوذ بِهِ في الصَّلاةِ . وقد جاءَ تقديمُ مادتي (ركع و سجد) على : (الآمرين بالمعروف ، والناهين عن المنكر ، والحافظين لحدود الله) في سورةِ (التّوبة) . وعلى (يبتغون فضلا من الله ورضوانًا) في سورةِ (الفتح) . قال تعالى : ﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[4] ، فَنَلْحَظُ في هذه الآيةِ الكريمةِ كيفَ قَدَّمَ التّعبيرُ القرآنيّ (الراكعون الساجدون) في الصَّلاةِ المكتوبَةِ على (الآمرين بالمعروف) ، أي : بالإيمانِ بتوحيدِ اللهِ أو العملِ بالسّنّةِ ، و (الناهون عَنْ المنكر) ، أي : الشّركَ ، أو البدعة ، و (الحافظون لحدود الله) ، أي : القائمون بِمَا أمرَ به ونَهى عنه[5] . ونَلْحَظُ مِنْ تقديمِ مادتي (ركع و سجد) على : الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، والحافظين لحدود الله ، إنَّه مِنْ بَابِ تقديمِ الأوجبِ على الواجبِ . أَمَّا في قولِهِ

---

(١) الأعراف : ٢٩ .

(٢) ينظر ، دائرة المعارف الشيعية العامة ، الشّيخ محمد حسين الأعلمي : ٩ / ٣٦٢ . ٣٦٣ .

(٣) التوبة : ١١٢ ، و الفتح : ٢٩ .

(١) التوبة : ١١٢ .

(٢) ينظر ، تفسير مقاتل : ٢ / ١٩٩ ، و الجامع لأحكام القرآن : ٨ / ١٧٢ .

.....

تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً ﴾[1] ، فَقَدْ قَدَّمَهُمَا على (يبتغون فضلا من الله) ، أي : رزقاً ، و (رضواناً) ، يعني : رضا ربِّهِم[2] .

ويتَّضِحُ لَنَا مِنْ متابعةِ تقديمِ المادتين على هذهِ الصِّفاتِ إنَّ مَنْ يستكملُ تكليفَهُ الفردي سيكونُ قادراً ، بلا شك ، على النهوضِ بتكليفِهِ الجّماعيّ ، كالأمرِ بالمعروفِ والنهيِّ عَنْ المنكرِ ، وغيرِهِ مِنْ صفاتِ الخيرِ الأخرى ، وإنَّ عملَ المؤمنِ في إصلاحِ المجتمعِ الإسلامي يبدأُ مِنْ إصلاحِ نَفْسِهِ أولاً .

ب . التأخير

١ . تأخير مادة (سجد) عن الاستكبار

وردَتْ مادةُ (سجد) بَعْدَ الاستكبارِ مرةً واحدةً في القرآنِ الكريمِ . قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾[3] ، فحين أَرادَ التّعبيرُ القرآنيّ

(٣) الفتح : ٢٩ .

(٤) ينظر ، تفسير مقاتل : ٤ / ٧٨ .

(١) الأعراف : ٢٠٦ .

.....

وَصْفَ الذّينَ عند اللهِ . وهُمْ قومٌ دائمو الطّاعةِ لا يعصونه طرفةَ عينٍ . قَدَّمَ نَفْيَ الاستكبارِ عنهم ، على السّجودِ ، فهُمْ ((الملائكة عليهم السلام . ومعنى العنديّة : الزّلفى والقُرب منه تعالى بالمكانة لا بالمكان وذلك لتوفّرهم على طاعته وابتغاء مرضاته ، ولمّا أمر تعالى بالذكر ورغّب في المواظبة عليه ذكر من شأنهم ذلك ، فأخبر عنهم بأخبار ثلاثة ، الأول : نفي الاستكبار عن عبادته وذلك هو إظهار العبودية، ونفي الاستكبار هو الموجب للطاعات كما أن الاستكبار هو الموجب للعصيان؛ لأنّ المستكبر يرى لنفسه شفوفاً ومزية فيمنعه ذلك من الطاعة . الثاني : إثبات التسبيح منهم له تعالى وهو التنزيه والتطهير عن جميع ما لا يليق بذاته المقدّسة. والثالث السجود له))[1] . وهو غايةُ الخضوعِ ، والانقياد للمعبودِ (جلّ وعلا) .

٢ . تأخير مادة (سجد) عن الكفر

وَرَدَ تأخيرُ مادةِ (سجد) عَنْ الكفرِ في ثلاثةِ مواضعَ مِنَ القرآنِ الكريمِ[2] . ومثالُهُ قولُهُ تعالى : ﴿ **هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** ﴾[3] ، ففي الوقتِ الذّي أَرادَ فيهِ التّعبيرُ القرآنيّ إبرازَ قُبْحَ جُرْمِ أهلِ (مكة) بِصَدِهِم المسلمين عَنْ أَدَاءِ طقوس الحَجِّ في عامِ الحُدَيِّبيَّةِ جاءَتْ الآيةُ المباركةُ بتقديمِ الكفرِ على (المسجد الحرام) ، فـ (((فهم الذين كفروا) يعني أهل مكة))[4] ، ومشركيها[5] .

---

(٢) البحر المحيط : ٥٧٥/٤ .

(٣) البقرة : ٢١٧ ، و الحج : ٢٥ ، و الفتح : ٢٥ .

(١) الفتح : ٢٥ .

(٢) البحر المحيط : ١٣٩/٨ .

(٣) ينظر ، الميزان : ٢٩٢/٢٦ .

.....

٣ . تأخير مادة (سجد) عن البكاء

وَقَدْ تأخَّرَ ذِكْرُ مادةِ (سجد) في موضعٍ قرآنيٍّ واحدٍ . قَالَ تعالى : ﴿ **لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ * أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ * فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا** ﴾[١] ، فحين كشفَتْ الآيةُ عَنْ تعنُّتِ كفارِ قريشٍ وضحكِهِم ، بَعْدَ سَمَاعِ القرآنِ ، استهزاءً[٢] . أَشارتْ إلى مُضَادِ الضّحكِ ، وهُوَ البكاءُ . ففي الوقتِ الذّي يمثّلُ فيهِ الضَّحكُ الاستهزاءَ ، فإنّ البكاءَ يعربُ عَنْ الخشيةِ والوَجَلِ مِمَّا تَصِفُهُ آياتُ الكتابِ الحكيمِ مِنَ العِبَرِ والحِكَمِ البالِغَينِ . فأَشَارَتْ إلى ما يَجِبُ أَنْ تكونَ عليهِ حالُهم وردّتُ فعلِهِم اتجاه هذا الحديث العجب ، وهو : البكاء[٣] ، (((ولا تبكون) انزجاراً وخوفاً من الوعيد))[٤] ، الذي يحملُهُ لَكُمْ هذا القرآنُ .

والبكاء . عادةً . يكونُ مقدمةً لِمَعرفةِ اللهِ (جلّ جلالة) ، وَعَودٌ إليهِ ومِنْ ثُمَّ تأتي بعد ذلك قربى أكثر مِنَ اللهِ (جلّ جلاله) بالسّجودِ لَه ، ويؤيدُ ذلك قولُهُ تعالى : ﴿**وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً** ﴾[٥] . أو إنَّ البكاءَ مِنْ علاماتِ الخضوعِ ، وقَدْ يكونُ مقدَّمةٌ إليهِ عندما يَكونُ المقامُ مقامَ تَوْبَةٍ وندمٍ .

٤ . تأخير مادتي (سجد و ركع) عن القنوت

---

(٤) النجم : ٥٩ . ٦٢ .

(٥) ينظر ، الكشاف : ١٠٦٤ .

(٦) ينظر ، تفسير مقاتل : ٤ / ١٦٨ .

(٧) الجامع لأحكام القرآن : ١٧ / ٨٠ .

(1) الإسراء : ١٠٩ .

.....

وَرَدَ تأخيرُ مادةِ (سجد) عَنْ القنوتِ في موضعين مِنَ القرآنِ الكريمِ[١] . فيما تَأَخَّرَتْ مادةُ (ركع) عَنْ القنوتِ في موضعٍ قرآنيٍّ واحدٍ . ومثالُهُ مِنْ المادتين قولُهُ تعالى : ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾[٢] ، فَأَخَّرَ المادتينِ عَنْ القنوتِ دعوةً مِنْهُ (جلّ وعلا) لِمُرَاعَاةِ التَّرتِيبِ في الصَّلاةِ . فَالقيامُ هُوَ أَولُ الصَّلاةِ ، وبعدهُ يأتِي الرّكوعُ فَالسّجودُ . فيامريم اقنتي ((أي أطيلي القيام في الصلاة))[٣] . وربَّمَا حَمَلَ المعنى على هذا الرأي جميعَ أَحوالِ الصَّلاةِ مِنْ قيامٍ ، وركوعٍ ، وسجودٍ . ومثلُهُ قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾[٤] . إذ أَخَّرَ مادةَ (سجد) عَنْ القنوتِ . وقَدْ يُلْمِحُ التّعبيرُ القرآنيّ بتأخيرِ مادةِ (سجد) عَنْ القنوتِ مَرتينِ ، ومادةِ (ركع) مرةً واحدةً إلى حِكْمَةٍ بَلاغيةٍ في رَسْمِ صورةٍ لِحَركاتِ الصَّلاةِ في القرآنِ الكريمِ ، مستمدة من الصلاةِ وحركاتها نفسها ، فالصلاةُ : قنوتٌ يعني : قيام ، ثُمَّ ركوع ، ثُمَّ سجدتين .

٥ . تأخير مادتي (ركع و سجد) عن الصّفات

جَاءَ تأخير مادتي (ركع و سجد) عَنْ الصِّفاتِ في أربعة مواضعَ مِنَ القرآنِ الكريمِ[٥] . ويُلْحَظُ أَنَّ التعبيرَ القرآنيّ قَدْ رَاعَى تقديمَ مادةِ (ركع) على مادةِ (سجد) في هذهِ الآياتِ الكريماتِ . وقد أَخَّرَ المادتين عَنْ (الطائفين ، والعاكفين) ، في سورةِ : (البقرة)[٦] ، وعن (التائبين ، والعابدين ، والحامدين ، والسائحين) ، في سورةِ : (التوبة)[٧] ، وعن (لا تشرك بي شيئاً ، والطائفين ، والقائمين) ، في سورةِ: (الحجّ)[٨] ،

---

(2) آل عمران : ٤٣ ، و الزمر : ٩ .

(3) آل عمران : ٤٣ .

(4) الجامع لأحكام القرآن : ٤ / ٥٤ .

(5) الزمر : ٩ .

(1) البقرة : ١٢٥ ، و التوبة : ١١٢ ، و الحج : ٢٦ ، و الفتح : ٢٩ .

(2) الآية : ١٢٥ .

(3) الآية : ١١٢ .

(4) الآية : ٢٦ .

.....

وعن (أشداء على الكفار رحماء بينهم) ، في سورةِ : (الفتح)[١] . ومثالُهُ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[٢] ، ((ويجوز أن يريد بالعاكفين الواقفين ، يعني القائمين في الصلاة ، كما قال : (للطائفين والعاكفين والركّع السجود) ، والمعنى للطائفين والمصلين ؛ لأنّ القيام والركوع والسجود هيآت المصلي))[٣] ، وهُوَ إِخبارٌ عَنْ حَالِ مَنْ دَخَلَ (البيت الحرام) ، فَلا يَخْلُو آنذاك مِنْ طوافٍ ، أو اعتكافٍ ، أو صلاةٍ ، فيكونُ حمله على ذلك أَجمع لِمَا هُيِّأَ البيتُ لَهُ[٤] . لِذَا أُخِّرَ ذِكْرُ الرّاكعين ، والساجدين على ذِكْرِ الطّائفين حولَ البيتِ ، فالطوافُ هُوَ مقدمةُ المجيءِ ، ويأتي (الرّكوع والسّجود) بعدَ ذلك إليهِ . أَمَّا في سورةِ: (التوبة) فَقَدْ أُخِّرَت المادتان عَنْ (التائبين العابدين الحامدين السائحين) ، ((وهذه أوصاف الكملة من المؤمنين ذكرها الله تعالى ليستبق إلى التحلي بها عباده ، وليكونوا على أوفى درجات الكمال))[٥] . وكذا الحَالُ في سورةِ : (الفتح) إِذْ أُخِّرَتْ المادتانِ عَنْ (أشدّاء على الكفار رحماء بينهم) ، وقَدْ جَاورَ الاستعمالُ القرآنيّ بينَ (رُحماء بينهم) ، وقوله (جلّ وعلا) : (تراهم ركّعاً سجّداً) ، وجميعُها صفاتُ خيرٍ ، و (الرّكوع والسّجود) امتِدَادٌ لِتلكَ الصّفاتِ . بَلْ لا أُبَالِغُ إِذْا قُلْتُ أَفضلَهُما ؛ لأنَّهما يَصِفَانِ علاقتهم باللهِ ، وقوةِ أواصرها ، وأَنَّها على خيرِ مَا يُرامُ في العبوديةِ بدليلِ المبالغةِ بصيغةِ (فُعَّل) مع المادتين .

(5) الآية : ٢٩ .

(6) البقرة ١٢٥ .

(7) الكشاف : ٩٦ .

(8) ينظر ، البحر المحيط : ١ / ٥٤٩ .

(1) البحر المحيط : ٥ / ١٣٦ .

المبحث الثاني

التعبير القرآني غير الصريح عن (السجود و الركوع)

لا يَكادُ يَخْلُو موضع عبادةٍ ، أو أمر إلهي ، أو توجيه أخلاقي ، أو موضع تشريع، أو ذكر ، أو جهاد ، أو تربية ، أو تهذيب للنفسِ والذاتِ المحترمةِ مِنْ التعبيرِ الضمنيّ عَنْ (السجود و الركوع) .

ويبدو أنَّ للتعبيرِ القرآني مَسْلكاً خَاصّاً في إشارتهِ إلى (السجود و الركوع) ، جاءَ هذا في مواضعَ كثيرة مِنَ القرآنِ الكريمِ ، فَوردَ هذا التعبيرُ مبثوثاً في الكثير مِن آياتِ القرآنِ الكريمِ .

وقَدْ تَضَافَرَ السّياقُ وما لَهُ مِنْ أَنواعٍ على رَسْمِ مَلامِح هذا اللّون مِنَ التعبيرِ ، فللسَّياقِ علاقةٌ مباشرةٌ في تفسيرِ الوحداتِ الكلاميةِ[1] ، فَكانَ للسّياقِ القرآنيّ الأَثرُ الكبير

(١) ينظر ، اللغة والمعنى والسياق ، جون لاينز : ٢٤٠ . ٢٤٢ .

في هذا النّوع مِنَ التعبيرِ مُتْمَثْلاً بسياقِ المقامِ ، وسياقِ الحالِ ، والسّياقِ العاطفيّ والنفسيّ . ومِنْ هُنَا كان السياق هُوَ السّبيلُ إلى تأديةِ المعنى المراد في الدّلالةِ على (السجود و الركوع) .

وَمِنْ سَبَبٍ يَعودُ إلى كَثْرَةِ المواضعَ التّي تَمَثَّلَ بِها هذا التّعبيرُ وتَشَعّبِهِ فَقَدْ اخْتَرْتُ أَمثلةً قُرآنيَّةً مُعينةً كانت في نَظَرِ الباحِثِ الأقربَ في دلالتِهَا على معنى (السجود أو الركوع) ، وهي :

١ . الصّلاة

مَرَّ بِنَا في موضعٍ سَابقٍ أنَّ العربَ قد تُسَمِّي البَعضَ باسمِ الكُلِّ ، وقَدْ يشيرُ الكُلُّ إلى البَعضِ ، أو يَتَضَمَّنُ مَعنَاهُ . ومِنْ تلك التّعبيرات القرآنيةِ التّي كانَتْ على علاقةٍ حَمِيمَةٍ بـ (السجود و الركوع) الصَّلاة ، ورُبَّمَا تُوثِّقُ هذهِ العلاقة المتبادلَة إشارةُ مادتي (سجد و ركع) إلى الصَّلاةِ في غيرِ موضعٍ مِنَ القرآنِ الكريمِ، كَمَا مَرَّ بِنَا . وكذلك أشارَتُ الصّلاةِ إلى (السجود والركوع) كَمَا سَنَرَى في هذا الموضعِ مِنَ البحثِ. قَالَ تَعَالَى : ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾[١] ، فـ ((معنى إقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها))[٢] ، وإنَّ مِنْ جملةِ أَركانِهَا وأهمِهَا (السجود و الركوع)[٣] . ومثلُهُ قولُهُ تَعَالَى : ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ** ﴾[٤] ، فَقَدْ وَصَفَ القرآنُ المؤمنينَ بمجموعةٍ مِنَ الصِّفَاتِ مِنْهَا مَا وردَ في هذهِ الآيةِ . والمحافظةُ عليهَا : ((أن لا يسهو عنها ويؤدّوها في أوقاتها ويقيموا أركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي أنْ تَتِّم بهِ أوصافها))[٥] .

(١) البقرة : ٣ .
(٢) ينظر ، الكشّاف : ٣٨ .
(٣) ينظر ، مدارك التنزيل : ١ / ١١ .
(٤) المؤمنون : ٩ .
(٥) الكشاف : ٧٠٤ .

.....

٢ . الدّعاء

وقَدْ أَشارَ الاستعمالُ القرآنيّ إلى معنى السّجودِ في قَولِهِ تعالى : ﴿ **وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً** ﴾[١] ، فـ ((المراد بالدعاء السجدة لكونها أظهر مصاديق العبادة أو الصلاة بما أنها تتضمن السجود لله سبحانه))[٢] . وربَّمَا عَبَّرَ القرآنُ الكريمُ عَنْ (السجود) بالدّعاءِ إشارةٌ مِنْهُ إلى الإخلاصِ التّامِّ والمُتَحقق بسجودِ النّبيِّ محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) . وإشارةٌ منه إلى الآثارِ المتحققةِ مِنَ الإخلاصِ في السّجودِ وهي إجابَةُ الدّعاءَ ، فَعَنْ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) : ((من أدى فريضة فله عند الله دعوة مستجابة))[٣] .

٣ . التسبيح

وَرَدَ هذا التّعبيرُ في الدّلالةِ عَلَى (السجود) في قولِهِ تَعَالَى : ﴿ **فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ** ﴾[٤] ، فإذا لَمْ يمتثلوا لِمَا أُمِرُوا بِهِ فدعهم وشأنهم ((فإنّ الله عَزّ سلطانه لا يعدم عابداً ولا ساجداً بالإخلاص وله العباد المقربون))[٥] . وقَدْ ورد في غيرِ موضعٍ مِنَ القرآنِ الكريمِ هذا التعبيرُ . أي التسبيح . والمرادُ بِهِ الصَّلاة ، وقَدْ مَرَّ بِنَا كَيفَ دَلَّتْ الصَّلاةُ على (السجود و الركوع) في كَثيرٍ مِنْ مواردِ القرآنِ الكريمِ ، مِمَّا يؤيدُ دلالةَ (التّسبيح) على (السّجود و الرّكوع)[٦] . بَلْ يؤيدُ هذهِ

---

(٦) الجن : ١٩ .

(٧) الميزان : ٢٩ /١٢٥ .

(١) أمالي المفيد ، المفيد : ١١٨/١ . وينظر ، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ، الشيخ الصدوق : ٢ / ٢٨ / ٢٢ ، و الجعفريات ، الأشعث الكوفي : ٢٢٢ ، و مشكاة الأنوار في غرر الأخبار ، الطبرسي : ١١٢ ، و الصلاة في الكتاب والسنّة : ١٥٠ .

(٢) فصلت : ٣٨ .

(٣) الكشّاف : ٩٧٠ .

(٤) ومثلها في ذلك ، مريم : ١١ . ينظر ، الكشاف : ٦٣٣ . و طه : ١٣٠ . ينظر ، الكشاف : ٦٧٠ . و الأحزاب : ٤٢ . ينظر ، الكشاف : ٨٥٨ .

.....

الدّلالة ارتباطُ التّسبيح بالصّلاةِ ، حَتَّى قِيلَ : إنَّ ((كلّ تسبيح في القرآن فهو صلاة))[١] ، ومن جملةِ أَركانِ الصَّلاةِ (السّجود و الرّكوع) .

٤ . الخرّ للأذقان

جَاءَ هذا النَّوعُ مِنَ التّعبيرِ عَنْ معنى (السجود) في قولِهِ تَعَالَى : ﴿ **وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعاً** ﴾[٢] ، وهذا حديثٌ عَنْ العلماءِ الذّين قَرَؤوا الكتُبَ ، وعلموا مَا الوحيُّ ، ومَا الشرائعُ ، وصِدْقَ النّبيِّ العربيِّ محمدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ((فإذا تُلي عليهم خرّوا سجداً وسبّحوا الله تعظيماً لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشّر به من بعثة محمد))[٣] ، (صلى الله عليه وآله وسلم) . وَخَرَّ ((هوى من علوٍ الى أسفل))[٤] ، والخُرورُ ، هو : السّقوطُ بسرعةٍ ، ومنه : (فخرّ عليهم السقف)[٥] ، وأولُ مَا يَلْقَى الأَرضَ في حالةِ السّجودِ الذقنُ ، أَو عَبَّرَ عَنْ الوجوهِ بالأذقانِ ، كَمَا يُعَبَّرُ عَنْ كُلِّ الشيءِ بِبَعْضِهِ ، وقِيلَ أُرِيدَ حَقيقة الأَذقانِ ؛ لأنَّ ذلك غايةُ التّواضعِ وَكَانَ سُجُودُهُم كذلك[٦] . كَمَا أنَّ إضافةَ الأَذقانِ إلى ((البكاء لإفادة معنى الخضوع ، وهو التذلل الذي يكون بالبدن كما أن الجملة الثانية ؛ لإفادة معنى الخشوع ، وهو التذلل الذي يكون بالقلب فمحصل الآية أنهم يخضعون ويخشعون))[٧] . والخشوعُ في سجودِهِم (خضوعهم) هذا هُوَ أَفضلُ السّجودِ إذ يَكونُ العَبدُ فيهِ صادقاً بإحساسِهِ متفانياً بعبادته مُستغرِقاً بحقيقةِ السّجودِ والرّكوعِ ، بالخضوعِ خشوعاً . ويُلْحَظُ أنَّ في تعبيرِ القرآنِ عَنْ السّجودِ بـ (يخرون للأذقان) إشارةٌ إلى نوعٍ مِنَ المؤمنين وَهُمُ العارِفونَ باللهِ تَعَالَى مِنَ العلماءِ فَسُجودُهُم سجودَ العارفينَ الخاشعينَ . وهذا السّجودُ ـ بطبيعةِ الحَالِ ـ يَختلفُ عَنْ سجودِ غيرِهِم مِنْ

---

(٥) الكشّاف : ٩١٣ .

(٦) الإسراء : ١٠٩ .

(١) الكشّاف : ٦١١ ، وينظر ، مجمع البيان : ١٥ / ٣٤٨ .

(٢) اللّسان ، مادة (خرر) : ١٣ / ١١٢٩ .

(٣) النحل : ٢٦ .

(٤) ينظر ، البحر المحيط : ٦ / ١١٣ .

(٥) الميزان : ١٥ / ٢١٨ .

عِبَادِ اللهِ (جلّ وعلا) . كَمَا يُفادُ مِنَ التعبيرِ عَنْ السّجودِ بـ (يخرون للأذقان) ، زيادةً على كونِهِم متواضعينَ ، سجودَهم على نَحْوٍ مِنَ السّرعةِ . وفي ذلك إقبالٌ على رَبِّهِم وتعاليمِهِ .

٥ . الخاشعون

جَاءَ هذا النّوعُ مِنَ التعبيرِ عَنْ معنى (السّجود و الرّكوع) في مواضِعَ كثيرة مِنَ القرآنِ الكريمِ ، ومِنْهَا قولُهُ تَعَالَى : ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾[١] ، والخاشعون : طائفةٌ مِنْ عِبادِ اللهِ تَعَالىَ الذّينَ أُخْلِصُوا لَهُ فَتَيَقَّنُوا بِهِ ، فَظَهرَ أَثَرُ هذا الإخلاصِ على جَوارِحِهِمْ ، وحركاتِهِمْ ، وسكناتِهِمْ بِمِا يَشْبَهُ السَّاجِد طِوَالَ عمرِهِ ، والخشوعُ : هُوَ ((الإخباتُ والتّطامنُ))[٢] ، وَهَذا هُوَ معنى (السّجود والرّكوع) ، وهُوَ ((الضراعة وأكثر ما يستعمل الخشوع فيما يوجد على الجوارح والضراعة أكثر ما تستعمل فيما يوجد في القلب ، ولذلك قيل فيما رُويَ : إذا ضَرَعَ القلبُ خشعت الجوارح))[٣] . وهذا أَمْرٌ سَائِغٌ . لَدَى المسلمينَ . لأَنَّ القلبَّ هُوَ مَصدرُ الإيمانِ ، ومستقرِّهِ[٤] . والخشوعُ تَواصلٌ للإقرارِ بالعبوديَّةِ . فَقَدْ يَسْجُدُ المرءُ ، أو يَرْكَعُ بجسدِهِ خضوعاً للهِ (جلّ وعلا) ، وتخشعُ جوارحَهُ في ذلك الخضوعِ . وقَدْ عُدَّ (السجود و الركوع) جسداً وجَوارِحَاً هُوَ المبغيُّ .

ومثالُهُ . أيضاً . قولُهُ تَعَالَى : ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾[٥] ، فـ (خاشعين) ذُللاً لأمرِ اللهِ

(1) البقرة : ٤٥ .
(2) الكشّاف : ٧٥ .
(3) المفردات : ١٥٤ . ١٥٥ .
(4) ينظر ، اللّسان ، مادة (أمن) : ٢ / ١٤١ .
(5) الأنبياء : ٩٠ .

.....

، مخبتينَ ، دائمي الخَوفِ في قلوبِهِم متواضعينَ لَهُ[1] . وهذا . بجميعِهِ . يفيدُ معنى (السجود والركوع) .

(6) ينظر ، الكشّاف : ٦٨٥ . و إرشاد العقل السليم : ٣٥٢/٣ . و تفسير الجلالين : ٣٢٩ .

.....

الخاتمة

بَعدَ الضّيافةِ الكريمةِ في ربوعِ آي الذّكرِ الحكيمِ بدراسةِ موضوع (السّجود والرّكوع) في تعبيرِهِ الجّليلِ ، وَقفتُ بهدي مِنَ اللهِ على جملةٍ مِنَ النتائج ، وهي على النحوِ الآتي :

١ . يكاد (السّجود) و (الرّكوع) يشتركان في معنى لغويّ واحد ، هو : (الذِّلّ والخضوع) ، وإنْ كان في إتيان (السجود) مِنَ الذِّلِّ والخضوعِ الشيء الأكبر مِمَّا في إتيان (الركوع) .

٢ ـ اتَّصفَتْ أَحرفُ المادتين جَميعاً بِصفتَي (الاستفال و الانفتاح) ، ولصفةِ الاستفالِ في أحرفِ المادتين ارتباطٌ وثيقٌ بالمعنى اللّغويّ للمادتين في القرآنِ الكريمِ ، وَهُوَ : (الذِّلّ و الخضوع) .

٣ . انمازَ أَحدُ أَصواتِ المادتين بصفةِ (التّعطيش) ، وهيَ صفةُ صوتِ (الجيم) ينفردُ بها وحدهُ مِنْ بينِ أَصواتِ اللّغةِ العربيةِ الأُخرى .

٤ . انمازَ صَوتُ (العين) بصفةِ (النّصاعة) ، ولا يشاركهُ بهذهِ الصّفةِ . في اللّغةِ العربيةِ . غَيرُ صوتِ القافِ ، وهذهِ الصّفةُ أَكسَبَتْ (العين) رَونَقاً خَاصَّاً بِهِ مِنْ بَينِ أَصْوَاتِ المَادَتَين ، فَضلاً عَنْ أَصوَاتِ العربيةِ .

٥ ـ انفردَ أَحدُ أَصواتِ المادتين ، وَهُوَ صوتُ (الرّاء) بصفةِ التكريرِ ، وَهيَ صفة لايشاركه بها واحدٌ مِنْ أَصْوَاتِ العَرَبيةِ اَلْبَتَّةَ .

٦ ـ استعمل التعبير لمادتي (سجد و ركع) الصّيغ الفعليةِ الثلاث (الماضية ، والمضارعة ، والأمرية) في سياقاتٍ متنوعةٍ ، وخطاباتٍ مختلفة . جاءت تارةً موجهةً إلى رسولهِ (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعسكرِ المؤمنين ، وتارةً أُخرى موجهةً إلى الشّيطانِ ومعسكرِ الكافرين . مِمَّا ينبئُ عن مرونةِ المادتين في الاستعمالِ الصّرفيّ وأداءِ المعاني المختلفة مع اختلافِ الصّيغ الصّرفيّةِ لهما ، خدمةً للسياق القرآني الذي تَرِدُ فيه ، من حيث اقتضاء السياق صيغة دالّة على التأكيد ، أو

المبالغة ، أو التعجب ، أو الاستنكار ، أو الدّلالةِ على الثبوتِ ، أو التجددِ والحدوثِ . ووردت المادتان (سجد و ركع) بصيغة الاسمِ في خمسة وستين موضعاً مِنَ القرآن الكريم ، ووردتا بصيغةِ الفعلِ في أربعين موضعاً شريفاً منه .

٧ ـ سجّل التركيب النحوي باستعمال الفعل المضارع والأمر ، الشيوع والكثرة على الصيغة الماضية . وأكد أسلوب الأمر أهمية (السّجود والرّكوع) لخلق اللهِ عامةً ؛ وشيوعُ اسنادهِ إلى جماعة المخاطبين أكثر من المفرد .

٨ ـ تنوعت الأساليبُ التّركيبيةِ من استعمالِ التعبير بالأفعال الماضيةِ والمضارِعةِ ، والأمرية عن المادتين . إلى توظيف أَساليبَ المبتدأ ، والخبرِ ، وتعدد الخبر . إلى استعمالِ المنصوباتِ من المفاعيلَ ، والحالِ ، واسم (أَنَّ) . ثُمَّ إلى المجرورات بِحروفِ الجّرِّ ، و المجرورات بالإضافةِ . خدمةً للسياقِ القرآنيِّ والتّعبيرِ البلاغيِّ للقرآنِ الكريمِ في المادتين (سجد و ركع) .

٩ ـ إنَّ لمادتي (سجد و ركع) معاني ودلالات متعددة ، اختلفت باختلافِ البيئاتِ العربيةِ المتعددةِ التي استعملتها . وقد كونت البيئة العربية القديمة البعد الحقيقي ؛ لتحديد دلالة هاتين المادتين .

١٠ ـ استعمل القرآن الكريم مادتي (سجد و ركع) بالمعنى المادي والمعنى المعنويّ ، وللإنس والجانّ وغيرها من مخلوقات الله .

١١ ـ لم يكن لمادتيّ (سجد و ركع) في القرآن الكريم معنى معجميّ محدّد عار عن الضلال والإيحاءات اللتين اكتسبتاها من التجارب الإنسانية في استعمالهما عبر التاريخ ، فكانت دلالتهما نسيجًا متشعبًا من صور ومشاعر أنتجتها التجربة الإنسانية . وبهذا جاءت مادتا (سجد وركع) ذاتي خصوصية سمت بهما على الدلالةِ المعجميّةِ .

١٢ ـ استعملَ القرآن الكريم (السجود) ويريد به (الركوع) ، وكذلك استعمل (الركوع) ويريد به (السجود) ، وفي هذا اشارةٌ واضحةٌ إلى الوحدةِ الموضوعيةِ بين المادتين . علاوةً على ذلك افادة القرآن الكريم من ظلالِ المعنى للمادتين في تعبيرهِ بإحداهما عن الأخرى .

١٣ ـ جاء التعبير القرآني بمادةِ (سجد) بضمن ظاهرة التقابل الدلالي ، وقوانينها ، وأنظمتها البلاغية والإيحائية ، ليمنحها تعبيرًا عن مؤدّاها وأهميتها في سلوك الإنسان فضلاً عن سرعة الإفهام وبيان معناهما على نحوٍ دقيق بعد شحنهم بطاقة تعبيرية متفردة . ومِنَ المُلاحظ أنَّ مَا وردَ مِنَ التّقابلِ في الاستعمالِ القرآني حَصلَ مَعَ مادةِ (سجد) ، ولَمْ يَحصلْ لَهُ مثيلٌ مَعَ مادةِ (ركع) ، وإنَّمَا وردت مادةُ (ركع) مَعَ مَا يوازيهَا مِنَ الصِّفاتِ التّي تَنْسَجِمُ مَعَهَا ، وتسايرهَا في المعنى الدّلاليِّ العامِ في طاعةِ اللهِ وصفاتِ الخيرِ الأُخرى .

١٤ ـ كان للسياق القرآنيّ الأثر المهم في تقديم مادتيّ (سجد و ركع) وتأخيرهما في عدد من المواضع ؛ لأنَّ التعبير القرآني يراعي ، في ذلك ، سياق المقام والأمر بحسب ما يقتضيه من تقديم المادتين وتأخيرهما .

١٥ ـ راعى التعبير القرآني السياق في تعبيره غير الصريح عن (السجود والركوع) ؛ لتأدية أمور أراد من ورائها مراعاة نفسية المخاطب ، فهو يعدل عن أسلوب التربية النظري إلى الأسلوب العلميّ بحسب ما يقتضيه سياق المقام ، والحال للمخاطب . وهذا الأسلوب الأخير من شأنه أن يكون ذا أثر في إرشاد المخاطب ونصحه وتوجيهه .

١٦ ـ وردَتْ مادتا (سجد و ركع) في القرآنِ الكريمِ في خمسةِ مواضع ومئة . كَانَ لمادةِ (سجد) النصيبُ الأكبرُ فيها ، إذْ وردت في اثنين وتسعين موضعاً ، على حين وردت مادةُ (ركع) في ثلاثة عشر موضعاً منها .

١٧ ـ تساوى عددُ ورودِ مادتي (سجد و ركع) مَعَ ورود مادة (صلى) في القرآنِ الكريمِ . إذ كان الورودُ في خمسةِ مواضع ومئة ، ما يومئ إلى الإعجازِ البلاغي والترابطِ اللّغوي والعبادي الوثيق بينهما .

ثبت المصادر والمراجع

. القرآن الكريم .

(أ)

ـ أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية : الدكتور رشيد العبيدي ، مديرية دار الكتب والنشر ، بغداد ، د . ت .

. إتحاف فضلاء البشر في قراءات القرآء الأربعة عشر : أحمد عبد الغنيّ الدمياطي الشهير بالبنّاء (ت١١١٧هـ) ، وضع حواشيه : الشيخ محمد أنس مهرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م .

. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي : أبو عمرو بن العلاء : الدكتور عبد الصبور شاهين ، مطبعة المدنيّ ، ط ١ ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٧م .

ـ أحكام القرآن : أبو بكر أحمد بن عليّ الرّازي الجصّاص (ت٣٧٠هـ) ، ضبط نصّه وخرّج آياته : عبد السّلام محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، د . ت .

ـ أحكام القرآن : أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي (ت٥٤٣هـ) ، راجع أصوله وخرّج أحاديثه وعلق عليه : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان .

. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم : أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ) ، صححت هذه الطبعة بمعرفة بعض أفاضل العلماء ، التزام : محمد عبد اللطيف ، المطبعة المصرية ، ط ١ ، ١٣٤٧هـ . ١٩٢٨م .

ـ أساس البلاغة : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط ٣ ، ١٩٨٥م .

. أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) ، علّق حواشيه : احمد مصطفى المراغي بك ، مطبعة الاستقامة ، ط ١ ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ . ١٩٨٤م.

. أسرار النحو : شمس الدّين أحمد بن سليمان المعروف بابن كمال باشا (ت٩٤٠هـ) ، تحقيق : الدكتور أحمد حسن حامد ، دار الفكر ، عمّان ، د . ت .

ـ أسماء الله الحسنى دراسة في البنية والدّلالة : الدكتور أحمد مختار عمر ، الناشر عالم الكتب ، ط ١ ، القاهرة ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م .

. الأشباه والنظائر في القرآن الكريم : مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ) ، دراسة وتحقيق : الدكتور عبد الله محمود شحاتة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٥هـ . ١٩٧٥م .

. الأصوات اللغوية : الدكتور إبراهيم أنيس ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، مطبعة محمد عبدالكريم حسان ، ١٩٩٩م .

. إعراب القراءات الشّواذّ : أبو البقاء العبكري (ت٦١٦هـ) ، دراسة وتحقيق : محمد السّيّد أحمد عزّوز ، عالم الكتب ، ط ١ ، بيروت ، ١٤١٧ هـ . ١٩٩٦م.

. الألفاظ اللغويّة خصائصها وأنواعها : عبد الحميد حسن ، مطبعة الجيلاوي ، د . ط ، ١٩٧١م .

. أمالي المفيد : أبو عبد الله محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) ، تحقيق : حسين استاد ولي وعلي أكبر الغفّاري ، مؤسسة النشر الاسلامي ، ط ٢ ، قم ، ١٤٠٤هـ .

. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين : كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت ٥٧٧هـ) ، ومعه الانتصاف من الإنصاف : محمد محيي الدّين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، د . ت .

(ب)

. البلاغة والتطبيق : الدكتور أحمد مطلوب ، و الدكتور كامل حسن البصير ، دار الكتب للطباعة والنشر ، ط ٢ ، جامعة الموصل ، ١٩٩٩م .

ـ **البيان في غريب إعراب القرآن** : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد أبي سعيد الأنباري النحوي (ت٥٧٧هـ) ، تحقيق : الدكتور طه عبد الحميد طه ، مراجعة : مصطفى السقا ، د . ط ، د . ت .

(ت)

. **تاج العروس من جواهر القاموس** : محب الدّين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزّبيدي الحنفي (ت١٢٠٥هـ) ، المطبعة الخيرية ،القاهرة، ١٣٠٦هـ .

ـ **التبيان في إعراب القرآن** : أبو البقاء عبد الله بن الحسن بن عبد الله العكبري (ت٦١٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، د . ت .

. **التسمية ماهيتها وفلسفتها وخصائصها الدلالية** : الدكتور حسين يوسف خريوش ، مطبعة جامعة اليرموك ، الاردن ، ١٩٩١م .

ـ **التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه** : الدكتور رمضان عبد التواب ، الناشر مكتبة الخانجي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م .

. **التعبير القرآني** : الدكتور فاضل صالح السّامرّائي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، بغداد ، ١٩٨٧م .

. **تفسير البحر المحيط** : أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الشهير بأبي حيان الأندلسي الغرناطي (ت٧٤٥هـ) ، تحقيق : الدكتور عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م .

ـ **تفسير الجلالين** : جلال الدين محمد بن أحمد المحلي ، و جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، مكتبة ومطبعة الشُّربجي ، ط ١ ، دمشق ، ١٤١٦هـ .

. **تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار** : محمد رشيد رضا (ت١٩٣٥م) ، خرّج آياته واحاديثه وشرح غريبه : إبراهيم شمس الدّين ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٠ هـ . ١٩٩٩م .

ـ **تفسير مقاتل بن سليمان** ، دراسة وتحقيق : الدكتور عبد الله محمود شحاتة ، مؤسسة التاريخ العربي ، ط ١ ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م .

ـ **التقديم والتأخير في القرآن الكريم** : حميد أحمد عيسى العامري ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٩٦م .

ـ **تهذيب اللغة** : أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ) ، تحقيق : علي حسن الهلالي ، مراجعة : محمد علي النجار ، الدار المصرية ، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، د . ت .

(ج)

ـ **جامع البيان في وجوه تأويل آي القرآن** : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، ط ٣ ، بيروت . لبنان ، ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م .

ـ **جامع السعادات** : الشيخ المولى محمد مهدي النّراقي ، مطبعة سرور ، ط ٣ ، ١٤٢٤هـ .

. **الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير** : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، د . ت .

. **الجامع لأحكام القرآن** : أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) ، تحقيق : سالم مصطفى البدري ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م .

. **جامع المقاصد في شرح القواعد** : الشيخ عليّ بن الحسين الكَرَكيّ (ت٩٤٠هـ) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، مطبعة ستاره ، ط ٢ ، قم ، ١٤١٤هـ .

ـ **الجعفريّات (الأشعثيّات)** : أبو الحسن محمد بن محمد الأشعث الكوفي (ت ق ٤هـ) طبع في ضمن قرب الإسناد ، مكتبة نينوى ، طهران ، د . ت .

ـ **الجنى الداني في حروف المعاني** : الحسن بن أم قاسم المراديّ (ت٧٤٩هـ) ، تحقيق : فخر الدين قباوة ، و محمد نديم فاضل ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت . لبنان ، ١٤١٣هـ . ١٩٩٢م .

(ح)

. **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** ، شرحها وعلّق عليها : تركي فرحان المصطفى ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت . لبنان ، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م .

(خ)

. **الخصائص** : أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد علي النجار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ٤ ، بغداد ، العراق ، ١٩٩٠م .

. **الخليل بن أحمد أعماله ومنهجه** : الدكتور مهدي المخزومي ، دار الرائد العربي ، ط ٢ ، بيروت . لبنان ، ١٤٠٦هـ . ١٩٨٦م .

(د)

ـ **دائرة المعارف الشيعيّة العامة** : الشيخ محمد حسين الأعلمي الحائري ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط ٢ ، بيروت . لبنان ، ١٤١٣هـ . ١٩٩٣م .

ـ **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد** : الدكتور غانم قدّوري الحمد ، مطبعة الخلود ، ط ١ ، بغداد ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

ـ **دراسات في فقه اللغة** : الدكتور صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، ط ٥ ، بيروت ، ١٩٧٣م .

ـ **دراسات لأسلوب القرآن الكريم** : محمد عبد الخالق عضيمة ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م .

. **الدّراسات اللهجية والصّوتية عند ابن جني** : الدكتور حسام سعيد النعيمي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م .

. **دلائل الإعجاز** : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ) ، قرأه وعلّق عليه : محمود محمد شاكر ، الناشر مكتبة الخانجي ، الشركة الدولية للطباعة ، ط ٥ ، القاهرة ، ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٤م .

. **دلالة الألفاظ** : الدكتور إبراهيم أنيس ، الناشر مكتبة الأنجلو المصرية ، د. ت .

. **دور الكلمة في اللغة** : ستيفن أولمان ، ترجمة : كمال بشر ، المطبعة العثمانية، ط ٣ ، ١٩٧٢م .

(ر)

. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني** : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م .

ـ **رياض المسائل في تحقيق الأحكام بالدّلائل** : علي بن السيد محمّد علي الطباطبائي (ت١٢٣١هـ) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، مطبعة ستاره ، ط ١ ، قم ، ١٤١٨هـ .

(ز)

ـ **زبدة التفاسير** : المولى فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني (ت٩٨٨هـ) ، تحقيق ونشر : مؤسسة المعارف الإسلامية ، المطبعة عترت ، قم المقدسة . إيران ، د . ت .

(س)

ـ **سرّ صناعة الإعراب** : أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق : محمد حسن محمد حسن إسماعيل ، شارك في التحقيق : أحمد رشدي شحاتة عامر ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت . لبنان ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م .

(ش)

ـ **شذا العرف في فن الصرف** : الشيخ أحمد الحملاوي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط ١٥ ، مصر ، ١٣٨٣هـ . ١٩٦٤م .

ـ **شرح ابن عقيل** : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني (ت٧٦٩هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ط ١٤ ، ١٣٨٥هـ . ١٩٦٥م .

ـ **شرح جمل الزّجّاجيّ** : ابن عصفور الإشبيليّ (ت٦٦٩هـ) الشرح الكبير ، تحقيق : الدكتور صاحب أبو جناح ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م .

ـ **شرح الرّضيّ على الكافية** ، تصحيح وتعليق : يوسف حسن عمر ، منشورات مؤسسة الصادق ، طهران ، ١٣٩٨هـ . ١٩٧٨م .

ـ **شرح شافية ابن الحاجب** : الشّيخ رضيّ الدّين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي (ت٦٨٦هـ) ، مع شرح شواهده : عبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) ، حققهما وضبط غريبهما وشرح مبهمهما : محمد نور الحسن ، و محمد الزّفّزاف ، و محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .

ـ **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب** : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري المصري (ت٧٦١هـ) ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، د . ط ، د . ت .

ـ **شرح المفصّل** : الشيخ موفق الدّين يعيش بن عليّ بن يعيش النحويّ (ت٦٤٣هـ) ، حقّقه وشرح شواهده : أحمد السّيّد أحمد ، راجعه ووضع فهارسه : إسماعيل عبد الجّواد عبد الغني ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة . مصر ، د . ت .

ـ **شرح الملوكي في التصريف** : موفق الدّين يعيش بن عليّ بن يعيش النحويّ (ت٦٤٣هـ) ، تحقيق : فخر الدين قباوة ،مطابع المكتبة العربية بحلب ، ط ١ ، ١٣٩٣هـ . ١٩٧٣م .

(ص)

. **صحيح ابن حبّان بترتيب بلبان** : علاء الدين عليّ بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ) ، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، ١٤١٨هـ . ١٩٩٧م .

. **صحيح البخاري** : أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة البخاري الجعفيّ (ت٢٥٦هـ) ، ضبط النصّ : محمود محمد محمود حسن نصّار ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م .

. **صحيح مسلم** : أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيريّ النّيسابوري (ت٢٦١هـ) ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت . لبنان ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م.

ـ **الصّرف الكافي** : أيمن أمين عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت . لبنان ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠٠م .

. **الصرف الوافي دراسة وصفيّة تطبيقيّه في الصّرف وبعض المسائل الصّوتية** : الدكتور هادي نهر ، مطبعة التعليم العالي في الموصل ، ١٩٨٩م .

. **الصّلاة في الكتاب والسّنّة** : محمد الرّيشهري ، دار الحديث ، ط ١ ، قم ، د . ت .

(ظ)

. **ظاهرة التأويل في إعراب القرآن الكريم دراسة تحليلية لموقف النحاة من القراءات القرآنية المتواترة التي تتعارض مع القواعد النحوية** : الدكتور محمد عبد القادر هنادي ، مكتبة الطالب الجامعي ، ط ١ ، مكة المكرمة ، السعودية ، ١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م .

(ع)

ـ **العربية والغموض دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى** : الدكتور حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية ، ط ١ ، الإسكندرية ، ١٩٨٨م .

ـ **العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث** : الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، جامعة القاهرة ، د . ط ، د . ت .

ـ **علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية** : الدكتور بسّام بركة ، مركز الإنماء القومي ، بيروت ، ١٩٨٨م .

ـ **علم الدلالة** : الدكتور أحمد مختار عمر ، الناشر مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، ط ١ ، الكويت ، ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م .

ـ **علم الدلالة** : أف آر بالمر ، ترجمة : مجيد الماشطة ، مطبعة العمال المركزية ، بغداد ، ١٩٨٥م .

ـ **علم الصرف الصوتي** : الدكتور عبد القادر عبد الجليل ، مطبعة أزمنة للنشر والتوزيع ، ط ١ ، الأردن ، ١٩٩٨م .

ـ **علم اللغة القسم الثاني الأصوات** : الدكتور كمال محمد بشر ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١م .

ـ **عمدة الصرف** : كمال إبراهيم ، مطبعة الزهراء ، ط ٢ ، بغداد ، ١٣٧٦هـ . ١٩٧٥م .

ـ **عيون أخبار الرضا (عليه السلام)** : أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي المعروف بالشّيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) ،تحقيق : مهدي الحسيني اللاجوردي ، منشورات جهان ، طهران ، د . ت .

(غ)

ـ **غريب إعراب القرآن المسمى بنزهة القلوب** : أبو بكر محمد بن عُزَيْز السجستابي (ت٣٥٥هـ) ، صحّحه : أحد أفاضل العلماء ، مطبعة حجازي ، مصر ، ١٣٧٢هـ . ١٩٥٢م .

. غيث النفع في القراءات السبع : أبو الحسن علي النوري السفاقسيّ (ت١١١٨هـ) ، مطبوع مع سراج القارئ المبتدي وتذكار المقرئ المنتهي : أبو القاسم الفاصح (ت٨٠١هـ) ، د . ط ، د. ت .

(ف)

. فقه السنة : السيد سابق ، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٢٢هـ . ٢٠٠١م .

ـ فقه اللغات السّاميّة : كارل بروكلمان ، ترجمة : الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبوعات جامعة الرياض ، ١٣٩٧هـ . ١٩٧٧م .

ـ فقه اللغة العربية : الدكتور كَاصد ياسر الزّيدي ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م .

ـ في الأصوات اللغوية دراسة في أصوات المدّ العربية : الدكتور غالب فاضل المطلبيّ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٤م .

. في التركيب اللغوي للشعر العراقي المعاصر دراسة لغوية في شعر السياب ونازك والبياتي : مالك يوسف المطلبي ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٤م .

(ق)

ـ القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث : الدكتورة مي فاضل الجبوري ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ١ ، بغداد ، ٢٠٠٠م .

. القول في القرآن الكريم دراسة لغوية ونحوية : أحمد ابراهيم ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة ، ط ١ ، بغداد ، ٢٠٠٥م .

(ك)

ـ **كتاب التكملة** : أبو عليّ الفارسيّ (ت٣٧٧هـ) ، تحقيق ودراسة : كاظم بحر المرجان ، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨١م.

. **كتاب سيبويه** : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ) ، تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، عالم الكتب ، ط ٣ ، بيروت ، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م .

ـ **كتاب العين** : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تحقيق: الدكتور مهدي المخزوميّ ، و الدكتور إبراهيم السامرائيّ ، الناشر دار الرشيد للنشر ، مطابع الرسالة ، الكويت ، ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م .

. **الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٥٣٨هـ) ، اعتنى به وخرّج احاديثه وعلق عليه : خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ بمجلدٍ واحدٍ ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م .

(ل)

. **لباب النقول في أسباب النزول** : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط ٢ ، د . ت .

. **لسان العرب** : ابن منظور (ت٧١١هـ) ، تحقيق : عبد الله علي الكبير ، و محمد أحمد حسب الله ، و هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

ـ **اللغة العربية معناها ومبناها** : الدكتور تمّام حسّان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣م .

. **اللّغة والمعنى والسياق** : جون لاينز ، ترجمة : الدكتور عباس صادق عبد الوهاب ، مطابع دار الشؤون الثقافية ، ط ١ ، بغداد ، ١٩٨٧م .

ـ **اللهجات العربية في القراءات القرآنية** : الدكتور عبده الراجحيّ ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠٥م .

(م)

. **مجمع البيان لعلوم القرآن** : أبو الفضل بن الحسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، مؤسسة الهدى للنشر والتوزيع ، طهران . ايران ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م .

. **المحتسب في تبيين وجوه شواذّ القراءات والإيضاح عنها** : أبو الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ) ، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٤١٩هـ . ١٩٩٨م .

ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** : أبو محمد عبد الحقّ بن عطيّة الغرناطي (ت٥٤١هـ) ، تحقيق وتعليق : أحمد صادق الملاح ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م .

. **مدارك التنزيل وحقائق التأويل** : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت٧٠١هـ) ، المجلد الأول ، رتّب هذا المجلد ورقمه وصحّحه وضبطه لغة وقراءات : الشيخ محمود أحمد البطراوي بك ، و الشيخ شرف الدين محمود خطاب ، مطبعة الأميرية ببولاق ، القاهرة ، ١٩٤٣م .

. **المدخل إلى علم الأصوات دراسة مقارنة** : الدكتور صلاح الدين صالح حسنين ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، ط ١ ، ١٩٨١م .

. **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** : عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، شرحه وضبطه وصحّحه وعنون موضوعاته وعلّق حواشيه : محمد أحمد جاد المولى ، و علي محمد البجاوي ، و محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دار الجيل ، بيروت ، د . ت .

. **مشكاة الأنوار في غرر الأخبار** : أبو الفضل عليّ الطبرسي (ت ق ٧ هـ) ، دار الكتب الإسلامية ، ط ١ ، طهران ، ١٣٨٥هـ .

. **المشكاة الفتحيّة على الشمعة المضيّة للسيوطي (ت٩١١هـ)** : محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد البديري الدمياطي (ت١١٤٠هـ) ، وتحقيق : هشام سعيد محمود ، مطبعة وزارة الاوقاف والشؤون الدينيّة ، بغداد ، ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م .

. **مشكل إعراب القرآن** : أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) ، تحقيق : الدكتور حاتم الضامن ، دار الحرية للطباعة ، مطبعة سلمان الأعظمي ، بغداد ، ١٣٩٥هـ . ١٩٧٥م .

. **مشكلة الهمزة في العربية** : الدكتور رمضان عبد التواب ، مطبعة المدني ، ط١ ، مصر ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٦م .

ـ **المصطلحات الإسلامية** : مرتّضى العسكري ، جمع وتنظيم : سليم الحسني ، الناشر كلية أصول الدين ، ط ١ ، ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م .

ـ **مظاهر التطور في اللّغة العربية المعاصرة** : الدكتور نعمة رحيم العزاوي (الموسوعة الصغيرة) ، ط ١ ، دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) ، بعداد، ١٩٩٠م .

ـ **معاني الأبنية في العربية** : الدكتور فاضل صالح السامرائي ، ساعدت جامعة بغداد على نشره ، ط ١ ، ١٤٠١هـ . ١٩٨١م .

. **معاني القرآن** : أبو زكريا يحي بن زياد الفرّاء (ت٢٠٦هـ) ، عالم الكتب ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨٠م .

ـ **معاني النحو** : الدكتور فاضل صالح السامرّائي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ١ ، عمّان ، ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م .

. **معجم الجملة الزمنية القسم الثاني الدلالة الزمنية للأفعال في القرآن الكريم** : طالب محمد إسماعيل ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، ١٩٨٨هـ .

ـ **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** : جمال الدّين عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن هشام الأنصاريّ (ت٧٦١هـ) ، قدّم له ووضع حواشيه وفهارسه : حسن حَمَد ، أشرف عليه وراجعه : الدكتور إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت . لبنان ، ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م .

ـ **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)** : محمد فخر الدين الرّازي (ت606هـ) ، اعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي ، ط ٤ ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م .

ـ **المفردات في غريب القرآن** : أبو القاسم الحسن بن محمد المعروف بالرّاغب الأصفهاني (ت425هـ) ، تحقيق وضبط : محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة ، ط٤ ، بيروت . لبنان ، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .

. **المُقرّب** : علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور (ت٦٦٩هـ) ، تحقيق :أحمد عبد الستار الجواري ، و عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧١ .

ـ **مناهج البحث في اللغة** : الدكتور تمّام حسّان ، دار الثقافة ، ط ٢ ، الدار البيضاء ، ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م .

. **من بلاغة القرآن** : أحمد أحمد بدوي ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ . ١٩٥٠م .

ـ **المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني (ت٢٤٩هـ)** : ابن جني (ت٣٩٢هـ) ، تحقيق وتعليق : محمد عبد القادر حمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ١٤١٩هـ . ١٩٩٩م .

ـ **المنهج الصّوتي للبنية العربيّة رؤية جديدة في الصّرف العربي** : الدكتور عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ . ١٩٨٠م .

. **المُهَذَّب في علم التصريف** : الدكتور هاشم طه شلاش ، و الدكتور صلاح مهدي الفطروسي ، و الدكتور عبدالجليل عبيد حسين ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، د . ت .

. **موجز التصريف خلاصة وافية لأبنية الكلمة العربية وتصريفاتها وأحكامها** : عبد الهادي الفضلي ، مطبعة الآداب ، النجف الأشرف ، ١٩٧٢ .

ـ **الميزان في تفسير القرآن** : محمد حسين الطباطبائي (ت١٢٣١هـ) ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، ط ١ ، بيروت . لبنان ، ١٤١٧هـ . ١٩٩٧م .

(ن)

. **نحو الفعل** : أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م .

. **نحو القرآن** : أحمد عبد الستار الجواري ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٣٩٤هـ . ١٩٧٤م .

ـ **النشر في القراءات العشر** : أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت٨٣٣هـ) ، أشرف على تصحيح : علي محمد الضّبّاغ ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت .

(و)

. **الوجوه والنظائر في القرآن الكريم** : عن هارون بن موسى القارئ (ت150هـ) ، الدكتور : حاتم صالح الضامن ، دار الحرية للطباعة ، ١٤٠٩هـ . ١٩٨٨م .

الدوريات

. **ظاهرة التقابل في علم الدلالة : الدكتور أحمد نصيف الجنابي** ، مجلة آداب المستنصرية ، العدد العاشر ، لسنة ١٤٠٥هـ . ١٩٨٤م .

. **ظلال المعنى بين الدراسات التراثية وعلم اللغة الحديث** : الدكتور علي زوين ، مجلة آفاق عربية ، العدد الخامس ، السنة الخامسة عشرة ، ١٤١٠هـ . ١٩٩٠م.

الرسائل الجامعية

. **ألفاظ الخضوع والكِبَر في القرآن الكريم دراسة دلالية** : عبير ياسين حسين الراوي ، الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، رسالة ماجستير ، ١٤٢١هـ . ٢٠٠١م .

. **الحوار في القرآن الكريم** : إسماعيل إبراهيم علي محمد السامرائي ، جامعة بغداد ، كلية الشريعة ، رسالة ماجستير ، ١٤١٠هـ . ١٩٨٩م .

. **ظاهرة التقابل الدّلالي في اللغة العربية** : عبد الكريم محمد حافظ العبيدي ، الجامعة الستنصرية ، كلية الآداب ، رسالة ماجستير ، ١٤١٠هـ . ١٩٨٩م .

. معاني الأبنية الصّرفية في مجمع البيان : نسرين عبد الله الجزراوي ، جامعة الكوفة ، كلية الآداب ، رسالة ماجستير ، ١٤١٦هـ . ١٩٩٦م .

٦ . لقاء .

أَلْمَحَ الاستعمالُ القرآنيُّ إلى معنى (السجود و الركوع) بِهذا التّعبيرِ في قولِهِ تَعَالَى : ﴿ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ (١) ، فـ (((ننساكم) نتركم في العذاب كما تركتم عِدَّةَ (لقاء يومكم هذا) وهي الطاعة)) (٢) ، وقَدْ اختبرَ اللهُ طَاعةَ ملائكتِهِ بأمرِهِم بالسّجودِ . ولا أَصدقُ مِنْ طَاعةِ اللهِ أَكبرُ مِنَ السّجودِ لَهُ ، وتلبيةً لأمرِهِ .

وَمِنْ جَميلِ الحِكَمِ القرآنيَّةِ أَنْ تَرِدَ لفظةَ (لقاء) في القرآنِ الكريمِ سَبعَ عشرةَ مرَّةً ، وهذا رَقْمٌ مَا كَانَ ليأتِي جزافاً دُونَ غَايةٍ إعجازيّةٍ . فَنحنُ نَعلمُ إنَّ عَدَدَ الرَّكعاتِ في الصَّلاةِ المفروضةِ على العَبدِ في اليومِ واللّيلةِ هي سبع عشرة ركعة . ثُمَّ إنَّ إتيانَ (السجود و الركوع) يُحقِّقُ نَوعاً مِنَ الالتقاءِ باللهِ (جلّ وعلا) وكيفَ لا ؟ ونحنُ نَعلمُ إنَّ أَقربَ مَا يكونُ العبدُ مِنْ رَبِّهِ عندما يكونُ ساجِداً .

(٦) الجاثية : ٣٤ .

(٧) الكشّاف : ١٠٠٨ .

.....